

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة طيبة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية (تاريخ)

الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام

خطة بحث لاستكمال متطلبات الحصول على درجة (الماجستير) في (التاريخ الإسلامي)

إعداد الطالبة

هيفه صالح صلاح الصاعدي

إشراف

أ.د أحمد البدر شيني

أستاذ التاريخ الإسلامي الوسيط بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة

(١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م)

قرار لجنة المناقشة

☐ **قُبول الرسالة والتوصية بمنح الدرجة.**

☐ **قُبول الرسالة مع إجراء بعض التعديلات، دون مناقشتها مرة أخرى**[١].

☐ **استكمال أوجه النقص في الرسالة، وإعادة مناقشتها**[٢].

☐ **عدم قبول الرسالة.**

تعقيبات أخرى:

التوقيعات[*]

	مقرِّر اللجنة المشرف	عضو	عضو
الاسم:	**أستاذ مشارك أحمد البدر شيني**	**أستاذ مشارك سليمان عبد الغني المالكي**	**د. عائشة مرشود حميد الحربي**
التوقيع:	....	....	....

في حال الأخذ بهذه التوصية يُفَوَّض أحد أعضاء لجنة المناقشة بالتوصية بمنح الدرجة بعد التأكد من الأخذ بهذه التعديلات في مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر من تاريخ المناقشة. ولمجلس الجامعة، الاستثناء من ذلك بناء على توصية لجنة الحكم ومجلس عمادة الدراسات العليا.

في حال الأخذ بهذه التوصية، يُحدِّد مجلس عمادة الدراسات العليا بناءً على توصية مجلس القسم المختص موعد إعادة المناقشة، على أن لا يزيد ذلك على سنة واحدة من تاريخ المناقشة الأولى.

(*) في حال الاختلاف في الرأي، لكل عضو من أعضاء لجنة الحكم على الرسالة، حق تقديم ما له من مرئيات مغايرة أو تحفظات، في تقرير مُفصَّل إلى كل من رئيس القسم، وعميد الدراسات العليا، في مدة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ المناقشة.

شكر و تقدير

الحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد بعد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى،ولك الحمد على كل حال.

الحمد الله القائل في كتابة العزيز:"لئن شكرتم لأزيدنكم"[1]، والقائل "ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه"[2]، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وقائد الغر المحجلين محمد ﷺ وبارك عليه وعلى آله وصحبة أجمعين.

فلله الحمد أن يسر لي طرق باب العلم والتعلم وفتح عليه أبوابه،فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

ثم الشكر موصول إلى من أمرني ربي ببرهما وشكرها بعد شكره فقال " أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير "[3] والدتي حسناء رجاء الصاعدي،أسال المولى أن يحفظها ويلبسها ثوب الصحة والعافية ويجزيها عني خير الجزاء، وأن يجعل الفردوس مستقراً لقدميها، لما قدمته لي من خدمات جليلة بدعائها لي أطراف النهار وآناء الليل، وسهرها على رعاية أولادي، فجزاها الله عني خير الجزاء.

كما اتقدم بالشكر إلى الدكتور أحمد البدر شيني المشرف على الرسالة وما قدمه لي، وأعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور سليمان عبد الغني المالكي، والدكتورة عائشة مرشود حميد الحربي، وكما أتوجه بالشكر الى الدكتور سليمان الرحيلي عميد كلية الآداب بجامعة طيبة، كما أتوجه بالشكر الى رئيس قسم العلوم الاجتماعية الدكتور على الحازمي، وجميع أعضاء هيئة التدريس في القسم على اهتمامهم الكبير وعلى ما قدموه لي من نصح وتوجيه وتشجيع أثناء الدراسة.

كما أوجه شكري ودعائي إلى أزهار قلبي وريحانة فؤادي أولادي، تركي وراكان فكما عانيا وصبرا أثناء انشغالي بالبحث والدراسة أسأله تعالى أن يهديهما وينفع بهما ويجعلهما قرة عين لي.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آلة وصحبة أجمعين،وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

(١) آية ٧ سورة إبرهيم.

(٢) آية ١٢ سورة لقمان

(٣) آية ١٤ سورة لقمان.

إهـــــــــــــداء

إلى والدتي العزيزة ونور دربي وقلبي، أهدي هذا الجهد المتواضع تحيّة عرفان وتقدير مني على فضلها، ودورها، وأثرها في مسيرة خطواتي التعليمية، ويقيناً مني أنه لولا عنايتها، ورعايتها، وتشجيعها لي بعد فضل الله، وكرمه لما حققت ما تمنيت، فهي التي أهدتني هذا الجهد قبل أن أهديه إليها، وهي التي بعثت الحياة والعزم في كل كلمة وكل حرف، حتى أحسست بعد فراغي من هذه الدراسة أنني عائدة من رحلة مجد، وكذلك إلى روحيّ والدي، وأخي رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته.

فإلى رحلات أخرى بإذنه تعالى أكثر نبلاً ومجداً

هيفه الصاعدي

فهرس المحتويات

قائمة الملاحق

الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام

إعداد الطالبة

هيفه صالح صلاح الصاعدي

إشراف

أ.د أحمد البدر شيني

المستخلص

الحمد لله،رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد أكمل الناس خلقاً،وأغزرهم علماً، وأسماهم مثالاً، وأعلاهم همة، وأمضاهم عزماً، وأنبلهم مقصداً،وأبعدهم أثراً،وعلى آله وأصحابه الذين نقلوا طريقته إلينا،وحفظوا شريعته علينا، جمعنا الله بهم في دار مستقره ورحمته.

أما بعد..

فالبحث هو دراسة الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام حيث كان لهذه الأوضاع الأثر البالغ في ظهور الأوبئة والأمراض وقد تمت الدراسة في تمهيد وأربعة فصول هي:

التمهيد:بينت فيه الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام.

الفصل الأول: العوامل البشرية التي أدت إلى ظهور الأوبئة والأمراض في مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي.

تمثلت العوامل البشرية في:

- عدم الاهتمام بالنظافة وتلوث المطعم والمشرب.
- قلة الخبرة الصحية.
- الفقر وأثرة في نقل العدوى.
- الانحراف الخلقي.
- الحروب.

الفصل الثاني: العوامل الطبيعية التي أدت إلى ظهور الأوبئة والأمراض في مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي.

تمثلت العوامل الطبيعية في:

- طبيعة مناخ مصر والشام.
- المجاعات.
- الحشرات والآفات الزراعية.

الفصل الثالث: الأوبئة والطواعين التي انتشرت في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام:

– الطاعون في مصر وبلاد الشام

الفصل الرابع: أشهر الأمراض التي انتشرت في مصر والشام خلال العصرين الأيوبي والمملوكي وطرق علاجها آن ذاك:

– الكوليرا.

– الحميات.

– السل.

– الأمراض الجلدية

– الجذام.

– البرص.

– الجدري والحصبة.

– الأمراض الباطنية.

– القولنج والذرب.

– أمراض العيون.

– أمراض الفم والأسنان.

– أمراض الأذن والحنجرة والحلق.

– أمراض متفرقة.

– تصدي الأيوبيين والمماليك للأوبئة والأمراض في بلاد الشام ومصر.

– أشهر هذه البيمارستانات في بلاد الشام.

– أشهر هذه البيمارستانات في بلاد مصر.

وختمه الدراسة بالخاتمة: الذي تناولت فيه أهم النتائج والتوصيات التي توصلت اليه الدراسة ومن أهم تلك النتائج.

– إن العامل البشري من أهم العوامل التي أدت إلى انتشار الأوبئة والأمراض خلال العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام.

– يمكن القول إن الحروب هي أحد أهم الأسباب البشرية المسببة للأمراض والأوبئة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام.

– لقد لعبت العوامل الطبيعية في مصر والشام دوراً مهماً في التأثير على الحالة الصحية العامة، ويرجع ذلك إلى طبيعة المناخ في مصر والشام.

– توصلت الدراسة إلى أن العصرين الأيوبي والمملوكي شهدا العديد من الأمراض والأوبئة التي أثرت بصورة سلبية على حياة البشر منها الكوليرا ،الحميات ،السل ،الأمراض الجلدية،الجذام،البرص،الجدري والحصبة،والأمراض الباطنية والطرق العلاجية التي استخدمت آن ذاك.

– .

والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات

المقدمة

الحمد لله، رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد أكمل الناس خلقاً، وأغزرهم علماً، وأسماهم مثالاً، وأعلاهم همة، وأمضاهم عزماً، وأنبلهم مقصداً،وأبعدهم أثراً،وعلى آله وأصحابه الذين نقلوا طريقته إلينا،وحفظوا شريعته علينا، جمعنا الله بهم في دار مستقره ورحمته.

أما بعد:

انصبت عناية الباحثين في تاريخ بلاد الشام ومصر في عصر الحروب الصليبية على الجانبين السياسي والحربي،دون أن يحضى الجانب الاجتماعي سوى بقدر ضئيل لا يتناسب أهميته في التاريخ. وربما جاء عدم عناية الكتاب المعاصرين بالتعرض للجانب الاجتماعي نتيجة لاهتمامهم بما كان بين الصليبيين والمسلمين من مساجلات وحروب استأثرت في المقام الأول بانتباههم. ومن هنا كان على الباحث أن يتحمل الكثير من مشاق البحث، في الكتابة عن مثل هذه الموضوعات،ولكن رغم ذلك كان هناك مقداراً، من العزم للخوض في مثل هذه الموضوعات، فاخترت عنوان بحثي الأوبئة والأمراض في بلاد الشام ومصر في العصرين الأيوبي والمملوكي،و تعتبر الأوبئة والإمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي من المواضيع الهامة التي تعكس الأحوال الصحية خلال هذه الفترة،وهو موضوع لم يتناوله إلا قليل من الباحثين، هناك من اهتم بالأوبئة والأمراض التي حدثت في هذه الحقبة ولكن كان ذلك عرضا أثناء حديثه عن الصراع بين المسلمين والصليبيين.

أهمية موضوع البحث:

ترجع أهمية موضوع الأوبئة والأمراض أنه من الموضوعات المهمة في الجانب الاجتماعي،وكيف استطاع المسلمون أن يبرعوا في طرق علاج هذه الأوبئة والأمراض ومواجهة أخطارها والوقاية منها.

أما عن قصر الدراسة على مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي فذلك يرجع إلى عدة أسباب منها: أن مصر والشام خلال هذا العصرين كانتا محط أنظار الجميع لأن أرضهما كانت المسرح الذي وقعت عليه الحروب الصليبية وغيرها من الحروب بين أفراد البيت الأيوبي والمملوكي وبعضهم البعض وما كان ينجم عن ذلك من كثرة المصابين والقتلى،والتخريب والتدمير الأمر الذي كان يؤدي إلى ظهور الأوبئة والطواعين.إضافة إلى ما حفل به هذان العصران من كوارث طبيعية تمثلت في الفيضانات والمجاعات والزلازل وانتشار الآفات الزراعي

والحشرات والجراد، كل ذلك أدى إلى انتشار الأمراض بصورة غير مسبوقة وهو ما جعل البيت الأيوبي والمملوكي يولون الجانب الصحي والطبي عناية فائقة، فشجعوا تدريس وتعليم الطب، لتخريج أعداد كبيرة من الأطباءالمؤهلين يستطيعون التصدي لهذه الأمراض حيث أن " الأمراض لها أعمار والعلاج يحتاج إلى مساعدة الأقدار"[(١)].

أسباب اختيار البحث:

وقد تكوَّنت لديَّ أسبابٌ باعثة لاختيار موضوع هذا البحث أجملها فيما يلي:

١. اهتمام الموضوع _ في المقام الأول _ بالأوبئة والأمراض التي أصابت المسلمين والصليبين ووسائل علاج تلك الأمراض.
٢. الأوبئة والأمراض في العصر الأيوبي والمملوكي من المواضيع العامة الاجتماعية غير المباشرة والنادرة في المكتبات العربية.
٣. هذه الدراسة تلقي الضوء على جانب مهم يتعلق بأسباب انتشار الأوبئة والأمراض في ذلك العصر وما تبع ذلك من تطور في طرق علاج هذه الأمراض، وهو موضوع بحاجة إلى مزيد من الدراسة.
٤. أن البحث في هذا الموضوع يمدنا بإضاءات عديدة عن الأوبئة والأمراض في زمن الحروب الصليبية بعد أن كان كل ما ورد منها متفرقاً في الكتب.

ومما دفع الباحث إلى اختيار هذا الموضوع أيضا هو أن الدراسات السابقة حول هذا الموضوع لم تستعرضه كوحدة متكاملة وإنما استعرضت بعض جوانب منها كالبيمارستانات أو الحمامات مثلاً أو استعرضت فترات زمنية طويلة جدا بحيث أن ما ورد فيها من معلومات عن الأوبئة والأمراض في مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي تعد إشارات سريعة لا تشفي غليل الباحث النهم.

---

(١)ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ ص ٧٤٣.

أهداف البحث:

١. التعرف على الأوبئة والأمراض المنتشرة في مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي.
٢. محاولة الكشف عن أسباب انتشار هذه الأمراض.
٣. الوقوف على كيفية العلاج لهذه الأمراض.
٤. التعرف على مدي التقدم الذي وصلت إليه تلك الحضارة في ذلك.

مصطلحات البحث:

الوباء:

"الوباء بالقصر والمد مرض عام وجمع المقصور أوباء بالمد وجمع الممدود أوبئة "(١)، و"الوباء هو الطاعون أو كل مرض عام. وقال حذاق الأطباء هو تغير يعرض لجوهر الهواء فيستحيل إلى الرداءة، ويسري في الأبدان بالاستنشاق كسريان السم "(٢).

المرض:

المرض: "هيئة طبيعية في بدن الإنسان يجيب عنها بالذات آفه في الفعل وجواباً أولياً وذلك إما مزاج غير طبيعي،وإما تركيب غير طبيعي"(٣).

دراسة تحليله نقدية مقارنة:

اعتمدت الباحثة في دراستها للأوبئة والأمراض في مصر والشام في العصرين الأيوبي و المملوكي على عدد كبير من المصادر العربية بيد أن أهمها كان كتاب:

١. " الجامع لمفردات الأدوية والأغذية " لمؤلفه ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي العشاب المعروف بابن البيطار أحد المصادر والتي لا غنى للباحث في الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي حيث ألف هذا الكتاب بناء على طلب

---

(١)الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ١٤٢٨هـ: مختار الصحاح، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان،بدون تاريخ،ص ٣٦٢.

(٢)القوصوني المصري، مدين عبد الرحمن . قاموس الأطباء وناموس الألباء . مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧١م، ج ١، ص ١٦.

(٣)ابن سينا: القانون في الطب، طبعة بيروت، بدون تاريخ ص١٠٣.

من الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي أمره بوضع كتاب " في الأدوية المفردة تذكر فيه ماهياتها وقواها ومنافعها ومضارها وإصلاح ضررها والمقدار المستعمل من جرمها أو عصارتها أو طبيخها والبدل منها عند عدمها، فقابل عبد عتباتها وغذى نعمتها هذه الأوامر بالامتثال وسارع إلى الانتهاء إليها في الحال "كما تميز هذا الكتاب بميزات كثيرة عما سواه وفضل على غيره بما حواه وذلك نظرا للدقة الشديدة و الأمانة في النقل وذكر الكثير من المفردات التي لم يذكرها غيره وقد أفدت منه إفادة عظيمة لاسيما في التعريف بالعديد من النباتات والأدوية والأغذية واستعمالاتها وطرق التداوي بها من كثير من الأمراض بحيث يمكن القول بأنه الكتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية.

٢. " عيون الأنباء في طبقات الأطباء " لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي اصيبعه المولود بدمشق عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م والمتوفى سنة٦٦٨ هـ / ١٢٦٩م وقد ألفه لأمين الدولة وزير الملك الصالح عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وقد قسم ابن أبي اصيبعه هذا الكتاب إلى عدة أقسام متبعا التسلسل الزمني منذ القدم وحتى عصره فيعرف بالطبيب ويذكر إنجازاته في الطب، ومن عمل في خدمتهم، ومؤلفاته في الطب أو ما ترجمه من كتب الطب، وما كتبه أو نظمه من أشعار إن كان شاعراً ويمكن القول بأن هذا الكتاب لا غنى للباحث فى الأوبئة والأمراض الرجوع إليه

٣. كتاب" رسالة اعتبار الناسك بذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير، لمؤلفه أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبى البلنسى وهذا الكتاب عبارة عن رحلة للحج قام بها ابن جبير، حيث استغرقت أكثر من ثلاث سنوات وقد بدأها في يوم الاثنين التاسع عشر من شهر شوال سنة٥٧٨ هـ /١١٨٢م، وختمها في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر محرم سنة٥٨١ هـ/ ١١٨٥م. وقد جاء هذا الكتاب حافلاً بالمشاهد والتجارب التي اكتسبها ابن جبير أثناء تجواله في عجائب البلدان والمدن ورؤيته لغرائب المشاهد واطلاعه على الشئون والأحوال السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي كانت سائدة خلال تلك الفترة فمن البلاد التي زارها ابن جبير خلال تلك الفترة مصر وبلاد العرب والشام والعراق وصقليه، حيث وصف هذا الرحالة المدن التي مربها والمنازل التي حل فيها وصفا دقيقا، حيث كان يمتاز بدقة الملاحظة والقدرة العجيبة في التعبير عن الظواهر الحضارية حيث وصف الأبنية من

المساجد والمدارس ومجالس الوعظ والأضرحة والمعابد والقلاع والبيمارستانات، وأشار إلى مدي اهتمام صلاح الدين بالأوبئة والأمراض آن ذاك.

٤. كتاب "الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر لمؤلفة الرحالة عبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ هـ/١٢٣١م، أحد المصادر الهامة التي اعتمد عليها الباحث لاسيما عند الحديث عمّا أصاب مصر من مجاعات وأوبئة في نهاية القرن السادس الهجري، وكان البغدادي أحد الذين تفحصوا جيدا الآثار المختلفة عن هذه المجاعات والأوبئة، من خلال معاينته لتلال الرمم الكثيرة بالمقس والمتخلفة عن جثث بشرية تقدر بنحو عشرين ألفاً فصاعد.

٥. ياقوت الحموي، اعتمدت الباحثة عليه كمصدر رئيسي، حيث أن ياقوت مؤرخ ثقة من أئمة الجغرافيين ويأتي في صدارة مؤلفاته كتابة " معجم البلدان " والذي أمدنا بمعلومات كثيرة عن سائر مدن مصر والشام وعن أحوالها وأحوال سائر أهلها وقد استعنا به كثيرا عن التعريف بالعديد من المدن والبلاد كما أن لياقوت الحموي مؤلفا أخر بعنوان " معجم الأدباء " وهو موسوعة كبرى تقع في عشرين جزءا، وقد أمدنا بمعلومات قيمة عن رجال هذا العصر وعلمائه.

٦. الخطط في مؤلف المقريزي " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" المعروف بالخطط المقريزية، والذي اشتمل على وصف شامل لطبوغرافية مصر، ووصف حاراتها وشوارعها ودروبها ورحابها، وأسواقها إضافة إلى وصفه للخانات والبرك والميادين والمساجد والمدارس والأضرحة والكنائس والدور السكنية والقصور ودور الصناعة وغيرها، وعن العادات والتقاليد والأنشطة البشرية للسكان في مصر وكذلك تحدث عن الربط والزوايا والخوانق والترب والحمامات والبيمارستانات، والأوبئة والأمراض وهي لاشك موضوعات أثرت مادة البحث العلمية ويمكن القول أنه بفضل كتاب الخطط تمكن الباحثون من وضع خرائط لمصر في العصور الوسطى.

الدراسات السابقة:

اهتمت بعض الدراسات الحديثة بالأوبئة والأمراض في العصور الإسلامية المتعددة، ومن هذه الدراسات:

١. دراسة: إبراهيم (١٩٩٦م) بعنوان: الأوبئة والأمراض التي تفشت بين الصليبيين في الشرق الأدنى الإسلامي وأثرها، وقد ذكر في هذا البحث عن الأوبئة والأمراض التي أصابت الصليبيين وأثر هذه الأمراض على الصليبيين.(١)

٢. دراسة: القبلان، غادة بنت عبد الله بن عبد الرحمن،(١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، البيمارستانات: أوضاعها وآثارها في العصر المملوكي ((دراسة حضارية))، كشفت هذه الدراسة أنَّ ما دعت الحاجة إليه من إنشاء البيمارستانات هو ما مُنِيَ به ذلك العصر من انتشار للكوارث والأوبئة والأمراض حيث تركت تلك الأمور أثرًا بالغاً في الحالة الصحية في البلاد المملوكية، وبالتالي كان للبيمارستانات أثرها الواضح في مواجهة تلك الأوبئة والأمراض المنتشرة آنذاك(٢).

٣. دراسة: بلعربي، (٢٠٠٩م) المجاعات والأوبئة بتلمسان * في العهد الزياني (٦٩٨-٨٤٥هـ/١٢٩٩-١٤٤٢م) جامعة سيدي بلعباس – الجزائر، قسم التاريخ –كلية الآداب و العلوم الإنسانية، وتوصل الباحث إلى أن المجاعات والأوبئة قد شكلت خطرا حقيقيا على حياة سكان المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، إذ شكلت بنية من بنيات حياتهم اليومية، وتبين من خلال هذه الدراسة أن أسباب هاتين الكارثتين كانت متنوعة فمنها ما هو طبيعي كالجفاف، والأعاصير، ومنها ما هو بشري كالفتن والحروب التي أدت إلى تعميق الأزمة الغذائية. لقد تعرض المغرب الأوسط خلال العهد الزياني عدة مرات

---

(١)إبراهيم خميس إبراهيم: الأوبئة والأمراض التي تفشت بين الصليبيين في الشرق الأدنى الإسلامي وأثرها بحث منشور بمجلة كلية الآداب،جامعة الإسكندرية،العدد ٢٤، ١٩٩٦م.

(٢)غادة بنت عبد الله بن عبد الرحمن القبلان: البيمارستانات: أوضاعها وآثارها في العصر المملوكي دراسة حضارية رسالة مقدمة لقسم التاريخ والحضارة لنيل درجة الماجستير في الحضارة الإسلامية إشراف: الأستاذ الدكتور: إبراهيم بن محمد المزيني،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،كلية العلوم الاجتماعية،قسم التاريخ والحضارة الرياض ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

للأوبئة والمجاعات، تطرقنا إلى تلك التي وفرت لنا معلومات كافية في هذا الصدد، وقد تراوحت المدة الزمنية التي استغرقتها هذه الكوارث ما بين سنة وثماني سنوات، و من استأثر القرنين السابع والثامن الهجريين (١٣-١٤م) بالنصيب الأوفر بسبب الاضطرابات العنيفة التي شهدها هذين القرنين[١].

٤. دراسة: عيسى، أحمد (١٤٠١هـ/١٩٨١م): تاريخ البيمارستانات في الإسلام، وهذه الدراسة من بابين، تطرق الباحث في الباب الأول لنشأة البيمارستانات ونظامها وأطبائها وأرزاقها، وفي الباب الثاني تطرق لذكر بيمارستانات البلاد الإسلامية بالتفصيل، ويتخلل هذه الدراسة نماذج لبيمارستانات العصر المملوكي، ولقد أفادت الدراسة منها كثيراً في التعريف بالعديد من البيمارستانات، وبيان نشأتها وأوقافها، وأوضاعها التي صارت إليها بالإضافة إلى تراجم لمجموعة من الأطباء المطبّبين بها[٢].

٥. دراسة: محمود، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م):الرعاية الصحية في مكة المكرمة في العصر المملوكي: وهو بحث يتناول الاهتمام بالشؤون الصحية للأفراد، وتوفير الرعاية الصحية لهم، وبروز الطب والأطباء والخدمات التي تقدم بالبيمارستانات[٣].

٦. دراسة: السعيد، (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م). المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني: وهذه الدراسة من ستة عشر فصلاً عرض في الستة فصول الأولى لنشأة المستشفيات الإسلامية وأنواعها في الحضارة الإسلامية والجوانب الفنية المتعلقة بعمارتها، وفي الفصول من السابع وحتى السادس عشر كتب عن البيمارستانات في كل قرن هجري مبتدئاً بالقرن الأول ومنتهيًا بالقرن العاشر. وهذا الكتاب يمكن أن يكون نسخًا مقاربةً لما

---

(١)خالد بلعربي: المجاعات و الأوبئة بتلمسان * في العهد الزياني ٦٩٨-٨٤٥هـ/١٢٩٩-١٤٤٢م جامعة سيدي بلعباس – الجزائر، قسم التاريخ –كلية الآداب و العلوم الإنسانية٢٠٠٩م.

(٢)أحمد عيسى:تاريخ البيمارستانات في الإسلام ط٢، نشر: دار الرائد العربي، بيروت،١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) علي السيد علي محمود: بحث الرعاية الصحية في مكة المكرمة في العصر المملوكي بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية،١٤١٦هـ/١٩٩٥م، من ص١٣١ إلى ١٥٨.

سبق إليه عيسى بك في كتابه تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ومع هذا فقد أفاد منه البحث في توكيد بعض معلومات البيمارستانات المملوكية حسب الحاجة[١].

٧. دراسة: موسى باشا(١٩٨٠م)، بحث آداب الطب عند العرب في العصر الوسيط، وهو بحث يشير إلى المدارس الطبية في العصر المملوكي، ومعلومات أخرى متعلقة برئاسة الطب، وذكر البيمارستانات والقائمين على النظر في تدبير أمورها، والدراسة أفادت من هذا البحث فيما يتصل ببعض عناصر الموضوعات التي طرقها والاستئناس ببعض معلوماته ومصادره[٢].

٨. دراسة: دويدري، أنور (١٩٧٥م)، البيمارستانات في حلب، هذا البحث ذكر فيه الباحث تسلسلاً للبيمارستانات الموجودة في حلب وأشار إلى البيمارستان النوري والأرغوني الكاملي، وما كانا عليه من حسن إنشاء وترتيب، والأوقاف عليهما، وقد أفادت الدراسة من هذا البحث أيضًا في الاستئناس ببعض المصادر التي اعتمدها عن هذين البيمارستانين[٣].

٩. دراسة: حبشي، حسن (١٩٦٤م): الاحتكار المملوكي وعلاقته بالحالة الصحية، وهذا البحث تطرق إلى نظام الاحتكار والمصادرات في مصر المملوكية، وأشار الباحث إلى ما ترتب على ذلك من آثار خطيرة، فمن ذلك ارتفاع أسعار حاجات المعيشة الضرورية، مما أدى بالتالي إلى ضعف القدرة الإنتاجية من ناحية وضعف المقاومة الصحية من ناحية أخرى، وما كان جراء ذلك من تفشي الأوبئة والأمراض وهذه المعلومات أفادت الدراسة كثيرًا فيما يتصل بالأوبئة والأمراض المنتشرة في ذلك العصر[٤].

---

(١)عبد الله عبد الرزاق السعيد: المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني نشر دار الضياء للنشر والتوزيع، الأردن،١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

(٢)عمر موسى باشا: بحث آداب الطب عند العرب في العصر الوسيط نشر معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٨٠م من ص١٣٥ إلى ص١٤٩.

(٣)أنور دويدري: البيمارستانات في حلب بحث منشور في حولية عاديات حلب، معهد التراث العلمي العربي بحلب، ١٩٧٥م، من ص١٢٩ إلى ص١٤٥.

(٤)حسن حبشي: الاحتكار المملوكي وعلاقته بالحالة الصحية، حوليات كلية الآداب عين شمس، مج٩، دار الشعب، ١٩٦٤م، من ص١٣٣ إلى ص١٥٧.

منهج البحث:

سيكون المنهج المعتمد في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي الاستقرائي، الذي يصف بدقة وتفصيل الظاهرة أو الموضوع في فترة زمنية محددة ثم ينقد ويحلل ويحدد خصائصها للوصول إلى النتائج في فهم الظاهرة أو الموضوع.

تقسيمات البحث:

قضيت طبيعة الدراسة أن يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ويشمل كل فصل عدة عناصر.

التمهيد: بينت فيه الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي.

الفصل الأول: العوامل البشرية التي أدت إلى ظهور الأوبئة والأمراض في مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي.

تمثلت العوامل البشرية في:

- عدم الاهتمام بالنظافة وتلوث المطعم والمشرب.
- قلة الخبرة الصحية.
- الفقر وأثرة في نقل العدوى.
- الانحراف الخلقي.
- الحروب.

الفصل الثاني: العوامل الطبيعية التي أدت إلى ظهور الأوبئة والأمراض في مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي.

تمثلت العوامل الطبيعية في:

- طبيعة مناخ مصر والشام.
- المجاعات.

- الحشرات والآفات الزراعية.

الفصل الثالث: الأوبئة والطواعين التي انتشرت في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام:

- الطاعون في مصر وفي بلاد الشام.

الفصل الرابع: أشهر الأمراض التي انتشرت في مصر والشام خلال العصرين الأيوبي والمملوكي وطرق علاجها آن ذاك:

- الكوليرا.
- الحميات.
- السل.
- الأمراض الجلدية
- الجذام.
- البرص.
- الجدري والحصبة.
- الأمراض الباطنية.
- القولنج والذرب.
- تصدي الأيوبيين والمماليك للأوبئة والأمراض في بلاد الشام ومصر.
- أشهر هذه البيمارستانات في بلاد الشام.
- أشهر هذه البيمارستانات في بلاد مصر.

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع

الفهارس.

وصلى الله على نبينا محمد عدد ما ذكره الذاكرين وغافل عنه الغافلين

الطالبة: هيفه صالح الصاعدي

٠٧٩٨٧٥٧

التمهيد

شكلت الأوبئة والأمراض في القرون الوسطى وبخاصة في العصرين الأيوبي المملوكي ظاهرة مثيرة للاهتمام وقد يتبين من خلال المصادر المتوافرة أن الطاعون كان بلا منازع أهم تلك الأوبئة وقد شكل مادة تأريخ غير قليلة لمؤرخي تلك الحقبة.

فحين يبدأ المرض في الانتشار خارج حدوده الزمنية والمكانية المعتادة فإنه يتحول إلى وباء(epidemic) والوباء بين اللغة والطب يعرف الوباء بأنة "كل مرض عام"(ويمد ويقصر)،وجمع المقصور أوباء،وجمع الممدود أوبئة وقد وبئت الأرض توبأ فهي موبوءة إذا كثر مرضها،وكذلك وبئت توبأ وباءة فهي وبئة ووبيئة على فعلة وفعيلة،وأوبأت أيضا فهي موبئة، واستوبأت الأرض وجدتها وبيئة [١]ويطلق على الوباء لفظ الموتان " وذلك على المجاز إذ أصله في اللغة الموت يقع في الماشية (وتقييده بضم الميم) [٢]أما مفهوم الوباء في الاصطلاح الطبي ؛ فإن كل المصنفات الطبية الإسلامية في العصور الوسطى لا تكاد تخلوا من التفاتة علمية إلى مثل هذه الأمراض، فيذكر ابن زهر أن الناس قد اعتادوا على إطلاق اسم الوباء"على الأمراض التي تصيب أهل بلد من البلدان وتشمل أكثرهم "،خاصة وأن الناس جميعهم يشتركون في استعمال الهواء الذي يستنشقونه، "ولهذا إذا كان الهواء فاسد عم المرض أهل ذلك الموضع أو عم أكثرهم " [٣] ،ويعرفه ابن خاتمة:"بأنه مرض عام للناس قتال غالبا عن سبب مشترك "[٤]وتُعرفه منظمة الصحة العالمية بأنه: "تفشي المرض بأسلوب غير متوقع ويستدعي الاستنفار"، وفي هذه الحالة يصبح الوباء كارثة وخاصة إذا حدث تهديد بانتشاره بكل أنحاء العالم، ويدخل التحليل والتعامل في هذا المستوى في دائرة علم الكوارث، ولكن العالم مع ذلك يميل إلى اعتبار بعض الأمراض المتوطنة الثابتة في توزيعها مخاطر وكوارث ذلك لتأثيرها السلبي

---

(١) ابن منظور:محمد بن مكرم الايفريقي ت ٧١١هـ/١٣١١م، لسن العرب، دار صادر بيروت،١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ج١،ص١٨٩-١٩٠.

(٢) ابن خاتمة:تحصيل غرض القاصد في تفصيل مرض الوافد،نشر ضمن كتاب،عبد الكريم الخطابي،الطب والاطباء في الاندلس الاسلامية،ط١،بيروت دار الغرب الاسلامي،١٩٨٨م،ج١،ص١٦٢.

(٣) كتاب الاغذية: أبو مروان بن أبي العلاء بن عبد الملك ت ٥٢٥هـ/١١٣٠م،تحقيق اكيراتيون غارتيا،مدريد،المجلس الاعلى للأبحاث العلمية –معهد التعاون مع العالم العربي،١٩٩٢م،ص١٤٣.

(٤) ابن خاتمة: تحصيل غرض القاصد،ص١٦٢.

الحاد على المجتمع البشري ومناشطه الاقتصادية ومضاعفاته المرضية، وهكذا لا توجد حدود فاصلة بين المرض والوباء،فالمرض يمثل المخاطر وخاصة إذا كان معدياً والوباء هو الكارثة(١).

الفرق بين الوباء والطاعون.

يعتبر الطاعون من أشد الأوبئة التي فتكت بالإنسان يُعرف بأنه: مرض معدٍ يُصيب الإنسان والحيوان وتسببه جرثومة (Yersinia Pestis) وهذه الجرثومة تُوجد في الحيوانات القارضة أو البراغيث الموجودة عليها وهو حيواني المنشأ ZOONOSES ينتقل إلى الإنسان عن طريق الحيوانات التي تعتبر مصدراً للعدوى وهناك أكثر من ٢٠٠نوع من هذه الحيوانات أهمها الجرذان والكلاب ويطلق على دورة الوباء التي تدور بين الحيوانات الدورة البرية للطاعون (SYLVATICPLAGUE) وفيها ينتقل الميكروب من حيوان إلى آخر بواسطة أنواع متعددة من البراغيث، ومن ثم ينتقل إلى الإنسان عبر برغوث الفأر إن الخلط بين مفهوم الوباء والطاعون لم يكن عند بعض اللغويين فقط كما رأينا،وإنما كان عند بعض الإخباريين أيضاً، فالمصادر التاريخية استعملت مصطلح الوباء والطاعون دون تفرق بينهما، مما يصعب علينا نوع المرض الوبائي لأي فترة زمنية يحدث فيها، في حين كان مفهوم الوباء في الاصطلاح العلمي أشمل وأعم من مرض الطاعون، فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا،أي أن الوباء قد يشمل أمراضا عديدة من بينها الطاعون (٢)، وهو مرض بكتيري حاد مشترك بين الإنسان والحيوان وهناك ما يعرفه بأنة مادة سمية تحدث ورما قاتلا،(٣)ويكون في ثلاثة أصناف حسبما أقرأته التأليف الطبية الإسلامية وكذا الطب الحديث وهي كالآتي:

الصنف الأول:ويسمي بالطاعون العقدي أو الدملي أو الدبلي،أي بمعنى الدماميل القاتلة،ويطلق علية باللاتينية اسم Bubonic وهو مشتق من Bubon أي بمعنى الدبل

---

(١)محمد صبري محسوب و محمد إبراهيم أرباب، الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة معالجة جغرافية،الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م،دار الفكر العربى القاهرة،ص١٩٥.

(٢)ابن قيمة الجوزية:شمس الدين أبو عبد الله محمد أبي بكر الحنيلي الدمشقي ت٧٥١هـ/١٣٥٠م، الطب النبوي،د.حامد احمد الطاهر، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٤م.ص٣٨.

(٣)السيوطي:جلال الدين عبرحمن بن أبي بكر،ما رواه الواعون في أخبار الطاعون،ورقة ١٦٤موقع مخطوطات مكتبة الازهر. http//www.alazharonline.com

[1]،وهو عبارة عن خراجات ناتئة تظهر في المغابن [2]، واللحوم الرخوة من الجسم [3]،أي مكان الغدد اللمفاوية كما تعرف الآن في الطب الحديث.

الصنف الثاني:ويسمى بالطاعون الرئوي،وهو الصنف الذي أشار إليه ابن خلدون قائلا:"فإذا كان الفساد قوي (فساد الهواء) وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة "[4] ،فهو أشد أنواع الطواعين فتكا بالناس على الإطلاق فلا يكاد يسلم منه احد ولا علاج له في الغالب، لأنه يستهدف الرئة ويفرق عروقها ويهتكها "لحدة الدم المنبعث إليها وكثرة مقداره وعجزها عن حصره ".

الصنف الثالث:ويعرف في الطب الحديث بالطاعون الإنتانمي، ويطلق علية اسم septicenic وتعني هذه العبارة "إنتان دموي"[5]ويطلق علية أيضا اسم "الطاعون الدموي أو التسممي "،وعبر عنه ابن خاتمة بالقروح السود،وهي قروح تظهر لأول مرة في الجلد على شكل نفاخات سوداء، أو تميل إلى الحرارة،وهذه النفاخات ما تلبث حتى تنفجر بالماء، فتختلف بذلك نكت سوداء تنبع مأء، أو يصاحب ذلك تورم في مواضعها،أو ما حولها، وهذه القروح هي أشد احتراقا من العقد التي تظهر في المغابن ويظهر في الجسم سوداء كأنه محترق

.وإضافة إلى الطاعون تشمل الأوبئة كذلك أمراض عديدة متشابهة من حيث الهلاك وتكون في الغالب معدية، غير أنها تختلف من حيث أعراضها فمنها الجذام والجدري والحصبة وذات الرئة والذبحة، فالجذام مرض لا يقل خطورة عن الطاعون بل يأتي بعدهم ولهذا كان الأطباء يسمونه بالعلة الكبرى ،[6]أو بداء الأسد،نظرا لأن وجه المريض بهذا المرض يصير كوجه الأسد وسبب حدوثه حسبما يعتقد الأطباء هو الإدمان عل ما غلظ من الأغذية كلحم البقر والتمر

---

(١)عبد الكريم خطابي الطب والاطباء في الاندلس الاسلامية،ص١٥٧-١٨٢.

(٢)المغابن:جمع مغبن وهو الابط وبواطن الأفخاذ،انظر ابن منظور:لسان العرب،ج١٣.ص٣٠٩.

(٣) ابن القيم الجوزية:المصدر سابق،ص٣٧-٣٩.

(٤)ابن خلدون:أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م،المقدمة،تحقيق محمد الاسكندراني،بيروت:دار الكتاب العربي،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٢٨٢.

(٥)ابن خاتمة:تحصيل غرض القاصد،ص١٨١.

(٦)ابن زهر: التيسير في المداواة والتدبير،تحقيق ميشيل الخوري،دمشق:منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،دار الفكر،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م،ص٣٧٨.

والباذنجان والثوم والخردل والعدس،[١]وكذلك الدوام على أكل السمك والسمن والفول والشرب في آنية من نحاس يتسبب في هذا المرض في نظر بعض الأطباء،[٢]ويعتبر مرض الجدري من الأمراض الوبائية الخطيرة والذي يعدي برائحة أيضا [٣]،في حين تقل الحصبة خطورة عنه؛وهو مرض معدي أيضا،ينتقل عن طريق الهواء من شخص إلى آخر،وقد أجمعت أغلب التأليف الطبية على أن سبب ظهور الجدري والحصبة هو غذاء الجنين في بطن أمه من دم الحيض[٤]،لذلك كان الأطباء يفضلون الفصد،لاستفراغ الدم الفاسد من جسم المريض.

الوباء في المصادر التاريخية:

لئن كانت أغلب المصادر التاريخية تخلط بين مصطلحي الوباء والطاعون، والذي سبق وأن أشرنا إلى دلالتهماالعلمية إلا أن الرؤى إلى الوباء كظاهرة تاريخية اختلفت من مصدر إلى آخر،فالمصادر المنقبية وباعتبارها مصادر دينية لا تذكر الوباء إلا إذا كان سببا في وفاة أحد الصلحاء، بصيغة توحي بتمجيدها لهذا الموت،لأن صاحبه إنسان محبب إلى الله سوف يلقى من وراء ذلك الثواب وينال الشهادة، في حين كانت المصادر الفقهية مصادرا دينية أكثر واقعية من كتب المناقب، لأنها لا تذكر الوباء إلا مقرونا بأحد المشاكل التي تعترض الناس من ورائه ؛كمشاكل الإرث والديون، وانظرا لأن الوباء اتخذا أبعادا دينية بسبب اختلاف الفقهاء في قضية العدوى والفرار من الطاعون،فإن المصادر الفقهية تناولت هذا الجدل بناء على مرجعية دينية، مستمدة من الكتاب والسنة واجتهاد الفقهاء.

في حين تناولت المصادر التاريخية الحديث عن الوباء؛كونه من جملة العوارض التي تحدث للدولة في أزمنة مختلفة غالبا ما يأتي حدوثها بعد مجاعات، والاهم من ذلك أن هذه المصادر تضبط لنا زمن الوباء على خلاف المصادر المنبيقية والفقهية،ومثلها في ذلك كتب التراجم إذا ما كان الوباء سببا في وفاة عالم أو فقيه اهتمت بالترجمة لحياته.

---

(١)الانطاكي: داود عمر ت١٠٠٨ هـ/ ١٥٩٩م،بغية المحتاج في الجرب من العلاج،بيروت:دار الفكر،١٤٢١هـ/٢٠٠١م،ص٣٤٤.

(٢)ابن زهر: كتاب الأغذائية،تحقيق أكيراتيون،مدريد،المجلس الأعلى للابحاث العلمية –معهد التعاون مع العالم العربي،١٩٩٢م،ص١٠٦.

(٣)ابن زهر: التيسير في المداواة والتدبير،ص٤٦٢،الأنطاكي: بغية المحتاج،ص٣٣٥.

(٤)ابن زهر:المصدر سابق،ص٣٧٠،الأنطاكي: المصدر سابق،ص٣٣٥.

كما أن ابن خلدون في مقدمته يذكر الوباء أيضاً ملازما للمجاعة، وأنه مثلها يمثل عارضا يصيب الدولة في آخر عمرها ويعجل بزوالها، وأن كان يشير إلى بعض أسبابه ؛ والتي من ضمنها كثرة العمران وما يصاحبه من فساد الهواء،غير أن ابن خلدون في سيرته الذاتية لا ينظر للوباء على أنه حدث يعجل بزوال الدولة ونهاية أطوارها الحضارية فقط، وإنما ينظر إليه على أنه حادث مسه شخصيا، فتناول الحديث عن الوباء ٧٤٩هـ/١٣٤٨م باستياء كبير، لأنه قضى على والديه وأغلب شيوخه، وعطل مسيرته العلمية،فالوباء في فكر ابن خلدون كان مأساة حقيقية جسدها لنا في سيرته الذاتية [1] .

أما وسائل الوقاية من الطاعون حالياً فتقوم على إبادة البراغيث والفئران وهي حلقة الوصل الأساسية بين الميكروب والإنسان واستخدام اللقاحات والأدوية الكيميائية.

وبالرغم من ذلك لا يزال هذا الوباء يملك من الديناميكية ما يمكنه من إعادة الانتشار عند حصول أول قصور في الرقابة الصحية الدولية.ومن الطبيعي أن ندرك إذاً أن أسباب الطاعون لم تكن معروفة في القرون الوسطى وليس هناك ما يشير إلى أن الجهاز الصحي في تلك الفترة قد استدعت انتباه بعض المؤرخين خصوصاً إلا الطاعون.

---

(١)ابن خلدون:المقدمة،ص٢٨٢.

الفصل الأول

العوامل البشرية التي أدت إلى انتشار الأوبئة والأمراض في مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي

تمثلت العوامل البشرية في:

- **عدم الاهتمام بالنظافة وتلوث المطعم والمشرب.**
- **قلة الخبرة الصحية.**
- **الفقر وأثرة في نقل العدوى.**
- **الانحراف الخلقي.**
- **الحروب.**

يتناول هذا الفصل أهم العوامل التي أدت إلى انتشار الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام، وكان العامل البشري من العوامل الرئيسية التي أدت إلى هلاك كثير من البشر، و هذا يعيننا على سرد التاريخ الاجتماعي ورصد الأحداث التاريخية في تلك الحقبة الزمنية.

وقد تمثل العامل البشري بعدة أمور منها المأكل والمشرب وتلوثهما،وقلة الخبرة الصحية،والفقر وأثرة في نقل العدوى، والانحراف الخلقي، كما كانت الحروب عاملاً من العوامل البشرية والتي أدت إلى الإصابة بالأمراض، فالحروب كما نعلم يصنعها البشر، وهى تستهلك القوى البشرية، ويترتب عليها ظهور المجاعات،بالإضافة إلى وقوع الأعداد الهائلة من القتلى، وما يترتب عليها في تعفن جثثهم وانتشار الأوبئة والأمراض لاسيما مرض الطاعون وسنتناول هذه العوامل بالتفصيل فيما يلي:

❖ عدم الاهتمام بالنظافة وتلوث المطعم والمشرب

من الأسباب التي أدت إلى إصابة سكان الشام بالأوبئة والأمراض ما تتناولونه من طعام ملوث ومياه ملوثة، كان قد ذكر المؤرخ وليم الصوري (أن الأمراض كثرت بين الصليبيين فى الشام لأنهم وصل بهم الحال فى بعض الأوقات إلى تناول الأطعمة الملوثة غير النظيفة)(١)، فيروى صاحب كتاب أعمال الفرنجة *Gesta Francorum* أن المسلمين عملوا على نشر المرض في صفوف الصليبيين أثناء حصارهم لمدينة بيت المقدس عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، بإفساد مياه الينابيع والعيون (٢)، أما المؤرخ أبو شامه فيذكر: أن جيف القتلى التى خلفتها المعارك بين المسلمين وبين الصليبيين أمام مدينة عكا عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م قد نتنت فحملت إلى النهر كي يشرب من صديدها الفرنج (٣)، وتبين أن المسلمين هم الذين قاموا بإفساد المياه التى يشرب منها الصليبيون كنوع من أنواع الحيل العسكرية بينما يشير المؤرخ جوانفيل إلى أنه عندما انتشر

---

(١)وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، ١٩٩١م، جـ١، ص ٣٨١.

(٢)حسن حبشي: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس،القاهرة ١٩٥٨،ص١١٦

(٣)أبو شامه: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي،الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية،وضع حواشية وعلق عليه،إبراهيم شمس الدين،ط١، دار الكتب،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م،ج٢،القاهرة ١٢٨٧هـ، ص١٤٧.

وباء الطاعون بين صفوف الصليبيين في أثناء زحفهم من مدينة دمياط صوب القاهرة عام ٦٤٧هـ/١٢٥٠م لم يجدوا وسيلة للتخلص من جثث الموتى إلا بإلقائها في النهر، مما أدى إلى تلوث المياه التى كانوا يعتمدون عليها في الشرب، لذا قام الصليبيون بانتشال الجثث من مجرى النهر، تمهيد لدفنها [١]، وعلل المؤرخ جي روبنسون *Gey.Robinson* ذلك بقوله:(وشرب المياه المتغيرة مما أدى إلى إصابتهم بالأمراض والأوبئة الفتاكة بعدما أهملوا نظافة أبدانهم مما يؤدي إلى إصابتهم بأمراض العيون، والتي تسببت في فقدان مجموعة منهم للبصر) [٢]وعدم الاهتمام بنظافة أبدانهم، أدى إلى تلوث جراحهم التي كانوا يصابون بها فى المعارك مع المسلمين، وكان في هؤلاء المصابين الملك بلدوين الأول *Baldwin I* ملك بيت المقدس (٤٩٤، ٥١٢هـ / ١١٠٠ .١١١٨م)، الذي توفى بسبب تلوث جراحه[٣]، الأمر الذي يعكس عدم اهتمامه بنظافة بدنه، وبالتالي تنظيف هذه الجراح، وعدم التنظيف يؤدي إلى التلوث لتصبح الجراح قروحاً لا يصلح فيها العلاج إلا بالكي أو القطع وإلا هلك صاحبها [٤]والطعام والشراب هما أساس حياة الإنسان، لذلك شدد الإسلام على ضرورة الاهتمام بنظافة المأكل والمشرب حتى يتمتع المسلم بصحة جيدة، ويعيش حياته بمنأى عن الأمراض الخبيثة،ويشترط فى كون الشراب نظيفاً وصحياً أن لا يتغير لونه ولا طعمه، ولا رائحته، لأنه إذا تغير عن أصله يصبح نجساً ضاراً بالصحة [٥]،وعلى عكس ذلك كان حال المسلمين، فقد اهتموا بنظافة مطعمهم ومشربهم وتمسكوا بتعاليم الدين الإسلامي التي دعا إليها الرسول صلى الله عليه وسلم وهي ضرورة إغلاق ما هو مفتوح، وربط قربة الماء بخيط ربطا محكماً، وأن تغطى

---

(١)إبراهيم خميس إبراهيم: الأوبئة والأمراض التي تفشت بين الصليبيين في الشرق الأدنى وأثرها، مجلة كلية الآداب الإسكندرية،العدد٢٢،العام ١٩٩٢م، ص١١٨.

(٢)G.Robinson: village life in Palestine،Newyork، 1905 p.12

(٣)ابن الأثير: أبو الحسن على بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري ت٦٣٠هـ ١٢٣٢م الكامل في التاريخ، طبعة بيروت، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٨م، جـ ٨، ص ٢٨٤.

(٤)ابن سينا: أبي علي الحسين بن الشهير بابن سيناء المتوفي سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦، القانون في الطب، طبعة بيروت، بدون تاريخ، جـ٣، ص ١٧٨.

(٥)أحمد شوقي الفجري: الطب الوقائي في الإسلام، طبعة القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٢٨.

الآنية حتى لا تكون عرضة للعق الشيطان والهوام والحشرات، والقوارض، والحيوانات الضارة مثل الفئران التي تنقل الأمراض للإنسان[١].

❖ قلة الخبرة الصحية:

قابل المستوى الطبي الراقي عند الأيوبيين والمماليك مستوى متدنٍ للغاية عند الصليبين، ويرجع سبب ذلك، المقام الأول إلى جهلهم، وإيمانهم بالدجالين والمشعوذين،حيث كانوا يلجئون إليهم إذا مرض أحدهم، ويتبعون نصائحهم التي غالبا ما تؤدي إلى استفحال أمراضهم، ونهاية حياتهم، امتد الأمر لنجد مجموعة كبيرة من أدعياء الطب والحلاقين يتصدون لعلاج المرضى لاسيما علاج الأسنان، الأمر الذي يعكس الجهل ونقص الوعي الصحي خلال تلك الفترة، فمثلا كانت طرقهم فى العلاج بدائية تعتمد على الرقى والتمائم، أو على أساليب وحشية قاسية لا تصدر إلا عن جهلة، شأنهم فى ذلك شأن الأوروبيين فى الغرب الأوروبي، عندما استقر الصليبيون بالشام عرفوا مدى الجهل الذي هم عليه، لذلك استعانوا بالأطباء العرب والمسلمين، وكانوا يفضلونهم على الأطباء اللاتين [٢]، وقد ظهرت في الشامعند الصليبيين فئة من الدجالين والمشعوذين الذين كانوا يمارسون الطب بدون ضابط أو قيد، مما شجع ظهور عدد كبير من الممارسين غير العارفين أو المتمردين مثل الحلاقين والنسوة غير المدربات، إلى جانب طائفة من القساوسة والرهبان الذين يمارسون الطب بدون علم مستغلين التفاف الناس حولهم لاعتقادهم فى بركتهم وقدرتهم على الشفاء [٣]، وقد حاول أحد القساوسة علاج أحد الفرسان، فاستخدم شمعاً ولينه، ثم سد به أنف الفارس من الجانبين فمات على الفور [٤]، وقد

---

(١)مالك ابن انس: ابو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الاصبحى المتوفي ١٧٩هـ/ ٧٩٥م الموطأ،تصحيح فؤاد عبد الباقي القاهرة ١٩٥١م، ص ٥٧٨.

(٢)عمر تدمرى: الحياه الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى، طبعة بيروت ١٩٧٣م، ص ٢٠١، فقد استعان أمير طرابلس ريموند الثالث ٥٤٧ - ٥٨٣هـ / ١١٥٢ . ١١٨٧م بطبيب مسيحي سوري يعرف باسم البراق، كان ماهراً بصنعة الطب، حيث أتخذه طبيباً خاصاً له أنظر: إبراهيم خميس: الأوبئة والأمراض التي تفشت بين الصليبيين في الشرق الأدنى وأثرها ١٠٩٨ـ ١٢٩١م / ٤٩١ . ٦٩٠ هـ،مجلة كلية الآداب الإسكندرية،العدد٢٢،العام ١٩٩٢م، ص ٣٠

(٣)ولديوارنت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، طبعة بيروت، بدون تاريخ / جـ ١٧، ص ١٨٧ .

(٤)اسامه ابن منقذ: الاعتبار، تحقيق فليب حتى.د.ف، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة ١٩٣٠م، ص ١٣٧، ١٣٨.

تعجب المؤرخ ابن منقذ من الطريقة التى عالج بها أحد الأطباء الفرنج لفارس من فرسانهم قد أصابه دملة في ساقه، وامرأة قد أصابتها حمى، بأن حاول قطع ساق الفارس عدة مرات إلى أن مات، وحلق شعر المرأة، وجعلها تتناول بعض الثوم فاشتدت وطأة المرض عليها، فشخص الطبيب المرض: بأن الشيطان قد دخل في رأسها، وشق رأسها على شكل الصليب، وسلخ وسطها حتى ظهر عظم الرأس، وحكها بالملح، فماتت المرأة في وقتها ؛ كما يشير ابن منقذ إلى نجاح طبيب إفرنجي آخر في مداواة أحد فرسانهم من جرح أصابه في ساقه باستخدام الخل الحاذق [١]، وعلى العكس كان حال أطباء الأيوبيين والمماليك، فقد تفوقوا في الطب و الأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما روي في أن رجلاً جاء إلى الطبيب يوحنا بن بطلان[٢]، وقد انقطع صوته،فسأله ابن بطلان عن عمله، فأفاد بأنه مغربل، عند ذلك أدرك الطبيب على الفور أن غبار الغربلة دخل الى حلقه فتراكم وأعجزه عن الكلام، فسقاه خلا حاذقاً وانفتح حلقه وتكلم، يروي أسامة بن منقذ أن رجلاً مسلماً ضربه إفرنجي بسيف فشق وجهه إلى أُذنيه،فجيء به محمولاً إلى شَيْزَر، وتولاه جرائحي فخاط وجهه وداواه فالتحم وعاد كما كان،وحدثنا أيضاً عن عمه الذي جرح في عينة إثر طعنة في إحدى المعارك أدت إلى تدلي عينه على خده، فاستطاع الجرائحي أن يعيدها إلى مكانها ويخيط الجرح بإتقان حتى أن من كان يراها لا يصدق ما حدث لها[٣].

❖ الفقر وأثره في نقل العدوى

لا شك أن سوء الحالة الاقتصادية يعد عاملاً مساعداً في انتشار الأمراض، فهناك ارتباط وثيق بين الحالة الاقتصادية للفرد وبين حالته الصحية، فالفرد الميسور الحال يمكن أن يوفر متطلباته من العلاج والغذاء والملبس والمشرب والمسكن الصحي، بعكس الإنسان الفقير الذي قد تحول ظروفه الاقتصادية دون الاهتمام بالنواحي الصحية والطبية أو الأخذ بوسائل الوقاية من

---

(١)أسامة بن منقذ: مصدر سابق،ص١٣٣-١٤٣.

(٢)أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن بطلان: طبيب حاذق من بغداد، سكن القاهرة في سنة ٤٤١ومكث فيها ثلاث سنوات، ثم سافر الى القسطنطينية ثم سكن أنطاكية الى أن مات فيها في سنة ٤٥٠ كان مسيحياً وسمي يوانيس، وله عدة كتب منها "دعوة الأطباء، وتقويم الصحة " وغيرها،خير الدين الزركلي، الاعلام دعوة الأطباء، وتقويم الصحة،ج١،ط٥، دار العلم للملايين،بيروت، ١٩٨٠م، ص١٩١.

(٣)أسامة ابن منقذ: مصدر سابق،ص١٦٣.

الأمراض (٥)، فالمياه التي يشربها أكثرها غير منقاة، مما يجعلها ضارة وغير صالحة وغير مفيدة، والعجيب أنه إذا أصاب أحد هؤلاء الفقراء لا يجد ما يعالج به نفسه،الأمر الذي يؤدي إلى استفحال مرضه، وإصابته، ونقل العدوى لمن حوله،ويظهر هذا واضحاً فى الريف، فالأماكن غير المتحضرة والفقيرة والمزدحمة بالسكان، يكون اهتمام أهلها منصرفاً إلى توفير المآكل والمشرب والمسكن فى حدود الإمكانات المتاحة، ولا شك أن هذه الإمكانات محدودة للغاية،فالغذاء يفتقر إلى التوازن بين العناصر اللازمة لبناء الجسم ونشاطه (١)، وسوء التغذية يضعف الجسم ويجعله عرضة للإصابة بالأوبئة والأمراض. والملبس البسيط مثلا لا يقي من برد الشتاء أو من حرارة الصيف، والمسكن غير الصحي الذي لا يحتوي على منافذ كافية للتهوية يكون هواؤه فاسداً، ويظهر هذا واضحاً فى الريف، بالإضافة إلى مشاركة الحيوان للفلاح في مسكنه، ومما لا شك فيه أن الجهل والفقر كانا في مسببات الأمراض خلال تلك الفترة من تاريخ مصر والشام.

❖ الانحراف الخلقي

عم الفساد الخلقي مدن الشام الخاضعة لحكم الصليبيين وخلا الرجال من النخوة والغيرة على زوجاتهم (٢)، وانتشرت مراكز البغاء فى بعض المدن مثل عكا (٣)، ووجدت كثير من العاهرات والفاسقات داخل الجيش الصليبي بصحبة القوات المقاتلة أثناء سيرها (٤)، وحتى أن " نساء الفرنج كن يخرجن بنية القتال، ومنهن من تأتى بنية راحة الغرباء لينكحوها في الغربة، فيجدون راحة وخدمة وقضاء وطر " (٥)، وكان بعض المسلمين القاطنين مع الصليبين قد شهدوا بعض

---

(١) عصام فكرى: الحضارة والمرض، مجلة عالم الفكر، طبعة الكويت، ١٩٧١م عدد ٣، مجلد ٢، ص ٣٨.

(٢)المقريزي: تقى الدين احمد بن على بن القادر الشافعي المتوفي سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، جـ ١، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة.ص ٤٤، ٤٥.

(٣) أسامة ابن منقذ: مصدر سابق،ص١٦٣.

(٤)ابن جبير: رسالة اعتبار الناسك، المعروف بالرحلة منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،١٩٨٦، ص ٢٤٩، ٢٥٢.

(٥)الأصفهانى: الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمود صبيح، طبعة القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٦٠، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٣٥٧.

(٦)ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي ٧٧٤هـ/١٣٤٣م البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، جـ١٢، دار الحديث القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ص٣٥٧،

من مظاهر الفساد الخلقي، التي لاشك تؤدي إلى انتشار الأمراض ومنها الزنا واللواط، قد وقع بعضهم في آفة العلاقات المحرمة مع النساء التي لاشك أنها أحد أسباب انتشار الأمراض الخبيثة،وكانت بعض النساء عند المسلمين بدمشق يخرجن بالليل لممارسة الرذيلة، فإذا امسكوا بإحداهن أتوا بها إلي إبراهيم بن موسى [١]، والي دمشق، وهى على حالها، ويقول لهم انزلوا حتى أقررها، ثم يقول لها: " يا بنتي أنت من بيت كبير واهلك رجال معرفون، فما الذي حملك على هذا ؟، فتقول يا سيدي قضاء الله، فيقول ستر الله عليك، ويبعث معها الخادم ليوصلها إلي بيتها لعلها تتوب " [٢] وفي سنة ٥٨٦هـ /١١٩٠م " قدم إليهم الفرنجة مركباً فيه ثلاثمائة امرأة من أحسن النساء وأجملهن، بهذه النية، فإذا وجدوا ذلك ثبتوا على الحرب والغربة، حتى أن كثيرا من فسقة المسلمين تحيزوا إليهم من أجل هذه النسوة واشتهر الخبر بذلك وشاع بين المسلمين والفرنج "[٣].

❖ الحروب

تعد الحروب أحد العوامل البشرية المسببة للأمراض، وهى تنجم عن سياسات الحكام، فالحروب يصنعها البشر،وهى من العوامل الهامة التي تساعد على ظهور الأمراض بين القوات المتحاربة،أو بين أهالي المدن والمناطق المحاصرة بسبب تعفن جثث الموتى، أو حدوث المجاعات بسبب الحصار الذي يطول على أهالي المدن، مما يسبب الأمراض والأوبئة،وقد حفل تاريخ =

والوطر: الحاجة فيها مأرب، والجمع اوطار ويقال قضي منها وطره، أي نال منها بغيته انظر. مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، ص ٦٧٤.

(١)إبراهيم بن موسي: هو المبارك بن موسي المعروف بالمعتمد والى دمشق، ولد بالموصل، وقدم دمشق فخدم فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، وتقلبت به الأحوال، واستنابه أخو فرخشاه لأمه بدر الدين مودود، الشحنة الشرطة بدمشق، ثم ولاه العادل الشحنكية بدمشق استقلالاً فأحسن السياسة ولطف بالرعية وتوفى سنة ٦٢٣هـ انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٣، ص ١٣٤، ١٣٥،أبو شامه: الذيل على الروضتين،وضع حواشيه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين،ط١،دار الكتب العلمية،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ١٥٠، ١٥١ .

(٢)أبو شامه: المصدر سابق، ص ١٥٠، ١٥١.

(٣)ابن كثير: المصدر سابق، جـ١٣، ص٣٥٧.

مصر والشام خلال العصرين الأيوبي والمملوكي بالكثير من الحروب، سواء بين المسلمين والصليبيين، أو بين أفراد البيت الأيوبي أو أفراد البيت المملوكي وبعضهم بعضاً، مما كان له أبلغ الأثر على القوات المتحاربة، وعلى أفراد الشعب القاطنين بالقرب من مواقع المعارك:ففي سنة ٥٧٥ هـ /١١٧٩ م، وعند تخريب القوات الإسلامية بقيادة صلاح الدين لحصن الأحزان، وهو مسكن يعقوب عليه السلام الذي أقام فيه أيام حزنه على ابنه يوسف عليه السلام، ويقع بين دمشق والساحل[١] بعد فترة حصار دامت أربعة عشر يوما أصيبت هذه القوات بالوباء، وذلك بسبب حرارة الجو الشديدة التي أدت إلى تعفن جثث القتلى من الجانبين، وزاد من ذلك إصرار السلطان صلاح الدين على البقاء في هذا المكان حتى يتم هدم الحصن عن آخره، ومن أجل ذلك" أقام السلطان صلاح الدين في مخيمه والأموات قد جافت وقال: " لا ابرح من مكاني حتى أهد الموضع، فقسمه أذرعا على الأمراء، ولم يزل مكانه حتى كمل خرابه، وكان قد حفر الفرنج في أعلى التل جباً واسعاً وبنوه بالحجارة، وأحكموه حتى نبع معينه، فأمر السلطان بهدمه وطمه، ورجع إلى دمشق مؤيد ا منصورا "(١)،ومن ذلك ندرك أن حاله الإعياء الشديد التي أصابت قوات المسلمين نتيجة المجهود الضخم الذي بذلوه في هدم هذا الحصن،بالإضافة إلى إقامتهم لفترة طويلة في مكان القتال حيث تعرضوا للأبخرة النتنة والملوثة،المتصاعدة من جثث القتلى وأشلائهم، مما جعلهم عرضة للإصابة بالأمراض والأوبئة، وفي سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م أرسل السلطان الناصر صلاح الدين إلى العساكر الحلبية والجزيرية والمصرية والشامية أن يقدموا عليه لقتال الفرنج الذين انهزموا قاصدين قلعة الكرك (٢)، فأرسل وراءهم صلاح الدين من قتل منهم مقتلة عظيمة (٣)، كما هاجم صلاح الدين بقواته التي قسمهما إلى مجموعات، القرى

---

(١)ابن شاهنشاه الأيوبي: محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب،المتوفى سنة ٦٠٧هـ/١٢٢٠م،مضمار الحقائق وسر الخلائق،تحقيق حسن حبشي،دار الهنا للطباعة،عالم الكتب القاهرة،١٩٦٨م، ص ٢٤.

(٢)قلعة الكرك: هي قلعة حصينة تقع طرف الشام علي جبل عال تحيط بها الأودية إلا من جهة الربض، ويقال أنها كانت ديرا للروم ثم بني حصنا بعد ذلك انظر الأنصاري: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق وتصحيح أغسطس بن يحيى، طبعة ١٨٦٥م ص٢١٣.

(٣)ابن كثير:مصدر سابق،حـ١٢، ص ٣٣٧، وأصر صلاح الدين بعد ذلك سنة ٥٨٤هـ /١١٨٨ م علي حصار قلعة الكرك، مما اثر علي الصليبيين داخلها حيث نفذت ذخائرهم وعدمت أقواتهم، حتى اضطروا مع طول المدة الى أكل دوابهم انظر ابن العديم:كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن وهبة الله بن العديم ت٦٦٠هـ، زبدة الحلب في

والقلاع والمناطق التابعة للصليبيين، وألحق بهم خسائر فادحة، مما دفعهم للخروج للتصدي لقوات المسلمين التي ضيقت عليهم الخناق وحالت بينهم وبين وصول أي تعزيزات أو إمدادات مما أدي إلى سرعة انتشار المجاعة بين القوات [١]، كما شهدت سنة ٥٨٣هـ /١١٧٨حروبا بين قوات السلطان صلاح الدين وبين القوات الصليبية، كان أولها في حطين، حيث تعرض الصليبيون لهزيمة منكرة، بلغت جملة القتلى منهم حوالي ثلاثين ألفا،فلم يسلم منهم إلا القليل، هرب أكثرهم جرحى فماتوا في بلادهم، ثم قتل السلطان جميع من كان من الأسرى وأراح المسلمين من هذين الجنسين الخبيثين [٢]، ولنا أن نتخيل هذا العدد الضخم من القتلى الذي بلغ ثلاثين ألفا من الصليبيين وحدهم، غير الذين قتلهم السلطان من الأسرى، وذلك بالإضافة الى قتلى المسلمين، فكيف يتسنى لمكان ضيق من الأرض أن يحتوي كل هذا العدد الضخم من الجثث، الأمر الذي شكل صعوبة في مواراة هذه الجثث التراب، وأدى الى تراكمها وتحللها وتصاعد الأبخرة النتنة والملوثة منها، وهو ما سبب كثيراً من الأمراض والأوبئة، وظهر ذلك بوضوح في نفس السنة وذلك حينما اتجه صلاح الدين بقواته لفتح صور وتخليصها من أيدى الفرنج، فطال حصاره لها دون جدوي، على الرغم من المحاولات التي بذلها، فرحل عنها استجابة لرأي أمرائه، خاصة وأن الشتاء كان قد أقبل واشتد البرد [٣]، وأجهد رجاله وأنهكت قواهم ووقع فيهم المرض والإعياء [٤]، ولاشك أن هذا كان مرده في المقام الأول إلى عدم صحية الأماكن التي يتواجدون فيها، وفي سنة ٥٨٥هـ /١١٨٩ م اجتمع من كان بصور من الفرنج =

تاريخ حلب وضع حواشية خليل المنصور،ط١، حـ٣، دار الكتب العلمية،١٤١٧هـ/١٩٩٦م،ص١٠٧، الصفدي:خليل بن أيبك، تاريخ دول الإسلام، طبعة مصر، ١٩٠٧،حـ٢، ص٢٣٤، ابو شامة:الروضتين في أخبار الدولتين، ق٢، ص١٩٤.

(١)وليم الصوري الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، طبعة القاهرة، ١٩٩٥ م، حـ ٤، ص ٣١٩ الى ٣٢٣.

(٢) ابن كثير:مصدر سابق، جـ١٢، ص ٣٤٣، ٣٤٤.

(٣)أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ق٢،ص١٨٠، ابن الاثير:المصدر السابق، جـ٩،ص ١٨٦، ١٨٧.

(٤) حمداحمد عبد الله: بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية، الطبعة الأولى، القدس، ١٤٠٢ هـ، ص٢٤٨.

قواهم ووقع فيهم المرض والإعياء (١)، ولاشك أن هذا كان مرده في المقام الأول إلى عدم صحية الأماكن التي يتواجدون فيها، وفي سنة ٥٨٥هـ /١١٨٩ م اجتمع من كان بصور من الفرنج وساروا إلى مدينة عكا يحاصرونها، فتحصن من كان فيها من المسلمين، وانتظر الفرنج حتى وصلت اليهم الإمدادات من البحر، وبرزت الفرنج من مراكبها إلى مواكبها في نحو من ألفي فارس وثلاثين ألف راجل، فبرز إليهم السلطان فيمن معه من الشجعان، فاقتتلوا بمرج عكا قتالا عظيما، وهزم جماعة من المسلمين في أول النهار، ثم كانت الدائرة على الفرنج (٢)، وانتهى الأمر بهزيمتهم، وكثر عدد قتلاهم وتلوثت المياه وأصيب من شرب منها بالأمراض، وفي الوقت نفسه تمكن من تطهير المكان من أكبر قدر من الجثث، إلا أن كثرة الجثث وسرعة تحللها حال دون تحقيق هذا الهدف، حيث "جافت الأمراض من نتن ريحهم،وفسد الهواء والجو،ووجدت الأمزجة فسادا أو انحراف مزاج صلاح الدين " (٣)، وأدى ذلك إلى تفشي الأمراض بين القوات،وهو ما دعا الأمراء للاجتماع بصلاح الدين حيث أشاروا عليه بالانتقال من هذا الموضع خوفا عليه وعلى قواته(٤)، فانتقل بقواته إلى موضع يقال له الخروبة (٥)، ومن ذلك نستشعر مدى خطورة الحروب ودورها في نشر الأمراض والمجاعات،بالإضافة إلى استنزافها للموارد الاقتصادية، وهو ما يؤثر بلا شك على حياة الناس الصحية.

---

(١) حمداحمد عبد الله: بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية، الطبعة الأولى، القدس، ١٤٠٢ هـ، ص٢٤٨.

(٢)ابن كثير:المصدر السابق، حـ١٢، ص٣٥٥،ابن شداد: بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المتوفي سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٩م،النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط١، القاهرة،١٩٦٤م، ص١٠٩، ١١٢، ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، تحقيق حسين نصار طبعة القاهرة، ١٩٧٠ م.

(٣)ابن الأثير:المصدر السابق،جـ٩، ص٢٠٤.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه، ص ١١٤، ابو شامة:الروضتين في أخبار الدولتين،ق٢، ص٢٠٧.

(٥)الخروبة:حصن بسواحل الشام مشرف علي عكا انظر:يا قوت: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ولد سنة ٥٧٤ هـ/١١٧٨م معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي،ط١، دار الكتب العلمية،د.ت،جـ٢،ص٤١٥ وقد انتقل صلاح الدين بقواته الى هذا المكان بعد أن وافق الأطباء الذين كانوا بصحبته علي ذلك بعد أن رأو أن المرض بدا ينتشر بين القوات في الموضع السابق، انظر ابن الاثير:المصدر السابق جـ٩، ص٢٠٤ .

ومازال هذا السيل المتدفق من الحروب قائما خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، ففي سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م، وصلت إمدادات الغرب الأوروبي لإخوانهم الصليبيين المحاصرين لعكا على أثر نداء أطلقته البابوية ينادى ملوك أوروبا بالقيام بحمله صليبية تسترد بيت المقدس من المسلمين وتثأر مما حل بالصليبيين على يدي صلاح الدين، وقد استجاب لهذه الدعوة ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا، وفيليب أوغسطس ملك فرنسا، وفردريك بربروسا إمبراطور ألمانيا [١]، وكان وصول هذه القوات بمثابة رفع للروح المعنوية للقوات الصليبية المحاصرة لعكا، وهو ما زاد من قوتها، فى الوقت الذي استاء فيه المسلمون من هذه الجموع الصليبية الضخمة [٢] التي خرجت من بلادها مستنفرة لنصرة دينهم ونبيهم، وموضع حجهم [٣]، لذلك شددت الحصار على عكا، مما جعل موقف حاميتها يزداد سوءاً يوماً بعد يوم [٤]، لا بل أخذت الأقوات والذخائر الحربية تنفذ[٥] فأرسلوا يطلبون النجدة من السلطان صلاح الدين الذي حاول التقليل من معاناة أهل المدينة من خلال إرسال سفينة كبيرة محملة بالمؤن والأسلحة والرجال، ولكنها لم تستطع الوصول إلى عكا، حيث اعترضها ملك إنجلترا بقواته، فانتهى مصيرها إلى الغرق،فحاول صلاح الدين صرف نظر الصليبيين عن عكا عن طريق مناوشتهم في أماكن أخرى [٦]، ولكن كل ذلك لم يفلح،مما جعل معاناة أهل البلد تزداد، وهو ما مكن الصليبيين من اقتحام أسوار عكا، فى الوقت الذي تحيز فيه المسلمون الذين بها، إلى ناحية من البلد معتقلين ومحاط بهم [٧]، مما جعلهم يعرضون تسليم المدينة مقابل الأمان [٨]، لكن الصليبيين غدروا بأهل المدينة وقبضوا على عدد كبير منهم بلغوا قرابة الثلاثة آلاف مسلم فى الحبال،

---

(١)سعيد عاشور: الحركة الصليبية، جـ٢، ط٤، القاهرة ١٩٨٢م ص٨٤٤.

(٢)ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ١٥٦، ١٥٧، ١٦١.

(٣)ابن كثير: مصدر سابق، جـ ١٢، ص ٣٥٧.

(٤)سعيد عاشور: الحركة الصليبية، حـ٢، ص٦٧٩.

(٥)ستيفن رنسيمان:ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م، حـ٢، ص٩٨.

(٦)ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم بن واصل المتوفي سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٨م مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، طبعة القاهرة ١٩٥٣-١٩٦٠م، حـ٢، ص ٣٥٠.

(٧)ابن كثير: البداية والنهاية، حـ١٢، ص ٣٦٧.

(٨)ابن واصل: المصدر السابق، حـ٢، ص ٣٥٩، ٣٦٠.

ووقفوا بهم وحملوا عليهم حملة الرجل الواحد فقتلوهم صبراً وطعناً وضرباً [١]، وقد ترتب على هذه المذبحة التي قام بها الصليبيون انتشار الوباء في المنطقة كلها،نتيجة كثرة الجثث وتعفنها [٢]، بالإضافة إلى أنه خلال السبعة والثلاثين شهراً التي استغرقتها الحروب حول عكا.

كان جملة من قتل من الفرنج وحدهم خمسين ألفاً[٣]، فلا شك أن هذه الأرقام الكبيرة من القتلى من الجانبين قد أدت إلى تلوث هواء هذه المنطقة، لدرجة أنه يمكن القول بأنها قد صارت منطقة موبوءة ثم سار الصليبيون برمتهم بعد ذلك قاصدين عسقلان، والسلطان صلاح الدين بجيشه يسايرهم ويعارضهم،كان المسلمون يتخطفونهم ويسلمونهم فى كل مكان، وكل أسير أتي به إلى السلطان، كان يأمر بقتله في مكانه، وجرت خطوب بين الجيشين ووقعات متعددات، ثم طلب ملك انجلترا أن يجتمع بالملك العادل أخي السلطان يطلب منه الصلح والأمان، على أن يعاد لأهلها بلاد السواحل، فقال له العادل: إن دون ذلك قتل كل فارس منكم وراجل، فخرج اللعين غضبان،ثم اجتمعت الفرنج على حرب السلطان عند غاية ارسوف، فكانت النصرة للمسلمين، فقتل من الفرنج عند غاية ارسوف ألوف بعد ألوف، وقتل من المسلمين خلق كثيرا أيضا[٤]، وكان تخريب عسقلان أحد وسائل منع الصليبيين من أخذ بيت المقدس أو يجرى عندها من الحرب والقتال نظير ما كان عند عكا أو أشد. إن المتأمل فى النتائج المرتبة على قتل هذه الألوف من المسلمين والصليبيين، الإضافة إلى ما حل من خراب ببعض المدن مثل عسقلان، حيث يشير إلى ذلك ابن كثير بقوله " وألقيت النار في سقوفه

---

(١)ابو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين، ق٢، ص٢٥٠، ابن كثير: المصدر سابق، حـ١٢، ص ٣٦٧، وقد أرسل السلطان صلاح الدين الى الفرنج فى خلاص من بأيديهم فى الآسارى، فطلبوا منه عدتهم من أسراهم، ومائة ألف دينار وصليب الصلبوت إن كان باقياً، فارسل فاحضر المال والصليب، ولم يتيسر له فى الأسري إلا ستمائة، فطلبوا منه أن يريهم الصليب من بعيد ثم طلبوا منه أن يرسل لهم الأسرى والمال، فرفض حتى يرسلوا اليه أسرى المسلمين فقالوا لا ولكن ارسل لنا وأرض بأماناتنا، فعلم انهم يريدون الغدر فلم يرسل اليهم شيئا، فقتل الفرنج من المسلمين ثلاثة ألاف مسلم فى صعيد واحد، وكانت مدة إقامة صلاح الدين مرابطاً على عكا سبعة وثلاثين شهراً انظر: ابن كثير: المصدر سابق: حـ١٢، ص ٣٦٧ .

(٢)سيد على الحريرى: الاخبار السنيه، طبعة القاهرة، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م، ص٢٥٥، ستيفن رنسيمان: مرجع السابق، حـ٣، ص١٠٦، ١٠٧.

(٣) ابن كثير: المصدر السابق، حـ١٢، ٣٦٧.

(٤)ابن كثير: المصدر سابق جـ١٢، ص٣٦٨.

(يعنى عسقلان) وأتلف ما فيه من الغلات التى لا يمكن تحويلها ولا نقلها، ولم يزل الخراب والحريق فيه من جمادى الآخرة، إلى سلخ شعبان من هذه السنة " أي أن الحريق استمر أكثر من شهرين تتصاعد منه الأدخنة الملوثة للهواء – لسوف يدرك أنه لابد أن تنجُم عن ذلك أمراض تحل بهذه المنطقة نتيجة وجود هذه الملوثات سواء المتصاعدة من جثث البشر أو المتصاعدة من هذه النيران.ثم إن الحروب ازداد اشتعالها بعد موت السلطان صلاح الدين، وفى هذه المرة كان أبناء البيت الأيوبي بعد موت الملك العزيز عثمان سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٩م حينما استدعى المصريون الجيوش العادلية من بلاد الشام، بعد أن يئس الأفضل [١]، بن صلاح الدين من تولى الامر في مصر بسبب اختلاف الناس عليه، فأخذ جيشاً كثيفاً من المصريين، وأقبل بهم ليسترد دمشق فى غيبة عمه العادل، فلما انتهى إليها ونزل حواليها، قطع أنهارها وعقر أشجارها وأكل ثمارها وكثر جيشه وقوي بأسه، ولكن عمه سبقه إلى دمشق فحصنها، فحاصرها الأفضل حتى انسلخ الحول، فلما يئس انصرف عنها [٢]، ولاشك أن كل هذا التخريب كان تأثير على الحالة الصحية العامة بدمشق.ثم انتقل ميدان القتال من أرض الشام إلى مصر بعد ذلك، وفى هذه المرة لم يكن بين أبناء البيت الأيوبي، وإنما كان بين الصليبيين والمصريين، حيث أدرك الصليبيون أن بقاءهم بالشام وسيطرتهم على بيت المقدس مرهون باستيلائهم على مصر[٣]، باعتبارها قلب العالم الإسلامي ومركز مقاومته الحقيقي، حيث تخرج

---

(١)الأفضل بن صلاح الدين: هو أحد أولاد صلاح الدين السبعة عشر الذكور وهو أكبرهم سناً، ويسمى الأفضل نور الدين على وقد ولد بمصر سنة خمس وستين وخمسمائة من الهجرة، وقد قسم صلاح الدين تركته بين أولاده واخوته، فكانت دمشق وما حولها من نصيب الأفضل نور الدين على ثم شرعت الأمور تضطرب بعد ذلك وتختلف فى جميع الممالك، حتى آل الأمر واستقرت الممالك واجتمعت الكلمة على العادل أبى بكر، وصارت المملكة فى أولاده من بعده انظر: ابن كثير، المصدر سابق، حـ١٣، ص٥، ٧، ٨.

(٢) ابن كثير: المصدر سابق، جـ١٣، ص ٢٥.

(٣)عبد ا لرحمن الرافعي، سعيد عاشور، مصر فى العصور الوسطى،القاهرة،١٩٩٧م، ص ٣٤٥، احمد عبد الحميد خفاجى: جوانب من الحياة الاجتماعية فى مصر فى العصر الأيوبي، مجلة كلية الآداب،جامعة الاسكندرية،١٩٨١/١٩٨٢م، عدد ١٩،ص١.

منها الإمدادات والجيوش لمواجهة أي عدوان على البلاد الإسلامية. ففي سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م وفى شهر ربيع الأول منها، نزلت الفرنج على دمياط، وأخذوا برج السلسلة(١).
فى جمادى الأولى، وكان حصناً منيعاً وهو قفل بلاد مصر (٢)، وأحكموا حصار دمياط براً وبحراً(٣)، ومنعوا وصول أي مساعدات إلى داخل المدينة(٤)، رغم جهود السلطان الكامل التى بذلها حيث جمع عشرين ألف مقاتل لمجابهة الفرنج (٥)، إلا أن حصار الصليبيين لدمياط استمر حتى السابع والعشرين من شعبان سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م (٦)، ولنا أن نتخيل هذه المدة الطويلة من الحصار والآثار التى نجمت عنها، حيث عانى أهل المدينة وحاميتها من مجاعة شديدة حتى عدمت الأقوات، فلم يبق عندهم غير شيء يسير من القمح والشعير فقط (٧)، وبلغ ثمن رغيف الخبز ثقله فضة وغلت الأسعار حتى بيعت البيضة الواحدة من بيض الدجاج بعدة دنانير، وصار السكر فى عزة الياقوت الأحمر، وفقدت اللحوم فلم يقدر عليها، واشتد البلاء لدرجة أن الطرق قد امتلأت بالأموات، وساء الأمر أكثر حتى وصلت المجاعة الى الخيل والدواب، حيث كانت تأكل مدة المحاصرة من أوراق الأشجار وعلى الرغم كل هذه المصاعب، فقد ثبت أهل دمياط واستبسلوا فى الدفاع عن مدينتهم حتى اضطروا إلى أكل الميتة، وهو ما كان سبباً فى

---

(١) برج السلسلة: وهو كالقفل على ديار مصر وصفته، وصفته فى وسط جزيرة فى النيل عند انتهائه الى البحر ومنه إلى دمياط، وهو على شاطئ البحر، وحافة سلسلة منه الى الجانب الآخر، وعليه الجسر وسلسلة آخرى لتمنع دخول المراكب من البحر الى النيل فلا يمكن الدخول: انظر: ابن كثير: المصدر سابق، حـ١٣، ص ٩٤ .

(٢) ابن كثير: المصدر سابق، جـ ١٣، ص ٩٤.

(٣) ابن الراهب: أبو شاكر بطرس بن أبي الكرم بن المهذب، تاريخ ابن الراهب، نشر لويس شيخو، طبعة بيروت، ١٩٠٣، ص ٩٥ ن ابن سعيد: النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة، ص٣٩٣، المقريزى: السلوك، حـ١، ق١، ص١٩٨.

(٤) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك:تحقيق محمد مصطفى زيادة، طبعة القاهرة ١٩٥٧م، حـ١، ق١، ص١٩٨، ابن واصل: المصدر السابق، حـ٤، ص١٨، ١٩.

(٥) ابن إياس: محمد بن احمد بن إياس الحنفي المتوفي سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٣م بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج١، مكتبة مدبولى، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥ م، ص٩٧.

(٦) ابن واصل: المصدر السابق، حـ٤، ص٣٢، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، حـ٩، ص٣١٦، وقيل أن مدة المحاصرة فى ثغر دمياط بلغت ستة عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً انظر: ابن إياس: المصدر السابق، حـ١، ص ٩٧.

(٩) المقريزى: السلوك، حـ١، ق١، ص٢٥٩.

انتشار الوباء والفناء بينهم بشكل كبير [١]، الأمر الذي أدى إلى إضعافهم وإهلاك أعداد كبيرة منهم، وجعلهم غير قادرين على المقاومة نظراً لقلتهم، وهو ما اضطر أهالى دمياط إلى تسليم المدينة للصليبيين مقابل أن يخرجوا سالمين بأهاليهم واموالهم " فاجتمع القساوسة وأحلفوهم على ذلك، ففتح لهم أهل دمياط الأبواب، فدخلوا ورفعوا أعلامهم على السور وغدروا بأهلها ووضعوا فيهم السيف قتلاً وأسراً، وباتوا تلك الليلة يفجرون بالنساء، واخذوا المنبر وكان من أبنوس والمصاحف ورؤوس القتلى وبعثوا بها إلى الجزائر، وجعلوا الجامع كنيسة " [٢]، وبعد سقوط دمياط فى أيدى الصليبيين، شهدت هجرة ونزوح أعداد كبيرة من الفرنج إليها حيث أقاموا بها [٣]، وبعد أن استقر الصليبيون بدمياط اندفعوا بمحاذاة النيل من أجل الاستيلاء على

---

(١) ابن ايبك:أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدوداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة،صدر في الفترة من ١٩٦١-١٩٩٢م،حـ٧، ص٢٠٣، الحريري: الاعلام والتبين فى خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق سهيل زكار، طبعة دمشق، ١٩٨١، ص ٩٢، سبط بن الجوزى،شمس الدين أبو المظفر قزواغليت٦٥٤هـ/١٢٥٦م مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان،تحقيق مسفر بن سالم الغامدي، مطبعة جامعة أم القرى،مكة المكرمة ١٤٠٧هـ، ١٣٧١ هـ / ١٩٥١م، حـ٨، ق٢، ص ٦٠٣، أبو شامه: الذيل على الروضتين، ص١١٦، ١١٧.

(٢)أبو شامه: الذيل على الروضتين،ص١١٧، ابن كثير: مصدر سابق، ج١٣، ص٩٩،كما شهدت سنة ٦١٦هـ أحداثاً خطيرة ببلاد الشام أيضاً، حيث أخرب المعظم أبراج القدس وأسواره خوفاً من استيلاء الفرنج عليه، فاضطرب الناس وخرجوا متفرقين فى البلاد وهان عليهم مفارقة ديارهم، وضياع أموالهم وقد كان القدس على أتم الأحوال من العمارة، وكثرة السكان، وكان المعظم قد توجه إلى أخيه الكامل إلى دمياط، وبلغه أن طائفة من الفرنج على عزم القدس فاتفق الأمراء على خرابه، وقالوا قد خلا الشام من العساكر، فلو آخذه الفرنج، حكموا على الشام، وكان بالقدس أخوة العزيز عثمان، وعز الدين أيبك استادار، فكتب المعظم اليهما بخرابة، فتوقفا وقالا نحن نحفظه، فكتب اليهما المعظم، لو اخذوه لقتلوا كل من فيه،وحكموا على دمشق وبلاد الشام، فألجأت الضرورة إلى إخرابه فشرعوا فى السور أول يوم من المحرم، ووقع فى البلد ضجة مثل يوم القيامة، وخرج النساء المخدرات والبنات والشيوخ والعجائز، والشبان، والصبيان إلى الصخرة والأقصي، فقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم، بحيث امتلأت الصخرة ومحراب الأقصي من الشعور، وخرجوا هاربين وتركوا أموالهم واثقالهم، وما شكوا أن الفرنج تصحبهم، وامتلات بهم الطرقات فبعضهم الى مصر وبعضهم الى الكرك وبعضهم الى دمشق، وكانت البنات المخدرات تمزقن ثيابهن وتربطها على أرجلهن من الحفا، ومات خلق كثير من الجوع والعطش وكانت نوبة لم يكن فى الإسلام مثلها، ونهبت الأموال التى كانت لهم فى القدس، وبلغ قنطار الزيت عشرة دراهم ورطل النحاس نصف درهم انظر: أبو شامه: المصدر سابق، ص ١١٦.

(٣)الذهبي تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، بيروت ١٩٨٨م،بغداد ١٩٧٧م، ص ٢٨.

القاهرة، ولكن الحنكة الحربية للمسلمين أفشلت مشروع الصليبيين فى الوصول إليها، وذلك عندما فتح عليهم المسلمون السدود، فحاصروا وسط المياه والوحل، ولم يجدوا أمامهم سوي الصلح مع السلطان الكامل للخلاص من هذا الموقف الصعب، وذلك في مقابل جلائهم عن دمياط ورحيلهم عن مصر (١)، " فوقع الصلح على ما أراد الكامل محمد بيض الله وجهه وملوك الفرنج والعساكر كلها واقفة بين يديه، ومد سماطا عظيما فاجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر، وأنشد الشعراء فرحا بهذه المناسبة "، وكان ذلك فى سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م (٢)، أما فى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م، فقد استهلت هذه السنة وملوك بنى أيوب متفرقون مختلفون، وقد صاروا أحزاباً وفرقاً، حيث توغرت صدورهم على الملك الكامل بعد تسليم بيت المقدس إلى الفرنج، وكانت هذه من الوصمات التى دخلت على المسلمين (٣)، وقد شهدت هذه السنة بالذات أخطر حوادث التخريب والتدمير والإحراق والقتل والسلب والنهب بين أفراد البيت الأيوبي، إلا أنها انتهت بتوقيع الصلح بين الكامل والناصر صاحب دمشق(٤).

وامتداداً لسلسلة الحروب المتصلة خلال العصر الأيوبي، فقد دخلت سنة ٦٤٣هـ /١٢٤٥م، ودمشق يومئذ محاصرة عن قبل عساكر السلطان نجم الدين أيوب من قبل المصريين ففي ليلة الثامن من المحرم، "أحرق قصر حجاج والشاغور، واستولى الحريق على مساجد وخانات ودور عظيمة، ومن ذلك مسجد جراح وكان مسجد تقام فيه الجمعات، ثم نصبت على دمشق المجانيق، ورميت به، بين بابي الحبانية والصغير، ونصبت أيضا مجانيق داخل البلد، وترامي الفريقان، وأمر بتخريب جارة العقيبة خارج باب الفراديس، وباب السلام، وباب الفرج، وأحرق حكر السماق، خارج باب النصر، واشتد الغلاء وعظم البلاء، وزادت اوقية الخبز علي نصف درهم، وبلغ التبن أن بيع كل اوقية بقرطاس، وجرى بدمشق أمور بشعة جدا لم يسمع بها من قبل، وامتد الحصار شهورا من هذه السنة إلى جمادي الأول، إلى أن تم الصلح بين نجم

---

(١)الحريري: المصدر السابق، ص٩٤، ٩٥، الحنبلى: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الناضل بن أبي على الطى الحنبلى،المتوفي ٧٠٦هـ/١٣٠٩م شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب، تحقيق ناظم رشيد العراقي طبعة بغداد ١٤٠١هـ/١٩٧٨م، ص٣٠٦، أبو شامه: الذيل على الروضتين، ص ١٢٨ - ١٣٠.

(٢) ابن كثير: مصدر سابق، جـ ١٣، ص ١١٢،١١١، أبو شامه: المصدر سابق، ص ١٢٩، ١٣٠

(٣)ابن كثير: مصدر سابق، جـ ١٣، ص ١٤٣، أبو شامه: الذيل على الروضتين، ص ١٥٤.

(٤) أبو شامه: المصدر سابق، ص ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦.

دمشق لنجم الدين أيوب(١)، الآن ذلك لم يعجب الخوارزمية الذين لم يحضروا الصلح فعاثوا في الأرض فسادا (٢)، ثم ما لبثوا أن تحالفوا مع الصالح إسماعيل وحاصروا دمشق،فجمع نجم الدين أيوب حلفائه في الحلبين والتراكمان والأعراب لاستنقاذ دمشق من الخوارزمية وحصارهم إياها،والتقت جيوشه مع الخوارزمية، وقدم الملك الصالح نجم الدين أيوب من مصر فدخل دمشق وأحسن إلى أهلها(٣)، ولم يكد الأمر يستقر للملك الصالح نجم الدين أيوب في دمشق ومصر حتى وصلت إلى مصر في سنة ٦٤٧هـ /١٢٤٩م حملة صليبية ضخمة علي رأسها لويس التاسع ملك فرنسا، وهي المعروفة بالحملة الصليبية السابعة[١]، حيث جاءت إلى ثغر دمياط في حوالي مائتي مركب مشحونه بالرجال، غير من أتى من البر من المقاتلين، ونزلت القوات علي الضفة الغربية للنيل لتكون في مواجهة المدينة وتتمكن من حصارها، وحدثت المواجهات بين القوات الاسلامية التي ارسلت من قبل الملك الصالح نجم الدين أيوب لنجدة دمياط وبين القوات الصليبية، وانتهى الامر بهزيمة القوات الإسلامية وتراجعها (٤)، وقد كان لذلك أسوا

---

(١) ابن كثير:مصدر سابق، جـ١٣،ص١٨٩، ص١٩٠.

(٢)عاث الخوارزمية فسادا في الارض، فساروا نحو داريا من مدن الشام فنهبوها، وخاف الناس من ذلك فغلت الاسعار في هذه السنة جدا، حتى هلك الصعاليك بالطرقات، وكانوا يسالون لقمه ثم صاروا يسألون لبابه، ثم تنازلوا الى فلس يشترون به نخاله يبلونها وياكلونها كالدجاج انظر بن كثير:مصدر سابق، جـ١٣،ص١٩٠،ابو شامة:الذيل على الروضتين،ص١٧٨ كما ادي حصار الخوارزمية لدمشق، الى أن ضاق الحال علي الدماشقة فعدمت الاموال وغلت الاسعار جدا، حتى بلغ ثمن الغرارة وهي وعاء من الخيش يوضع فيه القمح ونحوه،انظر مصطفى وآخرون، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر محمد النجار: المعجم الوسيط،تحقيق: مجمع اللغة العربية، د.ت، ص٦٧٢الف وستمائة،وقنطار الدقيق تسعمائة، والخبز كل وقيتين الأربع بدرهم ورطل اللحم بسبع، وبيعت الأملاك بالدقيق، واكلت القطط والكلاب والميتات والجيفات وتماوت الناس في الطرقات وعجزوا عن التغسيل والتكفين والاقبار فكانوا يلقون موتاهم في الابار حتى انتنت المدينة وضجر الناس انظر. ابن كثير:مصدر سابق، جـ١٣،ص١٩٠.

(٣)ابن كثير: المصدر سابق،جـ١٣،ص١٩٠، ابو شامة:الذيل علي الروضتين ص١٧٩،١٧٨.

(٤) الصفدي:تاريخ دول الإسلام،طبعة مصر،١٣٢٥هـ /١٩٠٧ م، ص٢٦٦،ابو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن علي،المتوفي ٧٣٢هـ، المختصر في أخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه: محمود ديوب،ج٣، ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص١٧٨،وقائد الحملة هولويس التاسع ملك فرنسا وكان قد استولي علي غالب بلاد الاندلس وسبي اهلها وقتل من المسلمين ما لايحصي عددهم، ونهب اموالهم، لذلك كانت دمويته

الأثر على معنويات اهل دمياط، فأصابهم الخوف واليأس من المصير الذي يمكن أن يلقوه علي أيدي الصليبين، لذلك هربوا تحت جنح الليل [١]، فهربت حامية المدينة وأهلها وتركوا المدينة مفتوحة " صفراً من الناس، وأبوابها مفتحة، فظنوا (الصليبيين) أنها مكيدة فتوقفوا عن دخولها، ثم لما طال عليهم الوقوف تيقنوا خلوها من أهل الإسلام، وليس فيها من يمنعهم، فدخلوها وملكوها صفوا عفوا واجتووا على كل ما فيها من العدد والأسلحة، والذخائر والأقوات والمجانيق " وكان سقوط دمياط كارثة حلت بالمسلمين، لذلك حاول الملك الصالح نجم الدين أيوب رفع الروح المعنوية للمحاربين المسلمين، وذلك من خلال معاقبة المقصرين الذين كانوا سبباً فى سقوط دمياط، فأحضر نائب دمياط وشنقه، وشنق معه نحو خمسين أميراً بسبب خروجهم من دمياط بغير إذن من السلطان، " ثم نادى فى الناس بأن النفير عام، فخرج الناس قاطبة وسائر الأمراء، وخرج الملك الصالح فى محفة، وكان مريضاً على غير استواء، حتى وصل إلى المنصورة ونزل بها وأمر بجمع العربان فى سائر النواحي، فاجتمع من العالم ما لا يحصي " [٢]، وصار القتال بين المسلمين والفرنج كل فرقة تقتل من الأخرى، وتم أسر جماعة كثيرة، والسلطان يتزايد مرضه كل يوم حتى يئس منه الأطباء، ثم ما لبث أن توفي بالمنصورة، فأخفت زوجته شجرة الدر هذا الخبر [٣]، وأرسلت في استدعاء ابنه الوحيد توران شاه (٦٤٧ . ٦٤٨هـ / ١٢٤٩ . ١٢٥٠م).

________ =

وسفكه للدماء تسبقه الى مدينة دمياط، لذلك خاف منه الاهالي اشد الخوف لدرجة انه بعث الى نائب دمياط يحذره ويذكر له ما جري لاهل الاندلس من القتل والسبي،لذلك لما سمع اهل دمياط ذلك هربوا تحت جنح الليل انظر. ابن إياس:بدائع الزهور في وقائع الدهور،جـ١،ص١٠٤،١٠٣.

(١) ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن محمد الشماع، طبعة البصرة، ١٩٦٧، مجلد ٤، ج١، ص ١٨.

(٢)ابن إياس: المصدرسابق، جـ١، ص١٠٤، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، جـ٣، ١٧٩.

(٣)كانت المراسيم تخرج كل يوم بعلامة السلطان فلا يشك من يراها أنها بخط السلطان الصالح، وكانت الأمراء تجتمع فى الموكب ويظهرون أن السلطان مريض، وكانت الأطباء تدخل على جرى العادة فى كل يوم، وكان طبق المزوار يدخل

صاحب حصن كيفا [(١)] وديار بكر [(٢)]، ليخلف أباه في الحكم [(٣)]، فحضر إلى المنصورة، وقد جاء فى عسكر عظيم من الأكراد من عساكر حصن كيفا، وأشيع موت الملك الصالح، وتسلطن ابنه توران شاه عوضه. فلما تحقق الصليبيون من موت الملك الصالح طمعوا في أخذ مصر وزحفوا إلى فارسكور، فاجتمع سائر الأمراء وتحالفوا على الجهاد فى سبيل الله، " وخرج معهم السواد الأعظم من العوام والفلاحين وغير ذلك وفى أيديهم المقاليع والحجارة، وهجم المماليك البحرية وفى أيديهم السيوف والدبابيس والرماح، ومنهم طائفة يرمون بالنشاب، فحملوا على الافرنج حملة واحدة، فانكسر الافرنج أبخس كسرة وولوا مدبرين " [(٤)]،فقتل من الفرنج وحدهم ثلاثين ألفاً، وقيل مائة، وغنم المسلمون شيئاً كثيراً، وأسر عدد كبير من الصليبيين أيضاً، وكان من بينهم لويس التاسع ملك فرنسا وأخوه [(٥)]، ومما ترتب على هذه المعركة أن أشار بعض الأمراء على تورا نشاه بعد أن استرد دمياط من الصليبيين أن يقوم بهدم مدينة دمياطلأنها المدخل إلى مصر.

وبانتهاء لحملة الصليبية السابعة على مصر، كانت الدولة الأيوبية التي انتهت بمقتل تورانشاه أخر ملوك الأيوبيين بمصر، ويمكن القول بأن الحروب قد شكلت الجانب الأكبر من تاريخ هذه

= كل يوم ويخرج على جرى العادة والمراسيم فى كل يوم رائحة من المنصورة الى القاهرة فى الاشتغال، ولم يعلم أحد بموت الصالح فى القاهرة انظر ابن إياس: المصدر سابق، ج١، ص ١٠٤، ١٠٥ .

(١)حصن كيفا: هو قلعة عظيمة حصينة تشرف على دجله وآمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر وبها أسواق وحمامات، ومساكن بديعة وديار عامرة انظر: ياقوت: المصدر سابق، حـ٢، ص ٣٠٥، ٣٠٦، ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي، المتوفي ٣٦٧هـ/٩٨٧م،صورة الأرض،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت لبنان،١٩٩٢م، ص ٢٢٤

(٢)ديار بكر: وهى تنسب إلى أبى بكر بن وائل بن قاسط بن وهب، وهى بلاد كبيرة تضم مجموعة كبيرة من المدن، مثل آمد، وميافارقين، وحران، انظر: ياقوت:المصدر سابق، حـ٢، ص ٥٦١، ٥٦٢ .

(٣)أبو الفداء: المصدر سابق، حـ٣، ص١٨٠ .

(٤)بن إياس: المصدر سابق، حـ١، ص ١٠٥.

(٥)ابن كثير: المصدر سابق، حـ١٣، ص ٢٠٢.

الدولة القصير زمنياً الحافل بالكثير من الأحداث تاريخياً، وأما الحروب في العصر المملوكي فقد لعبت دوراً كبيراً في الاقتصاد المملوكي وارتفاع الاسعار، وبالتالي حدوث المجاعات، فعند الشعور بقدوم عدو خارجي يحرص الناس على شراء كميات كبيرة من الطعام وتخزينها للاستفادة منها في أوقات الحصار، حيث يؤدي ذلك إلى اختفاء المواد التموينية من الأسواق، ففي سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م وصلت الأخبار إلى الشام بقدوم التتار من العراق، فهرب أهل الشام وباعوا محاصيلهم وتفرقوا في البلاد، وغادر جماعة منهم إلى مصر، ومات أكثرهم في الطرقات [١]، وقتل كثير من أهل الشام على يد التتار، واستولت عساكر التتار على الأولاد والذخائر وحاصروا قلعة حلب وأخذوا جميع ما فيها من الأموال ، وفي سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩ استولى هولاكو على حلب، وقتل أهلها، وكان جل من قتل من الفلاحين، وبقي الناس في الذل والمصادرة والسخرة [٢]، ونتيجة إلى الإغارات التتار على حلب هرب اهلها الى دمشق، وخاف الناس وتركوا بلادهم. [٣]، وفي سنة ٦٤٣هـ/١١٤٥م حاصر الخوارزمية مدينة دمشق، ووقع بسبب الحصار الغلاء الشديد في الاسعار،وقلت الأقوات وانتشرت المجاعات بين الناس حتى أكلوا الميتة والجيف والدم وأكلوا القطط والكلاب، ومات الناس في الشوارع والطرق، وكثر النتن والعفن، و كان الإنسان إذا مر بالجبل وشم روائح الموتى مرض ومات، وعز المغسلون والمكفنون، وكانوا يرمون الناس في الآبار بعضهم فوق بعض [٤]، وبعد خروج التتار من البلاد في سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م حدث غلاء شديد وغلت الأسعار،وقلت الأقوات، وارتفع سعر اللحم الى سبعة دراهم، ورطل السمك بثلاثين درهماً، ورطل اللبن بخمسة عشر درهماً، والتفاحة بخمسة دراهم، حتى أُكلت الميتة من شدة الغلاء [٥]، كانت الناس عندما تسمع بقدوم التتار،

---

(١) ابن ايبك: الدرة الزنكية في أخبار الدولة التركية،تحقيق:أولرخ هارمان،١٣٩١هـ/١٩٧٢م،ج٨، ص٤٤.

(٢) ابو شامة: الذيل على الروضتين،ج١،ص٢٠٣.

(٣)ابو شامة: الذيل على الروضتين،ج١،ص٢١١.

(٤)ناصر محمد على الحازمي: الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى١٤٢٦-١٤٢٧هـ، ص١١٣-١١٤.

(٥)اليونيني:قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني المتوفي ٧٦٢هـ/ ذيل المرأة الزمان،ج١،د.ت، ص٤٣٦،الكتبي،عيون التواريخ،عنى بتحقيق حسام الدين القدسي، نسق مقدمته الشيخ أبو منصور

بخمسة دراهم، حتى أُكلت الميتة من شدة الغلاء [(١)]، كانت الناس عندما تسمع بقدوم التتار، تتجهز للهروب، ففي سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م قام الأمراء ببيع حواصلهم، وألزم ولاة الأمر كبار رجالات دمشق بالرحيل إلى مصر [(٢)]، وكانت غزوات التتار لبلاد الشام متتالية، وخسر الناس كثيراً من أهلهم ومواشيهم، وتمت مصادرة أهالي دمشق، واخذت الدواب واشتدوا في التعذيب والمصادرة، وذكر أن الذي وصل إلى ديوان قازان من الأموال والمصادرات بلغ ثلاثة الاف وستمائة درهم[(٣)]، وظل التتار يعيثون في البلاد الفساداً، ولم تقتصر اعتداءاتهم على حلب ودمشق بل امتدت الى الكرك والقدس، فنهبوا الجوامع والمدارس والبسط والقناديل، وكانت سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م سنة سوء وفقر مدقع، ومن أجل تجريده لقتال التتار استخرج من أصحاب الاملاك أجرة أربعة أشهر، وأخذ من القرى والضياع والأملاك ثلث محصولها على الرغم من ضعف المحصول، وعانى الناس من ذلك كثيراً حتى إن أصحاب الاملاك اختفوا، ومن الناس من قطع الأشجار وباعها حطبا، وبلغ قنطار الحطب ثلاثة دراهم،وانفق الجند كل واحد ستمائة درهم وانسحب أكثر هؤلاء الجند بعد أخذهم لنفقتهم، ولم يبق منهم إلا القليل، وخرب التتار الديار وتوجه الناس الى مصر، وفي سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م عاد غازان الى بلاد الشام ولكنة تراجع بعد سماعه بعودتهم الى بلادهم مكثهم في الشام مدة ثلاثة أشهر، وقام بجبي الاموال وحاصر القلعة، وحصل من الاموال ثلاثة الاف وستمائة الف درهم، وفي سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م بعث حملة جديدة ضد التتار، قام المماليك بمصادرة الاموال، وقرر على البلاد والقرى والفلاحين أموالا، واستخرجت أجرة أربعة أشهر أيضا من أصحاب الاملاك والأوقاف في دمشق بغض النظر عن إمكانيتها، وجفل اهل الشام وخافوا من التتار، ومنهم من هرب الى مصر وامتلات بهم القاهرة ومصر، الأمر الذيُ رتب على البلاد أعباء من البشر وهم بحاجة إلى طعام ومأوى، فغلت الاسعار،وبلغ سعر القمح ثلاثمائة درهم، ورطل اللحم تسعة

---

(١)اليونيني:قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني المتوفي ٧٦٢هـ/ ذيل المرأة الزمان،ج١،د.ت، ص٤٣٦،الكتبي،عيون التواريخ،عنى بتحقيق حسام الدين القدسى، نسق مقدمته الشيخ أبو منصور الحافظ،ج٢،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٨٠م ص٢٤٨.ابو شامة: الذيل على الروضتين،ص٢١٩.اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص٣٣.

(٢)المقريزي: السلوك،ج١،قسم ٣،ص٨٩١_٨٩٢.

(٣)المقريزي: السلوك،ج١،قسم ٣،ص٨٩١_٨٩٢.

دراهم [١]، وكان السبب في جبي هذه الاموال النفقة على المماليك، فعندما تفرغ الخزائن يقوم السلطان بفرض المال على البلاد والعباد، وكثيراً ما كانوا يوزعون النفقة على التجار والمباشرين وأعيان الناس، ليقوموا بها "فكانوا يحصلون الاموال بالباع والذراع " [٢]، وفي أيام الناصر فرج خربت الشام وحرقت وقتل وسبي من أهلها الكثير، وفقد منها جميع ما فيها من حيوانات وتشرد أهلها واشتد بها الغلاء وقطعة أشجارها، وفي عهده ايضاً خربت أرض فلسطين، حيث ظلت القدس مدة إذا افتتحت صلاة الظهر بالمسجد الأقصي لا يصلي خلف الأمام سوى رجلين، طلب من الأوصياء سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م مبلغ خمسمائة الف درهم،من أجل تجريده تخرج لقتال تيمورلنك، فقاموا ببيع طاحون للأيتام ونصف قرية من بيت المال لحاجتهم لتجهيز العسكر، وقاموا بتبيان القيمة والملك والحيازة لبيت المال عند القاضي الحنبلي،ولكن لم تسلم الشام من تيمورلنك، فقد نهب أسواقها في سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، وارتفعت الاسعار فيها، ووصلت غرارة القمح ثلاثة الاف درهم فضة، ووصل عليق الخيل إلى نصف دينار، وعانى أهل القرى من الجوع والبرد، وأفسد جنده في البلاد [٣]، وأقفلت الأسواق، وتعطلت المساجد من إعلان الأذان وإقامة الصلاة، وكثر الناس في دمشق بسبب فرارهم من حلب وحماه، وعقدوا العزم على الرحيل إلى مصر[٤]، وكان في نتائج المصادرات التي كانت تتم للفلاحين،إخلاء أعداد كبيرة من القرى، بسبب الضرائب المفروضة الأمر الذي أدى إلى هروب أهالى دمشق وفلسطين الى مصر، واشتدت الأوضاع الاقتصادية سوءاً، وفي سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م خرج التركمان وتمردوا في سلطة المؤيد شيخ،فقد أخلى أهل حلب بلدهم، فقد دخل الى البلاد ونهبها واحرق

---

(١)النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ت٧٣٢هـ/١٣٣١م نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١،ص٤١٣،المقريزي: السلوك،ج١،قسم ٣،ص٩٠٧، ابن إياس:بدائع الزهور، ج١،ص٤٩،المقريزي الخطط،ج٣،ص٩٩،المقريزي:السلوك،ج٤،قسم١،ص٢٢٧.

(٢)ابن قاضي شهبة: تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش،ط١،منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، ١٩٧٧م،ج٣،ص٥١٧.

(٣)ابن حجر: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ٧٧٣-٨٥٢هـ، أبناء العمر، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان،ط٢، دار الكتب العلمية - بيروت،١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م،ج٤،ص٢٠٧،الصريفي:الخطيب الجوهري علي بن داود،نزهة النفوس والأبدان في التواريخ الزمان، تحقيق: الدكتور حسن حبشي، ج٢،الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة،مركز تحقيق التراث،مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م، ص٩٣.

(٤) المقريزي:السلوك، ج٣،قسم ٣،ص١٠٣٦-١٠٤٨.

أسواقها وملك مدينة طرطوس، ولما وصل ذلك الى السلطان جهز حملة،وقاتل التركمان وأجبرهم على العودة الى طاعته،وفي سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م عاث التركمان في شمال الشام فسادا، وآذوا الناس (١)، وعاثت الفرنج في سواحل البلاد تخريباً، ففي سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م واحرقوا باب رشيد، ونهبوا الإسكندرية، وقتلوا المسلمين، ونهبوا الأموال والغنائم، وظلوا يقتلون ويأسرون ويسبون الناس لأيام عديدة (٢)، وفر أهل الإسكندرية، وغلت الاسعار عندهم، فباعوا الغالي بالرخيص، وأخذوا في الحرص على تحصيل الأقوات على الرغم من غلاء السعر، ولم يرجعوا إلى قول الشاعر:

إذا غلاء شيء علي تركته فيكون..... أرخص ما يكون إذا غلاء (٣)

وفي سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م توجه الفرنج الى طرابلس الشام تساندهم مئة وثلاثون مركبا، وصحبهم في ذلك ملك قبرص، فخرجا الى السواحل وهزموا المسلمين،ودخلوا المدينة وقاموا بنهب بعض أسواقها (٤) وكانوا كثيراً ما يستولون على المراكب المحملة بالغلال والمتوجه إلى الشام(٥)، مما يؤدي الى ارتفاع في الاسعار، وتروي أحداث سنة ٨٥٤هـ /١٤٥٠م أن الفرنجة اخذوا أربعة من مراكب المسلمين المحملة بالغلال والدقيق، وكانت قيمة ما استولوا عليه تزيد عن مائة ألف دينار، وكانت مراكبهم تتجاوز الخمسة عشر مركباً(٦)، وتزايد الوباء بحيث كان يخرج من كل باب من أبواب القاهرة في كل يوم ما يزيد على سبعمائة ميت، ويغسل في الميضأة كل يوم نحو المائة والخمسين ميتا، ولا يكاد باب احد من المستورين بالقاهرة ومصر إلا ووجد ببابه عدة أموات قد طرحوا حتى يكفنهم ويدفنهم،فيشتغل نهاره، وتزايد عدد الموتى وصاروا

---

(١) ابنصصرى: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، عنى بتحقيقه ونشره د: وليم م. بريد، مطابع جامعة كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٦٣م،ج١،ص٢٤.

(٢)ابن ثغري بردي: النجوم الزاهره فى ملوك مصر والقاهرة، ج١١، ص٢٤.

(٣)النويري الاسكندراني: محمد بن قاسم بن محمد،الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية، تحقيق:عزيز سوريال عطية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن،١٣٩٠هـ-١٩٧١م،ج٢،ص١٦٢.

(٤)ابن حجر: أبناء الغمر، ج٥، ص٣، ابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٤.

(٥) المقريزي:السلوك،ج٣،قسم ٢، ص٨١٣،ابن ثغري بردي،النجوم الزاهرة،ج٢١٧،٣.

(٦)ابن ثغري بردي: جمال الدين يوسف الاتابكى ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م حوادث الدهور في مدي الايام والشهور،تحقيق كمال الدين عز الدين،ج١،عالم الكتب، القاهرة،ط١ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٢٩٨.

يدفنون بغير تغسيل ولاكفن، وكان يدفن الواحد منهم في ثوب ثم ساعة ما يوضع في حفرته يؤخذ ثوبه حتى يلبس لميت آخر، فيكفن في الثوب الواحد عدة أموات وعجز الناس عن مواراة الأموات، في القبور لكثرتهم وقلة من يحفر لهم،فعملت حفائر كبار ألقيت فيها الأموات من الرجال والنساء والصبيان حتى تمتلئ، ثم تطم بالتراب، وأنتدب أناس لحمل الأموات ورميهم في الحفر، فكانوا يأخذون عن كل ميت نصف درهم، فيحمله الواحد منهم ويلقيه إما في حفرة أو في النيل إن كان قريباً منه، وصارت الولاة بالقاهرة ومصر تحمل الأموات في شباك على الجمال، ويعلقون الميت بيديه ورجليه من الجانبين، ويرمي في الحفر من غير غسل ولا كفن، ورمى كثير من الأموات في الآبار حتى تمتلي و ثم تردم. ومات كثير من الناس بأطراف البلاد،وكان هؤلاء الاموات يتركون على الطرقات حتى تأكلهم الكلاب، وأكل كثيرا منها بنو آدم أيضا، وحصر في شهر واحد من هذه السنة عدة من مات ممن قدر على معرفته، فبلغت العدة مائة ألف وسبعة وعشرين ألف إنسان، وعظم عدد الاموات في أعمال مصر كلها حتى خلت القرى[١]، كما أن الفتن والمنازعات الداخلية وحروب الشوارع بين طوائف المماليك التي زادت في الأوان الأخيرة من ذلك العصر، كانت تسهم بشكل أو بآخر في خلق هذه الفوضى الاقتصادية والاجتماعية، إذ كانت مجرد إشاعة موت أحد السلاطين،أو ركوب أمراء المماليك بالسلاح للأقتتال يسبب فزعا شديداً للناس، فتغلق الأسواق والحوانيت، وتبدو المدينة وكأن سكانها من الموتى [٢]، وتذكر حوادث سنة ٦٩٣هـ١٢٩٣م حين جاءت الأنباء بمقتل السلطان الأشرف خليل، وخلت الطرقات والأسواق من روادها، واختفي الخبز من الأسواق وقاسي الناس شدة عظيمة [٣]، ولم يقتصر الامر على ذلك بل زاد غضب أروس على أهالي دمشق، ونهبت ضياع دمشق وبساتينها وقطعت الأشجار، وكانت العربان من ضمن أتباعه، فنهبوا

---

(١) قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك ط٥،١٤١٥هـ١٩٩٤م، دار الشروق ص١٦٢.

(٢)قاسم عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك،كلية الآداب جامعة – الزقازيق ١٩٧٩م، دار المعرف،ص١٥١.

(٣) سعيد عاشور: مصر والشام في عهد المماليك التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، دار النهضة العربية القاهرة، د.ت،ص٢٣.

القرى وما فيها من قماش ونساء وخيول وعاثوا فيها نهبا وقتلاً[١]، ومن الفتن الأخرى التي أثارها الأمراء، حركة الأمير أينال اليوسفي ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، وبقيت القاهرة خلال هذه الفتنة مغلقة لمدة ثلاثة أيام، وقل الماء فيها وبلغ ثمن قربة الماء، نصف درهم، وظلت الأمور على ما هي عليه حتى نودي بالأمان وطلبت العامة عزل محتسب القاهرة فأجيبوا إلى ذلك[٢].

وكان الأمراء بسبب غضبهم من العامة يأمرون بقتالهم، فقد أمر الأمير بركة الجو باني في سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م مماليكه أن يقتلوا كل من يجدوه من العامة، مما أدى إلى اضطراب كبير في القاهرة، حيث أغلقت الدكاكين وبقي الناس في بيوتهم لا يغادروها، ولولا قيام الاتابك برقوق بالمناداة بالأمان لاستمر الاضطراب لكنه كان يرأف بحال العوام [٣]، ففي سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨م عصى نائب الشوبك، وانضمت اليه العربان، وخاف أهل دمشق من ذلك العصيان، حتى أن الطرقات قد خلت من المسافرين، وقام الفلاحون والعربان بنهب المحاصيل، وصادر السلطان الغلال [٤]، وعندما وصلت مماليك السلطان الى دمشق،خرج نائب الشام لاستقبالهم، وقدم لهم ما يحتاجون إليه من لحم وخبز وشعير، لكنهم أفسدوا في دمشق،وتطاولوا على الأموال والحريم والأولاد [٥]، واشتدت الأمور وبالاً، وكانت فتنة منطاش، فقد أغار كل من منطاش ونعير على حماه ونهبوا أسواقها وصادروا أموال التجار فيها، فخرج اليهم الأمير جلبان نائب حماه، وهاجم بلاد نعير في أثناء غيبته، ونهب أمواله ونساءه وأحرق بيوته وفعل بحلفائه من العرب مثل ذلك [٦]، وفي سنة ٧٠٨هـ/١٤٠٤م هاجم المهمندار [٧]زين الدين عبد الرحمن

---

(١)السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى: ٩٠٢هـ، الذيل التام على دول الإسلام، حققه وعلق عليه:حسن إسماعيل مروة، ط١، مكتبة دار العروبة،الكويت ودار ابن العماد،بيروت،١٤١٣هـ-١٩٩٢م،ص ١٢٥.

(٢)ابن كثير: مصدر سابق، ج١٤، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٣)ابن إياس: بدائع الزهور،ج١،قسم ١،ص٥٤١.

(٤)المقريزي: السلوك، ج٣،قسم ١، ص٣٨٥-٣٨٦.

(٥)ابن إياس: بدائع الزهور، ج١،قسم ٢،ص٢٤٠.

(٦)ابن صصرى: المصدر سابق،ص٢٥.

(٧)المهمندار: صاحب هذه الوظيفة يقوم بلقاء الرسل والعربان، الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة ويتحدث في القيام بأمرهم، وهو مركب من لفظين فارسين،احدهما مهمن بفتح الميمين ومعناه الضيف، والثاني دار ومعناه ممسك،

الكرك ومنع عنهم الطعام والشراب وقاتل نائبها، وكانت المنطقة تعاني، من الغلاء ونهب المدينة وأخذ أموال الناس [(١)]،وخربت القرى نتيجة هذه الحروب، وقام المماليك بخطف النساء والأولاد من الحمامات والطرقات لعمل الفاحشة بهم، حتى اعتبرت عند بعض المؤرخين سلطنة الناصر فرج من أشام الفترات التي مرت على البلاد، ففي سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م كثرت الفتن، وكان مماليكه قد خربوا بلاد مصر والشام وذلك باستيلائهم على أموال الناس بغير حق وتدميرهم القرى، وقدرت الأموال التي وجدت عنده من حواصل وخيل وسلاح بما يزيد عن ألف دينار [(٢)]، وكان للمماليك دور في إثارة الفتن وفي حدوث فساد كبير في البلاد، ففي حوادث سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م تم نهب بيوت كبار أعيان الدولة، وكان سبب حركتهم تلك مطالبتهم بزيادة رواتبهم وبسبب ارتفاع أسعار علف الحيوانات من تبن وشعير [(٣)]، وكانت الناس تكره المماليك الجلبان بسبب كثرة آذاهم، فقد خطفوا الصبيان المرد من الأسواق، وخطفوا أقمشة العامة وبضائعهم، وكانت معظم فتنهم بسبب النفقة التي تقل عليهم [(٤)]، وبقيت فتن المماليك مستمرة، ففي سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م طالبوا السلطان بنفقة جديدة، فأعلمهم السلطان بخلو الخزائن من الاموال، فما كان منهم إلا أن هاجموا شون الأمراء وقاموا بنهبها، وذلك بسبب تأخر الدولة في دفع رواتبهم الأمر الذي أدي إلى ارتفاع الاسعار،وكانت فتن المماليك تسبب الاضطراب في القاهرة،وتحصل للناس الأضرار العظيمة من ونهب وخطف =

ومعناه اجمالاً القائم على أمره محمد البقلي، القلقشندي:، محمد البقلي الشيخ أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م صبحي الأعشى في صناعة الأنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٤م ص٣٣٤.

(١)ابن صصرى:المصدر سابق:ص٨.

(٢)ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، م٩،ج١،تحقيق:قسطنطين زريق، منشورات كلية العلوم والآداب، الجامعة الأمريكية،بيروت،١٩٣٦م،ج٩،ص٣٩،ابن إياس: بدائع الزهور،ج١،قسم٢،ص٤٥٧.

(٣)المقريزي: السلوك،ج٣،قسم ٣،ص١١٤٩-ص١٠١٧.

(٤)ابن إياس: المصدر سابق، ج٢،ص١٧٦-١٧٧.

للبضائع [1]، وكثيراً ما كان السلطان يأمر الأمراء بمهاجمة المماليك الجلبان وقتالهم مما يؤدي إلى إغلاق الأسواق [2]، واضطراب أحوال الناس، وكان المماليك الجلبان يلجؤون إلى مهاجمة بيوت كبار الامراء ورجال الدولة التي تضم في جنباتها الكثير من الأموال،ويقومون بعلمية نهب منظم لها، ففي سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م هاجمت طائفة منهم بيت فخر الدين كاتب المماليك،ونهبوا ما فيها، ونهبوا بيت كل من والي القاهرة والمحتسب أيضاً، وحتى يستطيع السلطان تأمين نفقات المماليك الجلبان كانوا يلجاؤن إلى استخرج الاموال من الناس وأصحاب الدكاكين والأملاك، وألزموا بأن يعجلوا أجرة الدكاكين عشرة أشهر، مما أدى حدوث أضرار كبيرة للسكان،وتعطلت الأسواق من البيع والشراء،واضطربت أحوال الفقراء والأغنياء، وكانت عملية جبي الأموال تتم مرتين في اليوم الواحد من فئتين مختلفتين، وضج الناس من ذلك، لكن لم يقتصر إيذاء المماليك الجلبان على كبار رجال الدولة بل تعداهم الى عامة الناس، وكان ذلك في سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م، فقد أخذت المماليك بنهب محاصيل البطيخ ومختلف البضائع، ورفض غالب الناس ببيع محاصيلهم خوفاً من إظهارها،مما أدى الى ارتفاع أسعار جميع المأكولات "حيث إنها صارت أقل وجوداً من أيام الغلاء "[3]، وثاروا في سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م على المحتسب بدر بن مزهر سبب قيامه بعملية تسعير البضائع من لحوم واجبان واخباز، ونهبوا شون الامراء والسلطان والعامة،وما فيها من شعير وقمح[4]، ومن اجل نقل البضائع التي يقومون بنهبها،كانوا يأخذون جمال السقائين، وعانى الناس كثيراً من النهب والسلب للبضائع وغيرها،مما كان يؤدي الى وقوع الاضطراب وإغلاق الأسواق، وفي سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٤م عمد المماليك الجلبان الى مهاجمة الناس والاستيلاء على الخيول والبغال، وحتى بغال الطواحين التي بها، الأمر الذي كان يؤدي الى تعطل الحوانيت وقلة الخبز في الدكاكين، وكانت تتم مثل هذه العمليات أثناء التجهيز للقيام بالحملات العسكرية، وجاروا على الناس وخطفوا الأقمشة من الدكاكين والبضائع من الأسواق وهاجموا مدرسة السلطان حسن واحرقوا بابها، وتزايدت شرور المماليك الجراكسية

---

(١)ابن إياس:المصدر سابق،ج٢،ص٦٧.

(٢)ابن ثغري بردي: المصدر سابق، ج١٦، ص١٢.

(٣)ابن إياس: المصدر سابق،ج٤،ص٩٤.

(٤)ابن إياس:المصدر سابق: ص٩٦.

سنة٩٠٠هـ/١٤٩٤م، واستمروا بالنهب والقتل، وتوقفت أحوال الناس، وكان الاختلاف بين الحكام والعسكر في جميع بلاد الإسلام في مصر والشام [١] فلا شك أن هذه الحروب بما خلفته وراءها من قتلى وجرحى وتخريب ودمار، وما نجم عن الحصار الذي كان يتم خلالها من تجويع لأهالي المدن المحاصرة وتخريب لأرضهم وحقولهم، الأمر الذي ينعكس بالسلب على الحالة الصحية لأهالي هذه البلاد، ومن ثم يمكن القول بأن الحروب هى أحد أهم الأسباب البشرية (لأن الحروب من صنع البشر) المسببة للأوبئة والأمراض خلال العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام، ونتنقل بعد ذلك للحديث في الفصل الثاني عن الأسباب الطبيعية المسببة للأمراض.

---

(١)ابن تغري بردي: المصدر سابق،ج١٦،ص٧٢-٧٤،ابن إياس: المصدر سابق،ج٢،ص٣٣٥.

الفصل الثاني

العوامل الطبيعية التى أدت إلى ظهور الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام

تمثلت في:

- **طبيعة مناخ مصر والشام.**
- **المجاعات.**
- **الحشرات والآفات الزراعية.**

تقع العوامل الطبيعية بقدرة الله تعالى فمنها ما يرجع إلى طبيعة مناخ مصر والشام، ومنها ما حدث نتيجة مجاعات ناجمة عن عوامل طبيعية كنقص المياه والزلازل أو الحشرات والآفات الزراعية وغيرها، وقد لعبت هذه العوامل في مصر والشام دوراً مهماً فى التأثير على الحالة الصحية العامة، وسوف نتناول هذه الأسباب بشي من تفصيل.

❖ طبيعة مناخ مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي

لاشك أن مناخ أي بلد وعناصره المختلفة من جفاف ورطوبة وحرارة وبرودة تساهم في خلق بيئة إما أن تكون جيدة لوجود الوباء وانتشاره، وإما أن تكون غير مناسبة لتكون الوباء وانتشاره، او الحد منها أو التمكين لأمراض معينة لها، فالبلاد الحارة مثلا تعد من أكثر المناطق عرضة لنمو الجراثيم وتوالد الحشرات التى تنقل عدوى الأمراض، فكلما كان المناخ قارياً متطرفاً كلما زادت الأمراض وانتشرت الإصابة والعدوى بها، وكلما كان المناخ معتدلاً كلما قلت الأمراض وقل انتشارها وتقل العدوى. و يذكر على بن رضوان أن مناخ مصر يتسم بالحرارة وركود الهواء، فيغلب على تربتها كثرة العفونة، الأمر الذي يؤدى إلى كثرة الفضول فى الهواء الذي ينتج عنه الإصابة بالأمراض [١]، وذلك لأن الأتربة تتخلل الهواء حتى " ترى الهواء فى أيام الصيف كدراً يأخذ بالنفس، ويتسخ الثوب النظيف فى اليوم الواحد، وإذا مر الإنسان فى حاجة لم يرجع إلا وقد اجتمع فى وجهه ولحيته غبار كثير، ويعلوها فى العشيات خاصة فى أيام الصيف بخار كدر أسود واغبر، سيما إذا كان الهواء سليماً من الرياح " [٢]، وهو ما يؤدى الى انتشار الأمراض، وقد كان لطبيعة المباني فى مصر دور كبير فى خلق بيئة مناسبة لبعض الأمراض مع هذه المناخ، وخير شاهد على ذلك مدينة الفسطاط حيث كانت مرتفعة البناء ضيقة الازقة والشوارع، الأمر الذي كان يحول دون تجدد الهواء فيها، وهو ما جعلها عرضة أكثر من غيرها للأمراض[٣].

---

(١)على بن رضوان دفع مضار الابدان بأرض مصر، ورقة رقم ١٠، موقع المصطفى http://www.al-mostafa.com

(٢) المقريزى: الخطط، حـ١، ص ٣٤٠.

(٣) المقريزى: المصدر سابق، ص ٣٣٩.

كما ازدحمت بعض مدن الشام بالسكان لاسيما بعد تدفق اللاجئين عليها فراراً من الحروب الصليبية، فنجد مدينة دمشق مثلاً قد ضاقت بالسكان بعد أن غدت مقراً للاجئين الذين تكاثفوا بها وصار عدد سكانها ضعفي ما تستوعبه مدينة مثلها، فلا شك بأن هذا الازدحام يؤدى إلى صعوبة فى التنفس وتكاثرها وانتشاره الجراثيم فى الهواء، الأمر الذي يؤدي إلى انتشار الأمراض،لذلك كانت المدن الأقل سكانا، والأفضل في اعتدال الهواء، اكثر صحية من غيرها من المدن،ومن ذلك نذكر مدينة حلب بالشام، حيث كانت مكانا صحيا تهفو النفس إلى الإقامة فيها، ووضح ذلك من خلال حرص العلماء والحكماء والملوك والأمراء على الإقامة بها منذ القدم وفي مختلف العصور [١]،وقد أدرك أطباء المسلمين منذ وقت مبكر تأثير المناخ والجو على الحالة الصحية،فنجدهم مثلا ينصحون الأشخاص الذين يعانون من أمراض صدرية بالإقامة في الأماكن الدافئة والجافة في فصل الشتاء، وتوصلوا أيضا إلى ان بعض الأمراض المعدية تقتصر في الظهور علي فصل او موسم معين من السنة، أن بعض لأوبئة تظهر فقط في عدد معين في السنين [٢].

و يرجع السبب في ذلك الى ما يلي:

- التغير في كيفية الهواء بين فصول السنة الأربعة فيصبح اكثر حرارة او برودة او رطوبة او جفافا من المعتاد في مثل هذه الأوقات

- تخالط الهواء عفونه نتيجة لقدوم أشخاص مرضي على البلد فتختلط أنفاسهم بالهواء الذي يصبح ملوثا بالأمراض، فيتنفس هذا الهواء الملوث آخرون أصحاء فيصابوا هم الأخرون بالأمراض[٣] .

- يلعب التبخر دوراً كبيراً في تلوث الهواء، وذلك من خلال تلوث مياهه نتيجة تجمع القاذورات والمخلفات والحيوانات النافقة والقائها في هذه المياه [٤]،وبذلك يتم تلويث

---

(١)ابن العديم:بغية الطلب في تاريخ حلب،جـ١،ص٤٤٩ –٤٥١ وقد ذكر عن حلب ان هواءها معتدل يساعد علي النماء لكل الكائنات وتربتها قليلة العفونة مما يساعد علي مقاومة الأمراض، بالإضافة إلي ان ماءها عذب رقيق "فالماء بها نابع، وقد صنع عليه جبات، فلا تخاف الظمأ ابد الدهر، والطعام يصبر فيها الدهر كله، وليس فى شروط الحصانه أهم ولا أكد من هاتين الحلتين انظر ابن جبير:المصدر السابق، ص٢٠٣،٢٠٢ .

(٢)احمد شوقي الفنجري:مرجع السابق،ص٢٧.

(٣)علي بن رضوان: مخطوط سابق، ورقة ١٠، ١١.

المياه،وعندما تتعرض هذه المياه للتبخر فأنها، تمثلا الهواء بالميكروبات والجراثيم مما يؤدي الى الإصابة بالأمراض.

- تهب رياح الخماسين حاملة الأتربة والغبار على بلاد الشام، الامر الذي كان يساعد علي ظهور الأمراض والأوبئة وانتقالها من المرضى الى الأصحاء، ومن ضمن ذلك كانت الرياح الشديدة التي تعرض لها الصليبيون وهم يحاصرون مدينة القدس، فنتج عنها هلاك بعضهم، بالإضافة الى نفوق الكثير من دوابهم [١]،و في سنة ٥١٣هـ /١١١٩م كانت العواصف والرياح شديدة،وتمت مهاجمة الجيش الصليبي وهو أمام الاثارب [٢]، الامر الذي أربك القوات الصليبية وأصاب أفرادها بأمراض في عيونهم.ومن ذلك يتضح لنا ان المناخ بعناصره المختلفة يلعب دورا مؤثرا في الحالة الصحية، لاسيما عنصري الحرارة والبرودة، فقد تسببت الحرارة الشديدة في فصل الصيف في بلاد الشام في الكثير من المشاكل الصحية للصليبين، لذلك ارتفعت نسبة الوفيات بين أطفالهم، وأصيب الكثير منهم بضربات الشمس والحمى[٣]،كما أصيبوا بالأمراض الجلدية المختلفة نتيجة لارتدائهم الملابس الثقيلة التي لا تتناسب مع مناخ هذه البلاد [٤]، وإذا كان هذا هو حال فصل الصيف في بلاد الشام، فان فصل الشتاء لم يكن بأسعد حال منه بسبب شدة البرودة التي كان لها اثر كبير فى تلف المحاصيل الزراعية والغلات، مما ادى في بعض الأوقات الى

= ________

(١)علي بن رضوان: مخطوط سابق، ورقة ١٠، ١١ كما كانت الآلاف من الجثث البشرية المتخلفة عن المعارك الحربية تلقي في المياه مما يؤدي الى تلوثها، ومن ذلك المعظم تورانشاه الذي احضر الاساري من الفرنج وضرب أعناقهم بالسيف،ثم قذفهم في البحر،انظر ابن إياس:بدائع الزهور في وقائع الدهور،ج١،ص١٠٨ .

(٢) وليم الصوري: مصدر السابق، حـ٢،ص١٠٠، ريموند جيل:تاريخ الفرنجة غزاه بيت القدس،ترجمة جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، ٢٠٠٧م،ص٢٣٨.

(٣) الاثارب:قلعة مشهورة بالشام، تقع بين حلب وانطاكيه، بينها وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ انظر ياقوت:معجم البلدان، حـ١،ص١١٣، ابو الفداء:تقويم البلدان،ص٢٣١

(٤) وليم الصوري: الحروب الصليبية،ترجمة حسن حبشي، حـ١، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١م،ص٢٢٩، حـ٤، ص ٢٩٢، ٢٩٣، ٣١٧.

(٥) ستيف رنسيمان: المرجع السابق، حـ٢، ص٢٠.

نفاذ الأقوات، ومعاناة الصليبين المقيمين بالشام من المجاعة [١]،وكما أثر برد الشتاء على المحاصيل والغلات، فقد امتد تأثيره علي البشر أيضا، فكان شمال بلاد الشام يتميز بالبرودة القارسة،التي لم تتحملها القوات الصليبية،مما ادى الى هلاك مجموعة كبيرة من هذه القوات، وقد أدت البرودة الشديدة والثلوج التي تعرضت لها قوات الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا [٢]،سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م،الى أن نقص في الأقوات والمؤن، وانعدام الأعلاف " وصاروا كل يوم في نقص من أنفسهم ودوابهم " مما اضطرهم الى إحراق عددهم للتدفئة بها من شدة البرد بعد أن عدموا الحطب، وعلى الرغم من ذلك فقد هلك عدد كبير من هذه القوات، وتبع ذلك وفاة أعداد كبيرة من الفرنج حيث:كثر الموت في الفرنج فصار يموت منهم كل يوم المائة والمائتان [٣] ،وفي سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م) هبت عاصفة شديدة على مدينة طرابلس، وقد ألحقت أضراراً بالممتلكات والحيوانات، وفي شهر رمضان سنة (٧٩٢هـ / ١٣٩٠م) هبت رياح عاصفة في البحر المتوسط مقابل شواطئ مدينة طرابلس أدت إلى إغراق مراكب عدة للصليبيين الذين كانوا يحاولون الهجوم على المدينة في ذلك الوقت [٤] .

---

(١) وليم الصوري: مصدر سابق، جـ١، ص٢٩٢، ٢٩٣، جـ٢، ص ٣٠٥.

(٢) فردريك بربروسا:هو احد ملوك أوربا الذين استجابوا لدعوه الحملة الصليبية الثالثة — وهم ريتشارد قلب الاسد ملك انجلترا، وفليب أوغسطس ملك فرنسا —للانتقام لما حل بالصليبين وأملاكهم بالشام علي يد السلطان صلاح الدين ٠انظر:عبد الرحمن الرافعي، سعيد عاشور: مصرفي العصور الوسطى، ص٣٣٠ وحيث تعرضت قواته لمجاعة قاتلة وهي في طريقها الى الشام سنة ٥٨٦هـ /١١٩٠م انظر الحريري:الاخبار السنية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٢٤١ كما تعرضت القوات للعديد من المصاعب خلال رحلة سيرهم الى الشام، ومنها وعورة الطرق وجعلهم بها وشدة برودة الجو، علاوة على تعرضهم للقتل والنهب علي يد التركمان وهم شعوب تركية اعتنقت الإسلام على يد السامانين فى بلاد ما وراء النهر ثم جاءوا إلى البلاد الاسلامية وأقاموا بها انظر. عفاف صبره:دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، طبعة القاهرة،١٤٠٦ هـ، ص٢٦٥ وازداد الموقف سوء بغرق الإمبراطور فردريك بربروسا، فاضطربت القوات واختل نظامها، ورحل بعضها الى الغرب الاوربي، في حين اتجه الباقون مع فردريك السوابي الى أنطاكية انظر ابن الأثير:المصدر السابق،جـ٩،ص٢٠٧ ابو الفداء:المختصر،جـ٧، ص٧٨.

(٣) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، مجلد ٤، ج١، ص٢٤٤.

(٤) ابن الصيرفي،نزهةالنفوس،ج١،ص ٣١٢

مما سبق يتضح لنا ان مناخ مصر والشام كان له دور مؤثر في الحالة الصحية العامة لأهاليها، إلا ان هناك عوامل طبيعية أخرى تنتج عنها الأوبئة وتكون عاملاً في انتشار الأمراض ومنها:

- المجاعات

تعد المجاعات أحد مسببات الأمراض، وتقع المجاعات نتيجة عوامل طبيعية مثل الكوارث الطبيعية كالفيضانات أو نقص المياه، أو الزلازل أو الآفات الزراعية، التى تؤدى إلى هلاك المحاصيل، وأكثرها ضرراً ما يلي:

- نقص المياه أو الفيضانات الشديدة:

من المعلوم أن الماء عنصر ضروري للحياة على وجه الأرض، فلا تستقيم الحياة بدونه، قال تعالى " وجعلنا من الماء كل شيء حي " [1] فلا غنى للإنسان أو الحيوان أو النبات عنه، وقد تميزت مصر طوال تاريخها بكثرة خيراتها وثرائها، وإن تخلل ذلك العديد من المجاعات التى يرجع أغلبها إلى نقص مياه النيل عن الحد المطلوب [2] لري الأراضي، فلا يصل الماء إليها ولا يغطيها، ومن ثم تكون البلاد قد شرقت [3]، وعن ذلك يتحدث أحد المؤرخين قائلاً " هذا إقليم إذا أقبل فلا تسأل عن خصبه ورخصه، وإذا أجدب فنعوذ بالله من قحطه " [4]،وكما أن نقص مياه النيل يسبب المجاعات، فإن شدة فيضان النيل وزيادة مائه زيادة مفرطة، وهو ما يعرف

---

(١)سورة الأنبياء: أية ٣٠.

(٢) الحد المطلوب لري الأراضي فى مصر خلال العصر الفاطمي كان ارتفاع الماء فى النيل بمقدار ستة عشر ذراعاً تكفى لزراعة بعض الأراضي، ودرء خطر المجاعة عن البلاد، وليس هناك خطر محقق إذا بلغت الزيادة خمسة عشر ذراعاً، أما السبعة عشر ذراعاً فهي كافية فقط لزراعة معظم الأراضي وليس كلها، ويكون حد الوفاء الذي يكفى لزراعة جميع الأراضي ويمكن معه الوفاء بالخراج دون عنت هو ثمانية عشر ذراعاً انظر: السيد احمد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية، أسباب ونتائج، دار التضامن للطباعة، ص ٢٨.

(٣) عبد اللطيف البغدادي:موفق الدين الشهير بابن اللباد،الافادة والأعتبار في أمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، مطبعة وادي النيل،ط١، ٢٨٦١هـ.ص ١٥٢، ١٥٣، وشرقت البلاد فى كلام أهل مصر: هى الأرض التى لم يصل إليها ماء النيل، فإذا رويت جادت، وهى مشتقة من شرق فلان بالماء إذا غصة، وشرق اللحم إذا قدده وبسطه فى الشمس ليجف، والأرض جفت من عدم الري فهو شرق وهى شرقة انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ص ٣٤١.

(٤) المقسدى: شمس الدين أبو عبيد الله محمد الشافعى المتوفي سنة ٣٨٧هـ/١٩٩٧م أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ط٢،لندن ١٩٠٦م ص ٢٠٢.

بالاستبحار، يؤدى الى غرق الأراضي وإعاقة زراعتها [١]،وهو ما يترتب عليه معاناة الناس من المجاعة لقلة الأقوات، بالإضافة إلى انتشار الأوبئة، الذي يعقب انصراف الماء وانحساره عن الأراضي [٢]،لذلك حظي نهر النيل باهتمام الحكام الأيوبيين والمماليك [٣]،فأقاموا المقاييس [٤]،على شواطئه، حيث كان حد وفاء النيل متغيراً ولم يكن ثابتاً عبر العصور المختلفة، فكان يتغير بتقادم الزمن بسبب ترسب الطمي أو إهمال حفر الترع وتعميقها وذلك لكي يتمكنوا من القضاء على الآثار الوخيمة لنقصان مياه النيل أو زيادتها زيادة مفرطة، أو على الأقل التخفيف من وقعها، إلا أن الحذر لا يمنع من نزول القدر، فقد ازداد فيضان النيل وجاوز الحد فى سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٢م،حيث بلغ قياس سبعة عشر ذراعاً وعشرين اصبعا، فغرقت الأراضي وقطعت الطرق [٥]،ولاشك ان هذه الزيادة المفرطة لماء النيل قد أتلفت المحاصيل والمزروعات، وبالتالي حدثت مجاعة عانى الناس منها، الأمر الذي أدي إلى انتشار الأمراض. وفى السنة التالية انعكس الأمر تماماً، فبعد أن كانت زيادة ماء النيل مفرطة فى العام السابق، بلغ قياس النيل فى هذا العام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م ستة عشر ذراعاً، واستمر كذلك لمدة ثلاثة أسابيع فقط، فوقع الغلاء، وخلال عام ٥٨٧هـ / ١١٩١م، كانت زيادة النيل يسيرة، ثم هبط دون وفاء، فاشتد الغلاء، وتعذر وجود الطعام، وكثرت الوفيات وعانى اهل مصر من هذه المجاعة ثلاث سنوات متعاقبة، وفى نهاية هذه السنوات الثلاث أى فى عام ٥٩٠هـ / ١١٩٤م، ازداد الموقف سوءاً وذلك فى عهد الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٩٠ . ٥٩٥هـ / ١١٩٣ . ١١٩٨م)، حيث توقف النيل عن الزيادة،فارتفعت أسعار مختلف الغلات، الأمر

---

(١) البغدادى: المصدر السابق، ص ١٥٢، محمد بركات البيلى: الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى مصر الإسلامية، طبعة القاهرة، ١٩٨٦، ص٢٠.

(٢)المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبدا لحميد، طبعة بيروت، ١٩٨٧، ج١، ص ٣٤٢، وابن ظهيرة الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق كامل المهندس، مصطفى السقا، طبعة القاهرة، ١٩٦٩ م، ص ١٦٠.

(٣) ابن مماتى: قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطيه، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩١ م، ص ٧٥.

(٤) المقاييس: مفردها مقياس، وهو عبارة عن عمود من الرخام قائم على شاطئ النيل بمصر، له طريق إلى النيل يدخل الماء إليه إذا زاد، وفى ذلك العمود خطوط معروفة عندهم، عن طريقها يعرفون مقدار زيادة النيل كل عام انظر: ياقوت: المصدر السابق، ج٥، ص ٢٠٦، المقريزى: الخطط، ج١، ص٥٩.

(٥)ابن أيبك: الدر المطلوب فى أخبار ملوك بني أيوب، ج٧، ص ٧٥.

الذي أدى بلاشك إلى التأثير على الحالة الصحية للشعب المصري خلال هذه الفترة، وظل تذبذب ماء النيل قائما، ففى سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م سجل قياس مياهه ثلاث عشرة ذراعاً فقط، فكان ذلك سبباً فى وقوع الغلاء بمصر، وعن ذلك يقول القاضي الفاضل: " إن فى أيام الملك العزيز هذا، وقع غلاء بسبب توقف النيل، وتشحطت الغلال فى وقت ميسورها والقمح فى الجرون، واضطربت أحوال الديار المصرية " (١) وشهد أيضاً عهد السلطان العادل الأيوبي (٥٩٦ . ٦١٥هـ / ١١٩ . ١٢١٨م) سلسلة من المجاعات بدأت فى سنة ٥٩٦هـ / ١١٩٩م حينما لم يستكمل النيل أربعة عشر ذراعاً، لذلك لم يسق إلا جزءاً بسيطاً جداً من الأرض،وهو ما سبب الغلاء وندرة الغلات (٢)، وعمت البلاد المجاعة والقحط،وانتشر على أثر ذلك الوباء (٣) " وَعُدِمَ القوت حتى أكل الناس صغار بنى آدم من الجوع،فكان الأب يأكل ابنه مشوياً ومطبوخاً، والمرأة تأكل ولدها، فعوقب جماعة بسبب ذلك، ثم فشا الأمر واعيا الحكام، فكان يوجد بين ثياب الرجل والمرأة كتف صغير أو فخذة أو شيء من لحمه، ويدخل بعضهم إلى دار جاره فيجد القدر على النار فينتظرها حتى تتهيأ، فإذا هى لحم طفل " (٤)وفى العام التالي ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، توقف النيل عن الزيادة قبل الوفاء، وثبت على اثني عشر ذراعاً ولم يزد بعد ذلك شيئا من الأصابع، فاضطربت أحوال الديار المصرية (٥)واكلت الناس بعضها بعضاً، واستمر النيل على ذلك ثلاث سنين متواليات، ولم يزد غير عشرة اذرع ثم يهبط، فوقع القحط بالديار المصرية (٦)، واشتد الغلاء وعُدمَت الأقوات فى سائر مصر "حيث بلغ الإردب

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج١، ص٩١.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب فى أخبار ملوك بنى أيوب، ج٣، ص١١٥، ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، مجلد ٤، ج٢، ص ١٨٢، فى حين ذكر غيرهم من المؤرخين ان النيل فى هذا العام لم تبلغ زيادته ثلاثة عشر ذراعاً، حيث جفت الأرض وندر الطعام وارتفع سعره انظر: اليافعي: المصدر السابق، ج٣، ص ٤٨٤، المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك،ج١، ق١، ص ١٥٣.

(٣)المقريزى: إغاثة الأمة:قام عنى بنشرة،محمد مصطفى زيادة،جمال الدين الشيال،دار الكتب والوثائق القومية، ط ٣،القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ٢٩، الذهبي: دول الاسلام:تحقيق فهيم محمد شلتوت،محمد مصطفى إبراهيم، القاهرة ١٩٧٤م، ج٢، ص١٠٥، سبط بن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، ج٨، ق٢، ص ٤٧١.

(٤) المقريزى: إغاثة الأمة: ص ٢٩.

(٥) ابن إياس: المصدر سابق ج١، ص ٩٣.

(٦) ابن إياس: المصدر السابق،ج١، ص ٩٣، المقريزى: إغاثة الأمة، ص ٢٩، ٣١.

من القمح إلى ثمانية دنانير" [١]،وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التى بذلها السلطان العادل فى هذه السنة [٢]، هلك خلق كثير من الأغنياء والفقراء، وكثرت الوفيات حتى وصل عدد من كفنه السلطان العادل من ماله فى مدة شهر من هذه السنة نحو مائتين وعشرين ألفاً من الموتى من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ [٣] وقيل بأن العدد أكثر من ذلك بكثير، فذكر بدر الدين العينى: أن عدد من كفنه السلطان العادل بلغ ثلاثمائة ألف إنسان [٤]، وأيما كان العدد الحقيقي، فهو يدل على مدى كثرة الموتى الذين قام السلطان العادل بتكفينهم وقد اضطر هذا الوضع الكثير من أهل مصر إلى تركها فراراً من المجاعة والموت والهجرة إلى أماكن أخري مثل الشام والحجاز واليمن والمغرب، فامتلأت طرقات المغرب والحجاز والشام برمم الناس، وصلى إمام جامع الإسكندرية فى يوم واحد على سبعمائة جنازة [٥]،لقد كانت المجاعة التى مرت بها مصر فى هذه السنوات بالغة الشدة بحيث اضطر أهلها من شدة الجوع إلى أكل القطط والكلاب والحمير والبغال والخيل والجمال، فما بقي بمصر من دابة، كما أكلوا الميتة، ثم أكل بعضهم بعضاً، فصار الناس إذا قوى أحدهم على صاحبه يذبحه بيده ويأكله، وصار الرجل يذبح ابن جاره ويأكله ولا ينكر ذلك عليه، ويذبح ولده بيده ويأكله من شدة الجوع، وهذا كله بعد أن فرغت الكلاب والقطط والوحوش والطيور [٦]، ومن أشنع ما قيل فى ذلك، أن الرجل كان يقوم بذبح ولده الصغير وتساعده أمه على طبخه ويأكلونه، ولما اطلع السلطان على ذلك أمسك

---

(١) المقريزى: إغاثة الأمة، ص ٣١.

(٢) بذل العادل جهودا ضخمة للتخفيف من وقع هذه المجاعة حيث اطلق العادل للفقراء شيئاً من الغلال وقسم الفقراء على أرباب الأموال واخذ منهم اثنى عشر ألف نفس وجعلهم فى مناخ القصر مخزن الغلال وافاض عليهم القوت، وكذلك فعل جميع الأمراء وأرباب السعة والثراء وكان الواحد فى أهل الفاقة إذا امتلأ بطنه بعد طول الطوى سقط ميتاً، فيدفن منهم كل يوم العدة الوافرة انظر: المقريزى: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٣١، محمود الحويري: العادل الأيوبي، طبعة القاهرة، ١٩٨٠، ص ١١١ .

(٣) ابن إياس: المصدر السابق، حـ١، ص ٩٣، أبو شامه: الذيل على الروضتين، ص١٩، ابن كثير: المصدر السابق، حـ١٣، ص ٣٣، المقريزى: السلوك، حـ١، ق١، ص ١٥٦، إغاثة الأمة، ص ٣١ .

(٤)السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهيم شلتوت، مراجعة محمد مصطفى زيادة، طبعة القاهرة ١٩٦٧ م، ص١٩٩ .

(٥)أبو شامه: الذيل على الروضتين، ص ١٩.

(٦) ابن إياس: المصدر سابق، حـ١، ص ٩٤.

جماعة فعلوه فأمر بحرقهم، فأحرقوهم بمشاهدة جميع الناس [١]، وأحرق فى أقل من شهرين ثلاثون امرأة أخرى فعلوا مثل ذلك،وقد شاع أمر أكل اللحوم الأدمية بين الناس خلال تلك الفترة، ووجدت لحوم الأطفال بالأسواق والطرقات مع الرجال والنساء مختفية [٢]،حتى وجد عند أحدهم في بيته أربعمائة رأس [٣]،واستمر الناس على هذا الحال من أكل لحوم الآدميين، ونجدهم يحتالون من شدة الجوع للإيقاع بأرباب الصنائع من الأطباء، وذلك عن طريق استدعائهم إلى المنازل، وهناك يذبحونهم ويأكلونهم [٤]، حتى فقد من الأطباء خلال تلك السنة مجموعة كثيرة[٥].

وكذلك كانوا يفعلون بالنساء الغواسل، يدعونهن لتغسيل الأموات، فيذبحونهن ويأكلونهن، كما كانت بعض المهن تتطلب من أصحابها التردد على المنازل، فكان هؤلاء عرضة للذبح والأكل خاصة الحلاقين والمزينين [٦]،وقد كان لهؤلاء الجوعى أسلوب غريب فى صيدالسائرين فى الأزقة بالحبال كما تصطاد الفرائس [٧]،ثم يقومون بذبحهم واكل لحومهم، كما يفعل بالأغنام وغيرها

---

(١) ابن أيبك: الدرر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، حـ٧، ص ١٤٩، أبو شامه: الذيل على الروضتين، ص ١٩

(٢) المقريزى:إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٣٠، ابن كثير: البداية والنهاية، حـ١٣، ص ٣٣، أبو شامه: الذيل على الروضتين، ص ١٩ .

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، حـ١٣، ص٣٣.

(٤)ابن أيبك: المصدر السابق، ج٧، ص ١٤٩، أبو شامه: الذيل على الروضتين، ص ١٩، ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص ٩٤، الحريري: الأعلام والتبين فى خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، ص ٩٣.

(٥) ابن إياس: المصدرسابق، ج١، ص ٩٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص ٣٣، المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص ١٥٦، حتى قيل إن رجلاً استدعي طبيباً، فلما مضي معه الطبيب جعل ذلك الرجل يكثر من ذكر اسم الله بطول الطريق، فسكن روع ذلك الطبيب بعد ما كان على وجل، فلما وصلا إلى الدار فإذا هى دار خرابة فارتاع ذلك الطبيب، فخرج إليه رجل من الخربة وقال للرجل الذي جاء بالطبيب وهل مع هذا البطء العظيم جئت الينا بصيد ؟ فلما سمع الطبيب ذلك ولي هارباً وما خلص إلا بعد جهد عظيم: انظر ابن إياس: المصدر سابق، ج١، ص ٩٤، ابن كثير المصدر سابق، ج١٣، ص ٣٣.

(٦) ابن أبيك: المصدر السابق، ج٧، ص ١٤٩.

(٧) البغدادى: المصدر سابق، ص ١٦٤ . ١٦٦، وكانت عملية خطف الآدميين تتم عن طريق حبل فى طرفه أنشوطه تطرح على السائر فتمسكه من عنقه، وبعدها يتم خطفه، ومما ذكر أن جامع أحمد بن طولون كان يقف بجواره بعض الناس ويقومون بخطف العابرين للمكان، وقد كاد أن يقع فى أيديهم شيخ كتبي بدين ممن يبيعون الكتب، ولكن الله لطف به وأفلت من قبضتهم، كما ذكر البغدادى أن امرأة من القاهرة قابلته وذكرت له أنها تعرضت عند بر الخليج

من المواشي ونتيجة لهذه المجاعة الشديدة كثر الموت بمصر،حتى غطت جثث الموتى الشوارع والطرقات، ولم تجد من يواريها التراب، فتركت فى العراء [١]،حتى أن الناظر الى مياه النيل وشطوطه كان يري جثث الموتى وأشلاءهم متناثرة فى كل مكان [٢]،وهو ما أدى إلى تلوث الماء والهواء بالعفونة، فانتشر على إثر ذلك الوباء والمرض بمصر وكثرت الوفيات [٣]،حتى إن بعض القرى قد هلك أهلها جميعهم وأصبحت خربة، لا أثر فيها لإنسان أو حيوان أو طير [٤]،كما تأثرت به بعض المدن أكثر من غيرها، فكثرت بها الوفيات، مثل الإسكندرية ودمياط والفيوم [٥]، وكان من الطبيعي أن ينتشر على إثر هذه المجاعة الوباء والطاعون، و يشير ابن إياس إلى ذلك فيقول " ثم جاء عقب ذلك فناء عظيم حتى مات من أهل مصر حوالي الثلثين " [٦] وإن كان الذهبي قد أشار إلى أن من أحصاه ديوان أو قلم الحشرية المختص بتسجيل أسماء من هلك بالوباء والطاعون [٧] فى مدة سنتين تقريبا، مائة وواحد وعشرين آلف متوفٍ،وهذا العدد هو الذي أحصاه الديوان فقط، فلا شك ان هناك أعداد كثيرة جدا أخرى، لم يتمكن الديوان من إحصائها، وذلك لبدائية وسائل الإحصاء التي كانت متبعة في تلك الفترة، بالإضافة الى قسوة المجاعة والوباء والطاعون، الامر الذي كان يجعل رجال الديوان الذين يقومون بالإحصاء

= ______

لعملية خطف عندما اندفع اليها احد الرجال وخطف مولودها، وأن فارساً كان يسير فى الطريق صدفة فاندفع الى الخاطف واخذ المولود، وأعطاه لأمه عن ذلك انظر: البغدادى: المصدر سابق، ص ١٦٢ ـ ١٦٦.

(١) المقريزى: السلوك، حـ١، ق١، ص ١٥٧، ابن الفرات: المصدر السابق، مجلد ٤، حـ٢، ص ٢٠٨، السيوطى: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة بيروت، ١٩٨٨ م، ص ٥٢٠ .

(٢)البغدادى: المصدر السابق، ص ١٦٩، بول غليونجى طب وسحر: ط٥،المكتبة الثقافية،١٩٩٩م، ص ١٣٦.

(٣) ابن واصل: المصدر السابق، حـ٣، ص ١٢٧، المقريزى: السلوك، حـ١، ق١، ص ١٥٧، ابن الأثير: المصدر السابق، حـ٩، ص ٢٥٥.

(٤) البغدادى: المصدر السابق، ص ١٦٩، بول غليونجى طب وسحر: ط٥،المكتبة الثقافية،١٩٩٩م، ص ١٣٦.

(٥) البغدادى: المصدر سابق، ص ١٧٨، بول غليونجى: المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج١، ص ٩٤.

(٧)الذهبي: دول الإسلام، حـ٢، ص ١٠٦، حاشية ١.

على ارض الواقع في غاية الحذر حتى لا يصابوا بالعدوى، ولعل ذلك هو ما دفع ابن إياس الى القول بان ثلثي أهل مصر قد مات من جراء هذا الوباء. وعلى الرغم من الجهود التي بذلت من قبل السلطان العادل، وسائر الأمراء [١] والأغنياء وميسوري الحال في مساعدة المتضررين من هذه المجاعة [٢]، إلا أن هذه الجهود كانت كالقنطرة في بحر، وذلك لضخامة الكارثة التى فاقت كل الكوارث والأزمات التي تعرضت لها مصر من قبل، قيل عنها انها كانت اكبر واخطر من الشدة العظمي التى تعرضت لها مصر في خلافة المستنصر الفاطمي والتي استمرت لمدة سبع سنوات في سنة (٤٥٧ -٤٦٤هـ /١٠٦٤ -١٠٧١م)[٣]، وقد زعم الكثير من أرباب الأموال ان هذا الغلاء والمجاعة التي حدثت في عهد العادل كسني يوسف عليه السلام [٤] " واستمر الامر على ذلك مدة ثم سكن الحال، وتراجع الأمر قليلا، وظهرت الغلال وانحط سعر القمح، حتى صار رميا لا يجد من يشتريه، وتراجع سعر كل شئ وانصلح الوقت وطاب ورجع الماء الى مجاريه " [٥] ولكن دوام الحال من المحال، فقد عاود النيل انخفاضه الحاد، ولكن هذه المرة كانت في عهد السلطان الكامل (٦١٥-٦٣٦هـ /١٢١٨-١٢٣٨م) عام ٦٢٧هـ /١٢٢٩ م، وهو ما أدى إلى ارتفاع الأسعار [٦]، ويبدو أن انخفاض منسوب النيل قد امتد إلى العام التالي ٦٢٨هـ /١٢٥٠م،حيث يشير إلى ذلك أبو شامة عند حديثه عن أحداث عام ٦٢٨هـ فيقول "وفيها ظهر الغلاء بالديار المصرية، فان نيلها نقص في شوال سنة سبعة وعشرين (وستمائة) وهو

---

(١) ويعد الأمير لؤلؤ، احد الحجاب بالديار المصرية، واحد أكابر الامراء في ايام صلاح الدين،وايام العزيز عثمان،وشطرا من عهد العادل،وكان قائدا للأسطول ومشهورا بالجهاد،وكان مع كثرة جهاده دار الصدقات كثير النفقات في كل يوم،وعندما وقع غلاء بمصر تصدق باثنتي عشر الف رغيف،لاثنتي عشر الف إنسان انظر ابن كثير:مصدر سابق، جـ١٣،ص٣٠ .

(٢) المقريزي:إغاثة الأمة، ص٣١.

(٣) سبط بن الجوزي:المصدر السابق،جـ ٨،ق٢،ص٤٧٧،ابن ايبك:المصدر السابق،جـ٧،ص١٤٩.

(٤) المقريزي: إغاثة الأمة، ص٣١.

(٥) ابن إياس:بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـ١، ص٩٤، ابن أيبك المصدر السابق، جـ٧، ص١٤٩، ابن الفرات،المصدر السابق، مجلد ٤، جـ٢،ص٢٠٩.

(٦) ابن ايبك: المصدر سابق، جـ٧، ص٢٢٩، النويري:المصدر السابق،جـ٢٩،ص١٦١، المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص٢٤٠.

الموافق لشهر مسري من شهور القبط "[(١)] كما أشار الى ذلك آخرون [(٢)]، وعلي أي حال فان نقصان النيل خلال هذين العامين قد اثر علي حياه المصريين تأثيرا بالغا . في مختلف النواحي خاصة الاقتصادية والصحية،إذ يترتب على نقصان مياه النيل ظهور المجاعات، وفي سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١حصل غلاء شديد في الشام على جميع أصناف البضائع، فأكل الناس بعضهم بعضاً، ومات أناس كثيرون بسبب الجوع، وحدث غلاء أخر في مصر في سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م بسبب نقص النيل، وانعدمت الأقوات وحدث الجوع بين الناس، واستمر هذا الغلاء إلى السنة التي تلتها، وفي سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م تفاقمت الأمور في ولاية العادل كتبغا فكانت ايام شر لما فيها من قصور مد النيل، وغلاء الاسعار وكثرة الوباء في الناس، وفي سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م أصاب مصر الجفاف وانعدم الشعير بسبب نقصان مياه النيل حتى العليق الذي فرق خيول المماليك كان من الفول، وارتفعت اسعار التبن والأعلاف بشكل عام، وتناقصت مياه النيل في السنوات التالية (٨٢١هـ / ١٤١٨م و ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م) مما ادى الى حدوث الغلاء في سنتين متتاليتين، وفي سنة٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م -٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) توالت سنوات الغلاء واجتاحت المجاعة البلاد فأصاب دمشق والشام غلاء شديد ارتفعت خلالها الاسعار بشكل كبير،حيث بيع فيها خروفان بخمسمائة درهم، ومات الناس من شدة الجوع[(٣)]، وفي سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م زاد النيل وتجاوز الحد و بلغت زيادته ثمانية عشر ذراعاً واحدى وعشرين اصبعاً، و رافقه هبوب للرياح، مما ادى الى خراب المزروعات وجفافها، ولم يجمع في زمن الحصاد إلا القليل مما ادى الى ارتفاع الاسعار، ووصل فيها الإردب من القمح الى خمسين درهما، وغرقت كثير من البلاد وهلكت الناس والمزروعات والحيوانات، وغرقت شون الغلال والاقصاب والمعاصر، وفي حوادث سنة(٧٤٨هـ/١٣٤٧م -٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م) غلت الاسعار في دمشق وحلب ومصر وانكشف حال خلق كثير، وجلا كثيرون من أهلها الى حلب

---

(١) أبو شامه: الذيل على الروضتين، ص ١٥٩.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ص ٣٧.

(٣) منال أحمد إبراهيم أبو زيتون: المجاعات في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير مشورة،جامعة اليرموك ١٩٩٨م، ص٦٠.

وغيرها من المدن الشامية، واختطف الحرافيش الخبز من الجوع والحرافيش هم أقل من العامة من الطبقات الواطئة في المجتمع وفي سنة ٧٧٣هـ /١٣٧١م أدت زيادت النيل الى انقطاع الناس من الطرقات وتأخر المزروعات عن أوانها وتضرر الفلاحون، وتقطعت الجسور، وانهدمت معظم البيوت المطلة على النيل، وفي سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م زاد النيل فارتفعت الاسعار، وامتنع التجار والأمراء عن البيع وكثر الخوف من تقحط البلاد، ولم تزرع معظم الفلاحين أرضها خوفاً من الخسارة وقد بلغ عدد موجات الغلاء والمجاعات الناجمة عن قصور النيل ضمن الفترة الواقعة بين (٧٧٦هـ/ ٩٠٨م) و(١٣٧٤م/ ١٥٠٢م) خمس عشرة غلوة، وكان أكثرها تأثيرا في السكان المجاعات التي حصلت في السنوات (٧٧٦هـ/ ٧٧٧هـ) (١٣٧٤م/١٣٧٥م) (٨٠٦-٨٠٨هـ ————————————————————)

(١٤٠٣م/١٤٠٥م)(٨٥٤/٨٥٥هـ)(١٤٥٠/١٤٥١م)(٨٧٥هـ/١٤٧٠م)(٩٠٢هـ/١٤٩٦م)(٩٠٤هـ/١٤٩٨م)(٩٠٦هـ/١٥٠٠م)(٩١٠هـ/١٥٠٤هـ)(٩١١هـ/١٥٠٥م)(٩١٨هـ/ ١٥١٢م) (٩١٩هـ/١٥١٣م) وقد تفاوتت في تأثيرها وفقا لطبيعة الأمراض التي نشأت عنها ومدة استمرارها، ومن ثم تجويع الناس، وهو ما يؤدي الى سوء الحالة الصحية وانتشار الأمراض والأوبئة لعدم تمكن الأجسام من مقاومة الأمراض. وإذا كان النيل قد تحكم في حياة المصريين، فان بلاد الشام أيضا كان فيها مجموعة من الأنهار الصغيرة، والتي كان انحسار مياهها أو زيادتها تؤدي الى ظهور المجاعات في المدن التي تمر بها هذه الأنهار، كما لا يمكن إغفال الدور المهم الذي كانت تلعبه مياه الأمطار في المناطق التي لا توجد فيها انهار، ففي بعض الأوقات كانت الأمطار تشتد وتتحول الى سيول فتغرق الأراضي وتتلف المحاصيل، وفي بعض الأحيان ينقطع المطر فتحدث المجاعات.وقد تعرضت بلاد الشام لانقطاع المطر خلال عامي ٥٧٤-٥٧٥هـ /١١٧٨-١١٧٩م، وأصاب ما حولها من البلاد[1]، وترتب على ذلك المعاناة الشديدة من الغلاء والمجاعة، مما ادى الى إصابة اهل الشام ومعهم الصليبيين ايضا بالوباء الذي ادى الى هلاك اعداد كبيرة منهم، وفي سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م تعرضت بلاد الشام لجدب وقحط نتيجة لانعدام المطر، وقد أثر ذلك اثر على الصليبين وقواتهم، ودفع ريموند الثالث أمير طرابلس لعقد

---

(١)مثل بلاد الجزيرة ومصر وغيرها،حتي "استسقي الناس في اقطار الارض، فلم يسقوا، وتعذرت الأقوات، واكلت الناس الميته انظر ابن الأثير:المصدر السابق، جـ ٩، ص٤٥ .

هدنة مع المسلمين لمدة أربع سنوات [١]، كما شهدت بعض السنوات زيادة كمية المطر عن الحد المطلوب فتكثر معها الأمراض، والمجاعات، ويتضح ذلك مما حدث بدمشق [٢]عام ٥٩٦هـ /١١٩٩ م، عندما تعرضت لأمطار غريزة أدت إلى غلاء الأسعار، وقلة الأقوات، وانعدام العلوفات، فنفقت الدواب، وعاني أهل المدينة اشد المعاناه من جراء ذلك، وقد أشار مؤرخو الحروب الصليبية إلى الآثار السيئة التي كانت تنجم عن غزارة الأمطار في بلاد الشام في بعض السنوات، ومن هؤلاء فوشية الشارتري، الذي يقول "ورايت اشخاصاً عديدين من الجنسين وعددا هائلا من الحيوانات يلقون حتفهم في احد الأيام بسبب هذه الأمطار التي تجمد الأطراف " [٣]ثم انعكس الحال في سنة ٦١٣هـ /١٢١٦ م، حيث "كانت سنة قليلة الأمطار غالية الأسعار " [٤]،ثم تعرضت بلاد الشام لموجة جديدة من القحط وانعدام المطر، وذلك عام ٦٢٢هـ /١٢٢٥م، وهو ما أدى الى ظهور الغلاء الشديد بالشام أيضا ثم أعقبه فناء كبير مات بسبه خلق كثير في البلدان، وفي سنة ٦٢٦هـ /١٢٢٨م قطعت المياه عن دمشق وأهلها عمدا، وضيقوا على أهلها، فتم قطع الأنهار، ونهبت الحوا صل، وغلت الأسعار [٥]،أما فى سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م، فقد تعرضت البلاد للجفاف نتيجة قلة مياه الأمطار والأنهار والآبار، و كان فيها " غلاء شديد بديار مصر وبلاد الشام، وحلب والجزيرة، بسبب قلة المياه السماوية والأرضية، فكانت هذه السنة كما قال الله تعالى « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه

---

(١) ستيف رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢، ص٧١٨.

(٢) وكانت دمشق قد تعرضت قبل ذلك في نهاية عام ٥٩٥هـ /١١٩٨م وبداية عام ٥٩٦هـ /١١٩٩ لانقطاع المياه الواصلة الى داخل المدينة وهو ما ادئ الى ظهور المجاعة انظر:المقريزي:السلوك، ج١، ق١، ص١٤٩ وارتفعت الاسعار وفحش الغلاء، الامر الذي جعل اهالي دمشق يتمنون معه الموت:ابن واصل:المصدر السابق،ج ٣،ص١٠٠والسبب في ذلك كان هو محاصرة الملك الافضل بالجيش المصري لعمه العادل بدمشق حيث قطع عنها الأنهار والميرة، فلا خبز ولا ماء الا قليلا وقد تطاول الحال علي ذلك حتي جاء فصل الشتاء انظر:ابن كثير:المصدر سابق،جـ١٣، ص٢٨ .

(٣) قاسم عبده قاسم: تاريخ الحملة الى بيت المقدس، طبعة الكويت، ١٩٩٣ م، ص١٢٥

(٤) ابو شامة:الذيل علي الروضتين، ص٩٣

(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، حـ٩، ص ٣٧٩، ابن كثير: المصدر، حـ١٣، ص١٤٣، المقريزى: السلوك، حـ١، ق١، ص ٢٣٤.

راجعون " [١]،وشهدت سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م قطع المياه عمداً عن دمشق أيضاً [٢]،وفى نهاية عام ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م، وأوائل عام ٦٣٩هـ / ١٢٤١م " ظهر نقصان المياه فى السماء والأرض، فنقصت الأنهار ونقصت الآبار وهلك الزرع والثمار " [٣]وفي سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م نقص النيل عن الزيادة إيذانا ببدء المجاعة والمحن ولم يوف، وأخذت العامة تتشاءم من السلطان، واعتبرت ان جلوسه في مجلس الحكم هو الذي أدى الى حدوث هذا الامر، وكان يؤدى نقصه الى انعدام الزراعة،وغلاء الأقوات والأسعار وحدوث للمجاعة والغلاء، وكان الامر يتكرر، في السنة نفسها فيشتد الغلاء في الشام ومصر، وفي سنة ٦٩٥هـ١٢٩٥م انخفض النيل وادي الى حدوث مجاعة وانتشار الطاعون، فقضي على كثير من الناس، وتناقصت مياه النيل في سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م حيث وصل ارتفاع الماء الى اقل من ستة عشر ذراعاً، فتضرر معظم الناس وخاصة الفقراء وارتفعت الاسعار وانعدم الخبز من الأسواق، وفي سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م حصل جفاف في بلاد الشام وفلسطين، توقفت الأمطار فخاف الناس وجفت الآبار،وهلكت المواشي بسبب قلة الزرع الذي ترعاه، ورحل الناس عن أوطانهم و، كان عدم نزول المطر سبباً في ارتفاع الغلال والبضائع وارتفاع سعر الماء، وفي حوادث سنة(٧٧٥هـ/١٣٧٤م)،بيعت راوية الماء بخمسة دراهم، وماتت الحيوانات من الجوع وقلة العلف،وشرق غالب البلاد نتيجة لهذا الامر[٤]، كما ان اشتداد المطر كان يؤدي الى غرق المزروعات وانهيار البيوت، فقد أنهدم في الرملة نتيجة للأمطار الغزيرة اكثر من الف بيت،وكان لسقوط البرد والثلج اثر في أتلاف الزر وع، وأبادت الأمطار والبرد ثمانمائة فدان، وأدى ذلك الى موت كثير من الأغنام في سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م برد (أى قطع من الثلج) كبير الحجم فى جميع بلاد مصر وعاق الناس عن المشي فى الطرقات وأتلف الكثير من الغلات،وأهلك ما لا يحصى من الزرع الأخضر [٥]وفى

---

(١) سورة البقرة، أية ١٥٥، ١٥٦.

(٢) حيث حاصرها الملك الكامل وقطع عنها المياه وضايقها حتى غلت الأسعار انظر. المقريزى: السلوك، حـ١، ق١، ص٢٥٦، ٢٥٧ .

(٣) أبو شامه: الذيل على الروضتين، ص ١٧١.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١،قسم ٢،ص١٢٥، ابن طولون: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي المتوفى: ٩٥٣هـ مفاكهة الخلانفي حوادث الزمان، ج١، د.ت،ص١٥٥، البصراوى: تاريخ،ص٩٢.

(٥)عثمان على محمد عطا:مرجع سابق،٨٤.

سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٦م سقط المطر في غير أوانه فى الوجه البحرى فقط،ونزل مع المطر قطع من الثلج كبيرة الحجم بلغ وزن الواحدة أوقية وأوقيتين،ومنها ما كان بحجم رغيف الخبز الكبير،ونتج عن هذا المطر الشديد سيول،أنلتف الكثير من الزرع [١]،ولم يتأثر بهذا البرد والمطر إلا بلاد الوجه البحرى فقط وفي سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م سقط البرد ولكنه كان مقصورا على إقليم الغربية فقط،فاسد كثيرا من الزرع الذى كان قد اقترب وقت حصاده[٢]،ففى سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م هبت ريح من ناحية برقة على إقليم البحيرة،والغربية،والشرقية،وبلاد الصعيد الأعلى ؛فتسببت في فساد الزروع،وفسدت المحاصيل الصيفية كالأرز،والسمسم،والقلقاس،وقصب السكر،ومما زاد من حدة هذه الريح أنه أعقبها أمراض وحميات ؛فارتفعت أسعار المواد هكذا يتضح لنا أن التى يحتاج إليها المرضى مثل السكر والعسل،وأما الفواكه فلم تعد موجودة،وارتفعت أسعار المواد الغذائية، فبلغ سعر الإردب القمح مائة وتسعين درهما،والإردب الشعير مائة وعشرين درهما والفول والعدس إلى مائة درهم الإردب،والفروج بثلاثين درهما،والبطيخة بأربعين درهما [٣]،وففي سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٥م أصابت صقعة غالب فواكه حلب،واتلف الهواء الشديد الكروم والزروع،وخسر الناس الاموال، ويبس كثير من القمح والشعير في غوطة دمشق بسبب قلة المطر، فرعت الدواب الزرع، وأتلفت محاصيل الناس، وضاعت الاموال والأرزاق، وأغلقت الاسعار وكان الناس يعانون من انحباس المطر والقحط والغلاء، ومن ظلم النائب لهم، وفى سنة ٨١٢هـ/ ١٤١١م سقط مطر عظيم فى الغربية وسقط مع المطر قطع ثلج كان زنة الحبة ما يوازى مائة درهم كما يقول ابن حجر [٤]،وتسبب هذا البرد فى تلف زروع كثيرة ؛لأنه سقط فى وقت، الحصاد وبلغ ضرره أنه أفسد الزرع فى ثمانمائة فدان فى الغربية فقط[٥]،وفي سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م أمطرت السماء مطرا شديدا غزيرا،استمر فترة طويلة فتأثرت به معظم بلاد مصر ؛ ففى القاهر كثر الوحل فى الطرقات وعاق الناس عن المشي فيها،أما فى الأقاليم ففسد

---

(١)المقريزى،السلوك،ج٣،ق١،ص٢٨.

(٢) عثمان على محمد عطا،مرجع سابق،٨٤.

(٣) المقريزى:أغاثة الأمة،ص٣٣-٣٤.

(٤) ابن حجر:إبناء الغمر،ج٣،ص١٥٨.

(٥)ابن حجر:المصدر سابق،ج٣،ص١٥٨.

من الزروع شئ كثير وارتفعت الأسعار بسبب ذلك أما أشد البلاد تأثرا بهذا البرد فكانت المحلة ؛فقد سقط فيها برد كبير [١]،وسقط مع المطر وفي سنة ٨٢٦ هـ / ١٤٢٦م، سقطت أمطار غزيرة أدت الى إتلاف الأشجار وغلاء الاسعار،وللصقيع دور في إتلاف المحاصيل والثمار،وحدث مثل ذلك أيضا فى سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م حيث سقط مطر غزير سقطت منه عدة دور،وأصبحت الشوارع كالخلجان من شدة المطر،وهلك عدد كبير من الحيوانات [٢] ،وقد أصيبت جميع البلاد بهذا المطر، وأيضاً حدث مثل في سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م حيث سقط مطر شديد لدرجة أن الأرض توحلت، ووقعت بعض المنازل وفسدت الفاكهة بسبب كثرة الماء فى البساتين فقلت الفاكهة وارتفع سعرها، وكذلك ارتفع سعر الليمون حتى بيعت الليمونة الوحدة بنصف دراهم [٣] ،وقد أثر ذلك المطر فى الجميع البلاد، ففي سنة ٨٩١هـ/ ١٤٩١م تزايد ظلم النائب للرعية،وقلت أقواتهم ووقفت أحوالهم بسبب كثرة وقوع الثلج،وغلاء سعر القمح، حيث أصبحت الغرارة بنحو أربعمائة، وصار اللحم بخمسة دراهم،ففي سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م حدث مطر في السابع عشر من كانون الأول وكان اول مرة يقع في تلك السنة،وانتفع به عامة الناس،وادي الى انخفاض السعر الذي كان من قبل، أما بالنسبة لهبوب الرياح فإنها غالبا كانت تأتى من ناحية برقة وتكون محملة بتراب أصفر يكسو الزرع ويؤدى إلى سقوط الثمار والحب قبل نضجه،وهذا ما يسميه المؤرخون فى ذلك العصر بـ "هيفان الزروع " وقد حدث ذلك فى عدة أعوام ؛ وفي حكم الناصر الثانية،وتحديدا في شهر برمهات (شوال) سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٧م هبت ريح من جهة الغرب قرب وقت حصاد الزرع فسقط الحب من السنابل وهاتف أكثر الزروع حتى ترك الفلاحون أكثرها بغير حصاد، ولم يسترد معظم الفلاحين قيمة البذور التى بذورها فى الارض ولكننا نلاحظ أن الأمراء وأصحاب الا قطاعات قد تعاطفوا مع الفلاحين بسبب هذا الأزمة وتسامحوا فى مطالبتهم الفلاحين بالغلال تخفيفا [٤]،وفي سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م

---

(١) ابن حجر:مصدر سابق،ص٣٠٢.

(٢) ابن حجر:مصدر سابق،ص٤١٨.

(٣) ابن حجر،مصدر سابق،ص٥٥٠.

(٤)عثمان على محمد عطا:مرجع سابق،ص٨٦.

فقد هبت ريح سوداء شديدة حجبت الرؤية،وأخلت بتوازن النخيل وهلك الزرع (١) ،وأثرت هذه الريح فى المزروعات وفي سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م هبت ريح شديدة ناحية بحر الاسكندرية فاقتلعت نخلا،وسقطت بسببها دور كثيرة،وأعقب الريح مطر شديد لدرجة أنة أهلك أغناما كثيرة،وعظم اضطراب النيل من شدة المطر حتى غرق فيه واحد وعشرين مركبا،وامتدت آثار الريح مطر إلى جميع البلاد،وفي سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م سقط المطر وبه قطع من الثلج مع الريح وارتفع الماء في مزارع القصب قدر ذراع مما أفسده وقلت الأسماك وفي سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م هبت ريح من جهة برقة مرت ببلاد البحيرة والغربية وكانت تحمل تراب أصفر كسا الزرع،ثم بعث الله المطر فغسل ذلك التراب ُثم هبت الريح مرة أخرى فالتصقت التراب بالزرع مما أصابه بالهيفان (٢) ،وفي ربيع سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م هبت ريح اصفر منها الجو واستمرت طوال اليوم حتى منتصف الليل وتسببت في سقوط عدة أماكن (٣) ،وتلف منه شئ كثير (٤) ،وهبت ريح في القاهرة الرابع من جمادى الأولى سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م وكانت تحمل ذرات تراب أحمر يشبه تراب أرض برقة (٥)،ويبدو أن هذه الريح كانت شديدة ؛ لأن الشيوخ الكبار في السن أجمعوا على أنهم لم يروا أو يسمعوا بمثلها (٦) ،ومع ذلك لم يكن تأثير هذه الريح قويا على المزروعات لأنها لم تهب إلا على مصر والقاهرة،أى لم يكن تأثيرها على الأقاليم الزراعية وهبت رياح الخماسين في شوال سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م وفي الخامس والعشرين من ربيع الأولى سنة ٨٦٢هـ/١٤٢٢م هبت ريح من جهة برقة ووصلت إلى القاهرة والجيزة والصالحية وبلاد الصعيد فحصل للناس في القاهرة هلع وفزع وكثر ضجيجهم في الأسواق والبيوت بالذكر والدعاء ويعلق ابن حجر عليها قائلا لم تهب هذه الريح منذ ثلاثين سنة)(٧)الوجه القبلى وارتفع سعر القمح

---

(١) المقريزى:السلوك،ج٢،ق١،ص٣٠٠.

(٢) المقريزى:السلوك،ج٢،ق٣،ص٧٥٢.

(٣) المقريزى:السلوك،ج٣،ق١،ص٢٨.

(٤) المقريزى:الخطط،ج٤،ص١١٩.

(٥) العينى:عقد الجمان ص٣٩٥،

(٦) ابن حجر:إنباء،ج٢،ص٢١.

(٧)ابن حجر: مصدر سابق،ص٣٠١.

[1]،وارتفعت الأسعار في شهر ربيع الأول سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م بسبب هبوب الريح المريسية فلم تستطيع المراكب المحملة بالغلال في الصعيد من الوصول إلى القاهرة والوجه البحرى واستمرت الأسعار مرتفعة حتى بلغ القمح ثلاثمائة وخمسين درهما والإردب الشعير بمائتين وعشرين،وحمل التبن بمائة وثمانين درهما،واستمرت هذه الاسعار حتى شهر ذي الحجة فانخفضت [2] ،وفى سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م توالى هبوب ريح حار شديدة الحرارة تسببت فى وقوع الغلة من سنابلها،فهاف الزرع في كثير من البلاد وادي ذلك إلى ارتفاع الاسعار فوصل إردب القمح إلى مائتين وخمسين درهما،والشعير بمائة وثلاثين درهما الإردب [3]،وفي سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م هبت ريح شديدة في دمياط تسببت في خلع كثير من الأشجار وسقوط عدد كبير من النخيل وفساد أشجار الموز وتلف كثير من القصب السكر وهدمت عدة دور،وهرب كثير من الناس إلى خارج دمياط لعظم ما حل بهم من البلاء[4]،ولم تتأثر بقية البلاد بهذه الريح وفي جمادى الأولى سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م هبت الريح المريسية،وأقبها برد شديد استمر ليلا ونهار حتى آخر الشهر ؛مما أدى إلى تلف غالب الزرع من البرسيم في جميع البلاد وأضرت كذلك بالكثير من أشجار البساتين،ومع ذلك لم تضر القمح والشعير [5]،ولذلك لم يرتفع سعرهما،و سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م فقد هبت ريح سوداء أظلمت القاهرة وأسقطت عدة بيوت فيها وكانت أشد البلاد تأثر بهذه الريح دمياط فقد هاج ماء البحر من هذه الريح وأغرق عدة بساتين فى دمياط وفارسكور،وغرقت عدة مراكب بمن عليها من المسافرين وحصل للناس ضرر كبير بسبب هذه الريح [6] ،لدرجة أن الرجل لا يستطيع أن يقف على رجليه فوق الأرض،وكان تأثير هذه الريح شديدا وتسببت في تقصف الأشجار وانتشار الأمراض والأوبئة التى تودي بحياة الشعوب.

---

(١) الصريفى:نزهة النفوس،ج٣،ص٢٥.

(٢) ابن حجر: إنباء،ج٣،ص٣٩٩-٤٠٥.

(٣) الصريفى: نزهة النفوس،ج٣،ص١٦٠.

(٤) ابن حجر:إنباء،ج٣،ص٥١٢،الصريفى،نزهة النفوس،ج٣،ص٢٧٥.

(٥) عثمان على محمد عطا: مرجع سابق،ص٨٧.

(٦)ابن إياس: بدائع الزهور،ج٤،ص٦٠.

انتشار الحشرات والآفات الزراعية

لاشك أن طبيعة المناخ حار في مصر، جعلها من أكثر المناطق عرضة للجراثيم وتوالد الحشرات التي تنقل عدوى الأمراض و، كان وجود أماكن كثيرة بالشام تغطيها البرك والمستنقعات أحد أسباب توالد البعوض المسبب لمرض الملاريا (١)،الذي أصيب به بعض الصليبين بالشام(٢).

وقد أشار إلى ذلك الرحالة سيولف (٣)، ومن أمثلة هذه الحشرات الذباب الذي انتشر بكثرة في بلاد الشام لاسيما في أماكن وجود الصليبين، نتيجة عدم اهتمامهم بالنظافة، ولعب الذباب دورا كبيرا في نقل الأمراض لاسيما مرض حمى التيفود، أما الآفات الزراعية مثل الجراد والفئران، فهي تأتي على المحاصيل والغلال، وتترك الأرض خرابا، و تسبب المجاعات، ومن ثم تسبب الأمراض،ويعتبر الجراد من اشد الآفات الزراعية خطورة على المزروعات والمحاصيل،وقد عانى المزارعون في مصر والشام من الجراد وأهواله، وتعرضت بلاد الشام خلال العصر الفاطمي لموجات من الجراد في بعض السنوات أتت على الأخضر واليابس، ففي سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م اجتاحت اسراب الجراد مدن الصليبين بالشام، واستمرت على مدى اربع سنوات متتالية أتت على الأخضر واليابس ودمرت الزروع، فندرت الغلات وعز الخبز وظهرت مجاعة شديدة (٤)، أما في العصرين الأيوبي والمملوكي، فقد تعرضت مصر لغلاء ومجاعة نظرا لانعدام المحاصيل الزراعية التي التهمها الجراد، وهو ما ادى الى ازدياد عدد السائلين والمحتاجين والجوعى في البلاد، وكان

---

(١)الملاريا: وهي وباء ينتشر عن طريق لدغ البعوض، وتعرف بحمى المستنقعات انظر: محمود الحاج قاسم: الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات، طبعة السعودية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٢٩٢.

(٢) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٢٢٠، ٢٩٠، ٣٢٠، إبراهيم خميس إبراهيم: الأوبئة والأمراض التي تفشت بين الصليبين في الشرق الأدنى وأثرها، مجلة كلية الآداب الإسكندرية،العدد٢٢،العام ١٩٩٢م، ص٩، وقد أصيب بمرض الملاريا وليم مونتفرات زوج إيزابيل أخت الملك الصليبي بلدوين الرابع انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص١٩٩.

(٣) سيولف: هو رحالة من بلاد الغرب الأوروبي، وقيل من انجلترا تغلب عليه النزعة الدينية وقام برحلته إلى بيت المقدس في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري، وقيل قبل عام ١١٠٤م، وتعتبر رحلته من الرحلات الهامة، لأنها كانت في بداية الاستقرار الصليبي بالشام، وحوت معلومات هامة في مختلف النواحي الاقتصادية والسياسية والدينية والصحية وغيرها انظر: محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوروبيين في مملكة بيت المقدس الصليبية، طبعة القاهرة، ١٩٩٢م، ص٤٢-٥١.

(٤) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص٣٥٧، ٣٥٨.

ذلك في عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م، كما كان لبلاد الشام نصيب من اجتياح الجراد لمزروعاتها،ففي سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م ظهر في الشام جراد كثير لم يعهد مثله [١]وكان يتقدم مثل الجيوش بنظام محكم كما لو كانوا قد رتبوا ذلك من قبل في مجلس للمشاورة، وهاجم سائر الأشجار والمزروعات والنخيل واتى على الثمار والخضراوات والغلات [٢]،لذلك ابتكر المعظم صاحب دمشق طريقة فريدة ونادرة لمقاومة الجراد [٣] ولكن يبدو أنه لم يحقق النتائج المرجوة منها.بدليل ان الجراد هاجم بلاد الشام في العام التالي ٦٢٠هـ/١٢٢٥م، اهلك كثيرا من الغلات والخضراوات [٤]،وفى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥م انتشر في الشام والعراق الجراد، وقد ترتب على ذلك حدوث الغلاء والمجاعة، ثم اعقب ذلك فناء عظيم مات بسببه خلق كثير [٥]، ففي سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م هاجم الجراد،دمشق وخاصة الغوطة،حيث تركها عصياً مجردة، وأدي الى إيباس الأشجار، وبقي الجراد يهاجم البلاد بين الحين والأخر، ففي سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م هاجم حلب، فخرج العساكر والفلاحون لقتله ودفنه، واثر الجراد في غلاء الاسعار، ففي سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م كثر بالشام واتلف الزروع مما ادى الى غلاء الاسعار،فوصلت غرارة القمح في دمشق ١٨٠درهماً، وفشت الأمراض والطواعين فيها، وهاجم الشام مرة اخرى واتلف الزروع والأشجار وأدى إلى غلاء الأسعار و، كان هذا في سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م،وظل الجراد يهاجم البلاد المرة تلو الأخرى،ففي سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م جاء إلى دمشق وأتلف المزروعات بعامة في

---

(١) ابن كثير: المرجع السابق، جـ١٣، ص١١٥، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٣١، الذهبي: تاريخ الإسلام، ص٥٦.

(٢) ابن واصل: المصدر السابق، جـ٤، ص١٣٣، ابن الاثير: المصدر السابق، جـ٩، ص٣٥٢، ابن تغري بردى: المصدر السابق، جـ٦، ص٢٥٣.

(٣) وهذه الطريقة النادرة هي ان المعظم سمع ان ببلاد العجم طيرا يقال له السمرمر وهو معروف الى اليوم في بلاد الأناضول يأكل الجراد، فارسل الصدر البكري محتسب دمشق ورتب معه صوفية وقال يمضي الى العجم فهناك عين تجتمع فيها السمرمر، فتأخذ من مائها في قوارير وتعلقه على رؤوس الرماح فكلما رآه السمرمر تبعك، وما كان مقصودة إلا ان يبعث البكري الى جلال الدين خوارزم شاه، فاجتمع البكري بالخوارزمي وقرر له الأمور وجعله سندا له، وكان الجراد قد قل فلما عاد البكري كثر الجراد، فقال الناس في ذلك أشعارا إلا ان المعظم ولاه مشيخة الشيوخ مضافة إلى الحسبة انظر: ابو شامة: الذيل على الروضتين، ص١٣١، ١٣٢.

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، ج٩، ص٣٥٢، ابن واصل: المصدر السابق، ج٤، ص١٣٣.

(٥) ابن كثير:المصدر السابق، جـ١٣، ص١٢٤.

أرض الشام، ولم يبق فيها شجر أخضر، كما هاجم في سنة٨٠٤(هـ/ ١٤٠٢)(٨٤١/١٤٤١م) القاهرة ومصر، أما في بيت المقدس فقد جاء اليها جراد كثيراً وأكل غالب ثمرة الكروم والزروع والخضروات في سنة (٨٨٩هـ/١٤٨٤م)،أما النوع الثاني من الآفات الزراعية فهو الفئران،فقد كثرت الفئران بمصر سنة٥٧٧هـ/١١٨١م، بدرجة كبيرة،وتسببت بإتلاف كميات كبيرة من المحاصيل والغلال بعد حصادها [١]،الأمر الذي ادى الى ارتفاع اسعار الغلال، وبالتالي تعذر شراؤها مما أثر على الحالة الصحية للمصريين، حيث ان الخبز يعتبر احد مقومات حياة الناس.كما ان الفئران تلعب دورا كبيرا في نقل الأمراض للإنسان، فالبراغيث الملاصقة لجلد الفئران والتي تتغذى على دمائها تحمل مرض الطاعون وتنقله الى الإنسان والحيوان [٢] و يفتك الطاعون بمن يصيبه ويؤثر على القوى المنتجة ويضر باقتصاد البلاد [٣]،ففي سنة ٦٥٩هـ/١٢٥٨م خرجت الفئران على الغلال في الجولان [٤]وحوران [٥] وأعمالها وأكلت ما يقدر بثلاثمائة ألف غرارة من القمح بأربعمائة دراهم في دمشق.وهاجمت الفئران البيادر في الشام،فأتلف الغلال والمزروعات فيها،وفي عهد العادل كتبغا عام ٦٩٦هـ/١٢٩٧م ظهرت الفئران بالبلاد المصرية قرب أيام الحصاد فأكلت كثير من الغلال ولم يحصل الفلاحون من الزرع في هذه السنة إلا القليل [٦]،وفي سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م ظهرت الفئران بجميع البلاد المصرية في وقت الحصاد وكانت تسابق المزارعين إلى الحصاد فالتهمت الكثير من الزرع والغلات ولم يحصل من الغلال إلا القليل فكانت الفئران تملك في الليلة

---

(١)المقريزي: السلوك، جـ١، ق١، ص٧١

(٢) فوشية الشارتري:الاستيطان الصليبي في فلسطين-تاريخ الحملة الى١٠٩٥ -١١٢٧ م ترجمة قاسم عبده قاسم،دار الشروق، القاهرة ١٤٢٢هـ، ص٢٦٠.

(٣) محمد بركات البيلي: الأزمات الاقتصادية والأوبئة، ص٢٢.

(٤) الجولان:بالفتح ثم السكون،قرية ويقال جبل من نواحي دمشق، ثم عمل من حوران –قال ابن دريد،يقال للجبل حوران حارث حوران، الحموي:معجم البلدان، ص ٣١٧.

(٥) حوران:كوره واسعة من أعمال دمشق،من الجهة القبلة،ذات قري كثيرة، ومزارع وحرار ذكرها العرب في أشعارهم كثيراً،الحموي،معجم البلدان،ص٣١٧.

(٦)عثمان على محمد عطا:الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادى والاجتماعي ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م،الهئية المصرية العامة للكتاب،ص٩٠.

الواحدة في البلد الواحد ما يقارب خمسين ألف إردب [١]،و في سنة (٧٠٥هـ/١٣٠٥م) كانت الفئران تهجم على مخازن الغلال وتأكل ما بها ؛في شونة أم القصور بمنفلوط في الصعيد فاضطر الموظفون إلى البيات بها؛ خوفا على الغلة من الفئران وأخذوا يقتلونها حتى الصباح فكان جملة ما قتلوه سبعة عشر إردباً[٢]،وفي سنة (٧١٥هـ/١٣١٥م) هجمت الفئران على نفس الشونة،وقتلوا في عدة أيام ثلاثمائة وسبعة عشر إردباً أى قتلوا ما يوازى ٢،٥٣٦،٠٠٠مليونين وخمسمائة وستة وثلاثين ألف فأر تقريبا،وهذا العدد الهائل يدل على كثرة انتشار الفئران في ذلك العصر،لقد اعتبروا الإردب فوجدوه يحتوى على ثمانية آلاف فأر،أي أنهم قتلوا في تلك الليلة ١٣٦ألف فأر، وفي سنة (٧٣٨هـ/١٣٣٧م) ظهرت الفئران في بلاد منفلوط بالصعيد فهجمت على الزروع والجرون الممتلئة بالغلال فكان يأكل ربع الجرن في اليله واحدة،ولم يقف أهالى منفلوط مكتوفى الأيدى أمام هذا الهجوم الشرس فأخذوا في المقاومة الفئران مقاومة يدوية فقسموا أنفسهم مجموعتين: الأولى تحمل المشاعل وتقتل الفئران طوال الليل والثانية تتولى قتلها نهارا، واستمروا على ذلك لمدة شهرين،وكانوا يتخلصون من الفئران الميتة إما بالحرق، وإما بإلقائها في النيل [٣]،ونلاحظ أن هذه هى المرة الأولى التى يتم فيها مقاومة الفئران، وكان من نتيجة هذا الهجوم أن ضاع للسلطان وحده فى بلاد منفلوط ستون إردب فول [٤]،وهناك أوردها المقريزى تؤكد كثرة انتشار الفئران في ذلك العصر،فقد صور لنا مشهدا عجيبا حدث في بلاد منفلوط في سنة (٧٣٨هـ/١٣٣٧م) فيقول:[٥] خرج جمع عظيم من فئران بيض حتى ملئوا الأرض فخرج مقابلهم فئران سود واصطفوا صفين فى أرض مساحتها فدانان ثم تصايحوا،وحمل بعضهم على بعض،واقتتلوا ساعة،وانكسرت الفئران السود وتبعهم البيض يقتلونهم حتى فرقوهم في تلك الأراضى" وبالرغم من أن هذه الرواية لم يرويها أحد من المؤرخين سوى المقريزى وبالرغم من غرابتها إلا أننا لا نستطيع إنكارها ؛ لأن المقريزى يؤكد حدوثها ويقول "وكان ذلك

---

(١)عثمان على محمد عطاء: مرجع سابق،ص٩٠.

(٢) عثمان على محمد عطا:مرجع سابق،ص٩١.

(٣) المقريزى:السلوك، ج٢،ق٢،ص٤٥٤.

(٤) ابن حجر :إنبا، ج٣،ص٦٩،المقريزى،السلوك، ج٤،ق١،ص٣٣٠.

(٥) المقريزى:السلوك، ج٢،ق٢،ص٤٥٤.

بمحضر عالم كبير من الناس،وكتب بذلك إلى السلطان [١]و ظهرت٧٧٠هـ/١٣٦٩م مما أدى الى خراب المزروعات في البلاد،وفي سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م) والتهمت الكثير من الغلال،فندرت هناك وأخذ أهل الوجه البحرى يحضرونها من الصعيد [٢] ،فارتفعت الأسعار أما في مصر فقد ظهرت فيها فئران لا تحصى فحصدت الزرع، وأتلفت الغلال مما جعل الناس يحملون المشاعل طوال اليل، لقتلها وأكلت نحو ستين الف إردب فول، وكثرت أفراخ الفئران في الشام سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م وتسلطت على الزروع،وحصل ضرر عظيم للناس، وارتفعت اسعار الفول والشعير الى ١٥٠ درهما، وظلت في زيادة حتى وصلت الى ثلاثمائة درهم [٣]،وفي سنة(٨٤٢هـ/١٤٣٨م) هذه الحادثة التى كان المقريزى معاصر الها ورواها لنا فقال:"[٤] كانت للفئران حرب شهدها الناس،وقد اجتمع من الفئران عدد عظيم اقتتلوا قتالا كثيرا ثم تفرقوا،ووجدو الناس بعد ذلك في ميدان القتال عدداً كبيراً من الفئران ما بين مقتول ومجروح ومقطوع بعض الأعضاء "وفى سنة (٩١٧هـ/١٥١١م) ظهرت الفئران فى جميع بلاد مصر وتسلطت على المزروعات وأخذت تقرض القمح والشعير وهو فى سنبله مما أدى إلى ارتفاع الأسعار،فوصل سعر إردب القمح إلى دينار أشرفى، بعد أن كان كل إردبين بدينار ولم تحدث أى مقاومة للفئران هذا العام ؛وذلك بسبب كثرتها كما يقول ابن إياس [٥] ،ولكنى أعتقد أنه لم تحدث مقاومة بسبب الشدة واليأس الذى كان يعيش فيهما الناس من شدة ارتفاع الأسعار وكثرة الضرائب،كل ذلك جعلهم لا يهتمون بالقضاء على الفئران.

إما بالنسبة لآفة الدود كانت غالبا ما تظهر إذا زرع الفلاحون قبل موعد الزراعة ؛ وذلك خوفا من هبوط النيل بسرعة،أو يظهر عقيب حر شديد؛ لأن الحر يعطى فرصة نمو أسرع للدود،وكان الدود غالبا ما يهاجم على البرسيم فيفينه،ومن ثم ترتفع الأسعار فى جميع المواد،وليس البرسيم فحسب ؛وذلك لاستخدم محصولات أخرى كالفول علفا للحيوانات سدا

---

(١) المقريزى:السلوك،ج٤،ق٣،ص١١٤٠.

(٢) عثمان على محمد عطا:مرجع سابق،ص٩١.

(٣) المقريزي: السلوك،ج٢،قسم ١-٢، ص٣٠٠-٤٥٤.

(٤) المقريزى:السلوك،ج٤،ق٣،ص١١٤٠.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور،ج٤،ص٢١٧.

للعجز فى البرسيم الذى هو علف الحيوانات الرئيسى ولقد هجمت الدودة على المحصولات سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٧م) في جميع الأراضى وعم ذلك أكثر الزرع؛فأمر الولاة بعمل إحصاء بقيمة ما تلف من الزرع وكانت نتيجته أن ما تلف نصف المحصول فى بعض البلاد،وأقل من النصف فى بعض البلاد الأخرى،وارتفعت أسعار الغلال بسبب ذلك فوصل سعر الإردب عشرين درهما بعد أن كان بثلاثة عشر درهما [(١)] ،وارتفعت الأسعار فى عامى ٨٢١هـ/١٤١٨م)،(٨٢٢هـ/١٤١٩م) ؛بسبب هجوم الدود على الزرع وخاصة البرسيم،فارتفعت الأسعار،فبلغ سعر إردب القمح ثلاثمائة درهم وإردب الفول ثلاثمائة درهم،واللحم البقرى الرطل بستة دراهم،والضان بثمانية دراهم والجبن بثمانية دراهم وارتفعت أسعار كل المواد الغذائية[(٢)]وفي سنة (٨٥٥هـ/١٤٥١م) يتعجب أبو المحاسن من أكل الدود للبرسيم فيقول [(٣)]،:"إن العادة إذا أكلت الدودة زرعا تأكل منه شيئاً وتترك أكثره بخلاف هذه السنة،فإنها صارت ترعاه أكثر من رعى البقر والجاموس حتى لا تدع منه العرق الواحد "وقد انتشرت الدودة في جميع أقاليم مصر وكانت بلاد الجيزة والبهنساوية أكثير ضررا من بقية البلاد،ونتج عن ذلك ارتفاع أسعار البرسيم،فوصل ثمن الفدان منه عشرة دنانير [(٤)] ،وهكذا نكون قد عرضنا لأهم عوامل انتشار الأمراض بمصر والشام سواء كانت عوامل بشرية أم طبيعية، وننتقل الآن للحديث عن الأوبئة التي انتشرت في مصر والشام خلال العصرين الأيوبي والمملوكي.

---

(١)المقريزى:السلوك ج٢،ق١،ص٣٠٠.

(٢) الصريفى:نزهة النفوس،ج٢،ص٤٢٠-٤٥٢.

(٣) أبو المحاسن:حوادث الدهور،ج١،ص٢٧٩.

(٤) أبو المحاسن:مصدر سابق،ص٢٧٨.

الفصل الثالث

الأوبئة والطواعين التي انتشرت في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام

❖ الطاعون في مصر وفي بلاد الشام.

الطاعون هو أحد أشهر الأمراض الوبائية التي عرفها التاريخ إذا تسبب هذا المرض بموت ملايين الضحايا على مدار التاريخ كله،ونظراً الى هول الكوارث البشرية التي خلفها مرض الطاعون سنذكر أعددا من الأحداث الهامة التي يؤرخ بها والتي يجدر ذكرها في الكتب التاريخية والدينية القديمة.

الأوبئة والطواعين في العصرين الأيوبي والمملوكي:

وهي أمراض تصيب خلقاً كثيراً فى بلد واحد وزمان واحد، وقلما ينجو منها من يصاب بها [(١)]، ولعل أشهر الأمراض الوافدة على الإطلاق وأهمها هو مرض الطاعون [(٢)]، وهو وباء يكثر فى البلاد الوبيئة، وقيل أن الوباء هو الطاعون، والحقيقة أن بينهما عام وخاص، فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعوناً، وكذلك الأمراض العامة، أعم من الطاعون، فإنه واحد منها.وقال الأطباء " إذا وقع الخراج فى اللحوم الرخوة، والمغابن، وخلف الأذن والأرنبة، وكان من جنس فاسد، سمى طاعوناً، وسببه دم ردئ مائل إلى العفونة والفساد، مستحيل إلى جوهر سمى يفسد العضو ويغير ما يليه، وربما رشح دماً وصديداً، ويؤدى إلى القلب كيفية رديئة، فيحدث القيئ والخفقان والغشى، وهذا الاسم وإن كان يعم كل ورم يؤدى إلى القلب كيفية رديئة، حتى يصير لذلك قتالاً، فإنه يختص به الحادث فى اللحم الغددى، لأنه لردائته لا يقبله من الأعضاء إلا ما كان أضعف بالطبع، واردؤه ما حدث فى الابط وخلف الاذن لقربهما من الأعضاء التى هى أرأس منه، وأسلمه الأحمر ثم الأصفر الذى إلى السواد، فلا يفلت منه أحد"[(٣)] وقد اشار الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى ضرورة الاحتراز من هذا المرض،ففى

---

(١)علي بن رضوان: دفع مضار الأبدان بأرض مصر، ورقة رقم ١٠.

(٢) الطاعون: نوع من الوباء،وهو عند أهل الطب ورم ردئ قتال، يخرج معه تلهب شديد مؤلم جداً يتجاوز المقدار فى ذلك، ويصير ما حوله فى الأكثر أسوداً أو أخضر اً، أو أكمداً، ويؤول أمره إلى التقرح سريعاً، وفى الأكثر يحدث فى ثلاثة مواضع فى الابط، وخلف الأذن، والأرنبة، وفى اللحوم الرخوة انظر: ابن قيم الجوزية:شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي،المتوفي سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م، الطب النبوى،د.حامد احمد الطاهر، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٤م، ص ٢٨ وقيل هو داء وبائي يسببه ميكروب يصيب الفئران وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى، وإلى الإنسان والجمع طواعين أنظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، ص٣٩١

(٣) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد فى هدى خير العباد، جـ ٣،تحقيق محمد علي صبيح،ط١،القاهرة،١٣٥٣هـ/١٩٣٥م، ص٩٩.

حديث لأسامه بن زيد يحدث سعداً عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " اذا سمعتم بالطاعون بأرض، فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وانتم فيها فلا تخرجوا منها" (١).

وكان الطاعون قد نزل بأرض الشام فى عهد عمر بن الخطاب وهو فى طريقه لزيارتها، فاستشار اصحابه واتفقوا على أن لا يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة، وأنه يجب عليهم إتباع تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم (٢)، ولعل هذا يعتبر تطبيقاً عملياً لأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، والذى كان حريصاً على صالح أمته حتى لا يلحق بأى فرد منهم أى ضرر أو مسافة أذى، لذلك يضع وسائل الحيطة والحذر من هذا الوباء وهى كالآتى: الذين نزل الطاعون بأرض هم فيها، فينبغى عليهم أن لا يخرجوا منها ويصبروا ويتوكلوا على الله، وإن هم ماتوا بهذا الوباء فهم شهداء ولهم أجر الشهداء، ففى حديث عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال "الطاعون شهادة لكل مسلم" (٣)، وحديث آخر لأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: " المبطون شهيد والمطعون شهيد" (٤)، ولعل فى الأمر بعدم الخروج الكثير من الحكم منها: الشفقة على من فى البلد من المرضى حتى يجدوا إلى جانبهم من يرعاهم ويقوم على شؤونهم من اخوانهم الأصحاء، وأيضاً الحرص على أهالى البلاد المجاورة، حتى لا ينتقل الوباء إليها من خلال الفارين من البلاد.

أما عن أسباب الإصابة بمرض الطاعون، فقيل إنه بقية رجز أرسل على بنى إسرائيل كما فى الحديث (٥)، وورد فيه أنه وخز الجن، وجاء أنه دعوة نبى، وهذه العلل والأسباب ليس عند الأطباء ما يدفعها، كما ليس عندهم ما يدل عليها، والرسل تخبر بالأمور الغائبة، إلا أن الأطباء ذكروا جملة من الأسباب يكمن ورائها ظهور مرض الطاعون وهى:

---

(١)ابن حجر العسقلانى، فتح البارى بشرح صحيح البخارى، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م جـ١١ ص ٣٣٢.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، طبعة القاهرة، ١٩٥٣م، جـ ٣، ص ١٢٧.

(٣) ابن حجر العسقلانى: المصدر سابق، جـ ١١، ص ٣٣٣.

(٤) ابن حجر العسقلانى: المصدرسابق، جـ١١، ص ٣٣٣.

(٥) عن عائشة أنها سألت الرسول صلى الله علية وسلم عن الطاعون فأخبرها: أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء.. أنظر: ابن حجر العسقلانى: المصدر السابق، جـ ١١، ص ٣٤٨ .

أ – " فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام والعلة الفاعلة للطاعون، فإن فساد جوهر الهواء الموجب لحدوث الوباء وفساد يكون لاستحالة جوهره إلى الرداءه، لغلبة أحدى الكيفيات الرديئة عليه كالعفونة والنتن والسمية [١]، كما أن تغير كيفية الهواء الذى يتنفسه الناس بأن يكون أسخن أو أبرد، او أجف من المعتاد، أو يلوث نتيجة لتعفن جثث الموتى الذين لم يدفنوا، إضافة إلى أن قدوم أشخاص مرضى على بلد غير موبوء، يؤدى إلى ظهور الوباء به[٢].

ب- تغيير كيفية الماء، وهذه نتيجة طبيعية لتغيير كيفية الهواء وركوده، ويتمثل ذلك فى نقص مياه الأنهار أو الأمطار، أو زيادتهما زيادة مفرطة، وهذا يؤدى بلا شك إلى حدوث المجاعات والأوبئة.[٣]

جـ- كما أن فساد الماء الذى تسقى به الأرض، يؤدى إلى فساد النبات الذى يخرج من الأرض وتلوثه، والذى يتكون منه غذاء الإنسان، وهو ما يسبب الوباء للإنسان عند.

تناوله، بالإضافة إلى أن فساد الماء قد يترتب عليه نقص فى المحصول، وهو ما يؤدى إلى نقص الغذاء، وبالتالى ارتفاع سعره، مما يؤدى إلى ظهور المجاعات والأوبئة فى أى بلد يحدث فيها ذلك.

د- كما أن هناك سبب قوى يؤدى إلى ظهور مرض الطاعون، وهو العامل النفسى، فالخوف الشديد من حاكم ظالم، أو من أى شئ آخر، يؤدى إلى إضطراب فى النوم، وطول فترات السهر، وبالتالى تضطرب وظائف الجسم المختلفة، مما يجعله عرضه للإصابة بالأوبئة.

هـ- إضافة إلى أن خوف الناس من القحط والغلاء فى أى سنة من السنين يجعلهم فى حالة من التبرم والضيق، حيث يحاولون بذل المزيد من الجهد لادخار الأقوات الكافية لهذه السنة، وهو ما يؤثر على أبدانهم فيصابوا بأى وباء يفد عليهم[٤].

---

(١)ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، جـ٣، ص ١٠٠.

(٢) ابن القيم الجوزية: زاد المعاد، جـ٣، ص ١٠٠، ١٠١، والطب النبوى، ص ٣٠ .

(٣) الذهبي: الطب النبوى، ص ١٣١.

(٤) على بن رضوان: مخطوط سابق، ورقة ١١.

و- كما تلعب الحيوانات والحشرات المصابة مثل الفئران والبراغيث التى تعيش ملاصقة لجسم الفئران، دوراً كبيراً فى نقل عدوى الطاعون للإنسان (١) والطاعون من الأمراض الوبائية المستعصية العلاج، لذلك كان يعرف باسم الموت الأسود (٢)، وكانت التدابير الوقائية تتخذ للحيلولة دون انتشار هذا المرض ومنها:

تطهير المساكن وتلطيف هوائها بالتبخير بالكافور والصندل والمسك والعنبر، وليس للبخور وقت معين،بل يمكن أجراء التبخير في أي وقت من الأوقات فالتبخير يعمل على انتشار الروائح الزكية التي بسببها تنشط النفس وتندفع الروائح الحاصلة على اختلاط الأهوية الرديئة من الوباء، مثل ماء الورد وخله حيث يدهن به الإنسان نفسه وخلف أذنه، وتحت إبطه وصدره، أو يستخدم طيب الصندل، ويبخر بدنه بالعود أو العنبر أو المصتكى أو قشر الرمان، حيث يترك قشر الرمان على النار والأس ويرش عليه الخل، فإنه ينفع من الوباء.

الإقامة فى الظل وفى الأماكن الجافة البعيدة عن التيارات الهوائية الباردة، والتزام السكون، والإقلال من الحركة الشديدة.

إصلاح الماء بإضافة الملح إليه قبل الشرب، والابتعاد عن الاستحمام بالماء الحار، وإصلاح الغذاء، وذلك من خلال المآكل السالمة من الرطوبة كالنواشف والحوامض مثل الخل وماء الحصرم أو الرمان أو السماق، أو النارنج، ومن النواشف العناب باللوز، وإذا أكل اللحوم وأراد السلامة من ضررها فى زمن الوباء فلتكن مطبوخة بأحد الحوامض المذكورة، وأقبر (٣) اللحوم فى زمن الوباء لحوم ذوات الأربع كالغنم مثلاً، وأخفه الدجاج والحمام، ولا يؤكل الطعام وهو حار ولا يكثر من المرق عليه، بل عليه بالنواشف، وكثير زمن الجوع والعطش، ومن الامتلاء الزايد، ومن السهر المفرط، ولا يكثر من الأدوية المسهلة.

---

(١)محمد بركات البيلى: الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى مصر الاسلامية، ص ٢٢.

(٢) Georg Sarton: op. Cit. Vol، III، P. 274

(٣) أقبر اللحوم: أى أن اكلها يؤدى إلى دخول القبر أى الموت، قال الله تعالى " ثم أماته فأقبره " سورة عبس: آية ٢١ "

ومن طرق الوقاية أيضاً الابتعاد عن المرضى وعدم الاختلاط بهم،لأن استنشاق الهواء المحيط بالمرضى الذى يختلط بأنفاسهم يمكن أن يصيب المخالطين بالمرض، وذلك من خلال عدم الإكثار من المرور فى الشوارع وفى الأسواق إلا بقدر الحاجة.

وكذلك استعمال الفصد فى زمن الوباء والطاعون، لأنه يؤدى إلى اعتدال الطبع والطبيعة ويمنع التشويش على الفكر بما يغم النفس، ويدفع عنها اختلاط الأهوية الرديئة، ويعمل على إخراج الدم الفاسد في الجسد، والفصد من العرق المشترك أولى ومن خلال طرق الوقاية والعلاج المشار إليها حاول الأطباء فى مصر والشام، التقليل من الآثار الناجمة عن مرض الطاعون،حيث كانت مصر والشام أكثر البلاد إصابة بها خلال العصور الوسطى [(١)]ولا شك أن ذلك راجع فى المقام الأول إلى كثرة الحروب والثورات، وكثرة القتلى وتعفن الجثث، بالإضافة إلى تعرض البلاد للفيضانات والمجاعات والقحط، مما كان يضطر أصحابها إلى أكل جيف الحيوانات الميتة والأطعمة الفاسدة، ويؤدى إلى ظهور مرض الطاعون الذى يعنى الهلاك والموت لكل من يصاب به [(٢)]، وقد شهدت مصر خلال تاريخها العديد من الأوبئة والطواعين، وكانت بعض مدنها مهيئة لظهور الأوبئة بها، وذلك راجع إلى إزدحامها بالسكان[(٣)]، وكثرة دروبها وضيقها، وغلبة الأتربة والأزبال عليها، مما يجعل مساكنها سيئة التهوية، وجوها لا يبرح أن يكون كدراً بما تثيره الأرجل من التراب الأسود [(٤)]،فلا شك بأن هذا الجو السيئ والهواء الخانق،جعل من بعض مدن مصر بيئة مناسبة لظهور الأوبئة والطواعين. وقد حدث طاعون في مدينة أنطاكية بعد احتلال الصليبيين لها [(٥)]، ووصف وليم الصوري مدى فتكه بالأرواح في جيش الصليبيين

---

(١) Georg Sarton: op. Cit.Vol، III، P. 2741

(٢) وليم الصورى: الحروب الصليبية، جـ١، ص ٣٠٠، ٣٧٥، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، جـ٢، ص ١٨، ١٩، وقد ذكر وليم الصورى أن الصليبيين الذين كان موطنهم أجزاء اغتصبوها من أرض الشام قد اصيبوا بمرض الطاعون أكثر من مرة من خلال صراعهم مع المسلمين أنظر: نفس المرجع، والصفحات كما تفشى أيضاً بين الصليبيين بأرض مصر عندما استولوا على برج السلسلة سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م أنظر: Padenborn: the captureof Damita، philadehia، 1948، p. 55

(٣) محمد بركات البيلى: الأزمات الاقتصادية والأوبئة، ص ٢٤.

(٤) المقريزى: الخطط، جـ ١، ص ٣٦٦.

(٥) يذكر الصوري وريموند دي جيل أنه تم احتلالها بتاريخ ١٠٩٨م = ٤٩١هـ؛ أما مصادرنا الإسلامية فتذكر أن احتلالها حدث في شهر جمادى الأولى سنة ٤٩١هـ والذي يصادف إبريل-نيسان ١٠٩٨م ينظر: وليم الصوري، الحروب

بقوله:" وكان معدل الوفيات مخيفاً جداً، حيث نادراً ما مر يوم لم تحرق فيه ثلاثون أو أربعون جثة على الأقل ليتم دفنها، وفي الواقع إن الأعداد القليلة التي نجت من الحصار تحولت إلى عدم تقريباً،ولقد هاجم هذا المرض المعدي جميع الطبقات في كل مكان ودونما تمييز"[١].

وذكر ستيفن رنسمان أن هذا الوباء أصاب في بدايته النساء على وجه الخصوص، وأنه مات جراء هذا الوباء ما يقارب خمسين ألف امرأة [٢]، ويتضح من هذا الرقم المبالغة الكبيرة، إذ إن عدد القوات الصليبية في الحملة الصليبية الأولى بلغ حوالي ١٥٠ ألف شخص تقريباً بما فيهم النساء[٣].

وذكر الصوري أن الصليبيين حاولوا التوصل لأسباب هذا الوباء، وتمخضت أراؤهم عن أن أسبابه ربما تكون ناتجة من بعض الجراثيم المنتشرة في الهواء، أو الشراهة في الأكل بعد الجوع الشديد الذي أصاب الصليبيين قبل احتلال أنطاكية[٤].

وقد استمر الوباء منتشراً بين الصليبيين حتى شهر ذي الحجة٤٩١ هـ / ١٠٩٨م)، ومات بسببه أكثر من ٥٠٠ فارس صليبي، أما ضحاياه من العامة فكان عددهم "يفوق التقدير" [٥]، ففى سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩ اجتاح مصر الوباء [٦]، وأدى إلى تغير رائحة الهواء، وكثرة الوفيات،

= الصليبية، ج١،ص٣٣٢؛ريمون دي جيل، ص٢٠٩؛ابن الأثير،الكامل،ج٩،ص١٤-١٥؛ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٢،ص١٩٠ ؛محمود سعيد عمران،تاريخ الحروب الصليبية١٠٩٥=١١٩١م، دار المعرفة الجامعية،القاهرة،٢٠٠٠م،ص٣٠.

(١)ستيفن رنسيمان:الحروب الصليبية، ج١، ص٣٦٨-٣٦٩.

(٢) ستفن رنسيمان: المصدر سابق،ج١،ص٣٦٩.

(٣) اختلف المؤرخون في تحديد عدد المشاركين في الحملة الصليبية الأولى،ويرجح رنسيمان أنه بلغ تقريباً ١٥٠ ألف جندي ينظر: ستيف رنسيمان،الحروب الصليبية،ص٣٣٦-٣٤١؛ارسنت باركر،الحروب الصليبية،ترجمة د. الباز العريني،دار النهضة العربية،بيروت،١٣٨٦هـ، ص٢٧.

(٤) ستيفن رنسيمان: الحروب الصليبية، ج١، ص٣٦٩.

(٥) ستيفن رنسيمان: المصدر سابق،ج١،ص٣٧٩.

(٦) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١، ق ١، ص ٧٠.

حتى قيل إنه " مات بالقاهرة ومصر فى خمسة أيام يسيرة، سبعة عشر ألف انسان، وإذا كان الوباء والطاعون يصيب الإنسان، فإن الحيوان والطير هو الآخر لا يسلم منه، فقد ظهر الوباء فى الدجاج سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م (١)، الأمر الذى أثر على صحة الناس خلال تلك الفترة.

وفى سنة ٥٩٧ . ٥٩٨هـ / ١٢٠١ . ١٢٠٢م، انتشر بمصر الوباء والطاعون، وقد أشار المقريزي إلى النتائج التى ترتبت عليه من كثرة الفناء، لدرجة أن القرية التى كان فيها خمسمائة نفس لم يتأخر فيها سوى اثنين أو ثلاثة (٢)، وكان الرجل بأسفل مصر وأعلاها يموت وبيده المحراث، فيخرج آخر للحرث فيصيبه ما أصاب الأول،فلم تزرع الأرض لعدم وجود الفلاحين، فخرج الأجناد بغلمانهم . على الرغم من أنها ليست مهنتهم . لزراعة الأرض، وكان هذا يعد إسهاماً منهم فى التصدى لهذه الكارثة الكبيرة التى عمت البلاد وصحبها مجاعة وفناء (٣)،كما نزل الوباء والطاعون بالدجاج فهلك الدجاج بالكلية لولا ما جلب من الشام (٤)، وكثر الموت فى الماشية (٥)، وعَدِمَ البقر حتى بيع الرأس الواحد من البقر بسبعين ديناراً والهزيل بستين ديناراً، كما عدمت الحيوانات جملة، فبيع الفروج بدينارين ونصف، وجافت الطرق كلها بمصر والقاهرة وسائر دروب النواحى بجميع الأقاليم من كثرة الموتى، وكانت كارثة عظيمة حلت بمصر حتى قيل: "سنة سبع افترست اسباب الحياه"(٦).

وقد استمرت الأوبئة والطواعين تحل بمصر خلال العصر الأيوبي ولكن على فترات متباعدة، وهذه المرة كانت فى سنة ٦٣٢هـ / ١٢٤٣م، حيث اجتاح البلاد وباء عظيم وكثرت الوفيات، حتى قيل: " أنه مات فى شهر نيف وثلاثون ألف إنسان" (٧) كما تعرضت مصر لطاعون أيضاً

---

(١) المقريزى: السلوك المصدر سابق، جـ١، ق ١، ص٧٠ ٩١.

(٢)المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٣٠

(٣) المقريزي: المصدر سابق، ص ٣١، البغدادى: الإفادة والإعتبار، ص ١٦٢ . ١٧٨، أشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عبلة، طبعة دمشق، ١٩٨٥م ص ٣٠٣، ٣٠٤.

(٤) اليافعى: مرآة الجنان، جـ٣، ص ٤٨٨

(٥) ابن الفرات: مصدر سابق، مجلد ٤، جـ٢، ص ٢٠٧، البغدادى: المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٦) المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٣٠- ٣١.

(٧) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ٢٨٧.

فى السنة التالية ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م استمر لمدة ثلاثة أشهر، نتج عنه فناء وخراب لا حدود له(١).

وعلى الرغم من المبالغة التى تظهر فى أقوال المؤرخين حول حجم الإصابة بالطاعون وإحصائيات الوفيات الناجمة عنه، إلا أن ذلك يشير إلى مدى ضخامة الخسائر البشرية والاقتصادية والتى كان الطاعون سبباً فيها.

أما بلاد الشام فقد تعرضت هى الأخرى خلال العصر الأيوبي لاجتياحات متعددة من الأوبئة والطواعين، ففى سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م تعرضت بلاد الشام مدنها وقراها "لوباء شديد،وعم البلاد مرض آخر وهو السرسام، فما ارتفع إلا فى سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م، فمات بسبب ذلك خلق كثير وأمم لا يعلم عددهم إلا الله" (٢)،" حتى كان الناس لا يلحقون يدفنون الموتى، إلا أن بعض البلاد كان أشد من بعض"(٣).

كما كان لحمص إحدى مدن الشام نصيب من الإصابة بالطاعون،فقد ظهر بها سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٢م، وأصاب كثيراً من أهلها، وكان سبباً فى هلاكهم(٤).

وأيضاً تأثرت بلاد الشام بالأوبئة والطواعين التى شهدتها مصر سنتي ٥٩٧ . ٥٩٨هـ / ١٢٠٠ . ١٢٠١م، وذلك عن طريق الفارين من الوباء بمصر، فمنهم من مات وهو فى طريقه إلى الشام وغيرها من البلاد (٥)، ومنهم من وصل مأمنه، وكان يحمل الوباء داخله، فنقله إلى المكان الذى حل به، مثل عكا التى استقبلت الكثير من الفارين من الوباء بمصر، فكثرت فيها الوفيات، وعمها الوباء،ومما يذكر فى هذا الشأن أن مرض الطاعون يظهر بوضوح أكثر أثناء الحروب، فلاشك أن عدد ضخامة الجثث المتخلفة عن الحروب خلال العصر الأيوبي كانت مسؤولة بدرجة كبيرة عن انتشار هذا المرض، فخلال سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩هـ، وحدها استولى

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ص ١٣، المقريزي: السلوك، جـ١، ق١، ص ٢٥٠.

(٢)ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٣٢١، ابن الاثير: المصدر السابق، جـ٩، ص ١٤٥، والسرسام: هو مرض ووجع الدبر انظر ابن كثير: المصدر سابق، جـ١٢، ص ٣٢١، حاشية ٢.

(٣) ابن الاثير: المصدر سابق، جـ٩، ص ١٤٥.

(٤) ابن ايبك: الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية،تحقيق:صلاح الدين المنجد،١٣٨٠هـ/١٦١م، جـ٦، ص ١٢١ .

(٥) ابن تغرى: المصدر السابق، جـ٦، ص ١٧٣، ١٧٤، البغدادى: المصدر السابق، ص ١٧٠، ١٧٨، ابن الفرات: المصدر السابق، مجلد ٤، جـ ٢، ص ٢٠٨.

الفرنج على دمياط وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً [١]،لكن المسلمين استطاعوا أن يقطعوا الطريق الواصل بينهم وبين قاعدتهم بدمياط. مما دفعهم إلى التراجع والرحيل إلى دمياط، ولكن المسلمين اعترضوهم وهم فى غاية الأعياء: وبذلوافيهم السيف ولم يسلم منهم إلا قليل، وبلغت عدة الموتى من الفرنج ثلاثين ألفاً [٢] ولنا أن نتخيل هذا العدد الضخم من الموتى من الفرنج وحدهم ثلاثين ألفاً، وكيف تستوعب مدينة صغيرة كدمياط وضواحيها هذا العدد الكبير، لاشك أن هذا يؤدى إلى تحلل هذه الأعداد الكبيرة من الجثث التى يصعب دفنها، مما يؤدى إلى تلوث الهواء بالأبخرة المتصاعدة منها، وإنتشار مرض الطاعون.

وأما بلاد الشام فقد تعرضت هى الأخرى خلال العصر المملوكي لاجتياحات متعددة من الأوبئة والطواعين، وفي سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨خصوصاً منطقة حلب ودمشق اللتين عانتا من وباء عظيم ويقال إنه من كثرة الموتى لم يجد الناس مغسلاً في الجامع لاستيعاب غسل واحد وثلاثين ميتاً، وكان ذلك وقت الظهر، واغتنم العطارون الفرصة بسبب كثرة الطلب على موارد العطارة وقل الاطباء الموجودين آن ذاك[٣]، وذكر المقريزي في السنة نفسها أنه كان يموت في حلب في كل يوم ألف ومائتا إنسان، ومات الكثير في دمشق، وقد صور لنا المؤرخون شدة فتك هذا الوباء في عدة مناطق في الشام، خصوصاً في حلب ودمشق، ففي حلب ذكر المؤرخون أن عدد من كان يموت من هذا الوباء يومياً قد بلغ ألفاً ومائتي إنسان، وأما دمشق

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٣، ص ٢٠١.

(٢)العينى: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفى، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧-١٩٨٨م، جـ١، ص ١٧، ١٨، ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٣، ص ٢٠١، ويذكر ابن اياس: أن عدة من قتل من أمراء السلطان توران شاه بلغ سبعة وستين أميراً غير المماليك، وقتل من العوام مالا يحصى عددهم، وقتل من الافرنج على فاراسكور وحدها ما يزيد على اثنى عشر ألف إنسان، وأسر من ملوكهم سبعة، ولما حصلت هذه النصرة لتوران شاه تحول من المنصورة إلى فاراسكور، فنصب له هناك برجاً من الخشب على شاطئ البحر، ثم أحضر الأسرى من الفرنج، وضرب أعناقهم بين يديه بالسيف ثم قذفهم فى البحر . ولا شك أن إلقاء هذه الجثث فى البحر يؤدى إلى تلوث المياه مما يكون سبباً للإصابة بالأوبئة والطواعين أنظر: ابن اياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور، مكتبة مدبولى، طبعة ٢٠٠٥ م، جـ ١، ص ١٠٦، ١٠٨.

(٣) العيني: مصدر سابق، ج١، ص ١٨٣.

فقد كان فيها "من المرض ما لا يحد ولا يوصف" [١]ومات"خلق لا يحصى" [٢] حتى أنه " لم يوجد مغسل للموتى"، لكثرة الموتى[٣]،وفي الجانب الأخر من أقاليم الدولة، في مصر وأريافها سنة ٦٧٢هـ ١٢٧٣م انتشر مرض وبائي كان أكثر ضحاياه من النساء والأطفال،ويبدو أنه لم يكن ذا تأثير خطير[٤]، وفي سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م تفشى الموت بالأبقار في مصر، ويضرب المقريزي مثالاً على شدة هذا الموت بقوله:أن شخصاً واحداً نفقت جميع أبقاره البالغة ٣٤٠ رأساً[٥].

وفي سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م، كثر موت الجمال في جيش السلطان الأشرف خليل بن قلاوون [٦] بعد فتحه قلعة الروم [٧]، مما جعل الأمراء يحملون أثقالهم على الخيل، وأذن السلطان لضعفاء العسكر بالعودة إلى القاهرة[٨]، ومن شدته ٦٩٤-٦٩٥هـ/ ١٢٩٤-١٢٩٥م بلغ من يموت فيها كل يوم ألوفاً، فيذكر المقريزي أنه:"يبقي الميت مطروحاً في الأزقة والشوارع ملقى في الممرات والقوارع [٩] اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه، لاشتغال الأصحاب بأمواتهم والسقماء بأمراضهم [١٠]، في أواخر عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م تفشى الموت في الأبقار، وأدى إلى نفوق أعداد كبيرة جداً

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٨، ص٤٢.

(٢) اليونيني:ذيل مرآة الزمان،ج ١، ص ٣٣.

(٣) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٣٠٥؛ العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ١٨٣.

(٤)قاسم عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، ١٩٧٩، ص١٥٩.

(٥) المقريزي:السلوك،ج٢،ص١٩٦.

(٦) هو الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون،تولى حكم دولة المماليك سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م ومن أهم انجازاته طرد بقايا الصليبيين من عكا وبقية بلاد الشام عام٦٩٠هـ/ ١٢٩١وقتل عام ٦٩٣هـ/١٢٩٣م.ينظر :المقريزي،السلوك،ج٢،ص٢١٨-٢٤٦.

(٧) قلعَةُ الرُوم: قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة بينها وبين سميساط،وقد سميت بعد فتحها قلعة المسلمين، ياقوت الحموي،معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٣١؛ المقريزي، السلوك،ج٢،ص٢٣٤.

(٨) النويري:نهاية،ج٣١،ص١٥٠؛المقريزي، السلوك،ج٢،ص٢٣٤؛ ابن الفرات،تاريخ،ج٨،ص١٤٣.

(٩) القوارع: جمع قارعة وقارعة الطريق أي وسطه. المعجم الوسيط.، ص٧٢٨.

(١٠) المقريزي: السلوك،ج٢،ص٢٦١.

منها، وخاصة في دمياط والصعيد[١]، وقد استمر هذا الوباء فيها إلى بداية سنة (٧٠٠هـ / ١٣٠٠م)[٢] وفي سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) وقع موت في الخيول ببلاد الشام ومصر [٣] مما أدى إلى موت نحو الثمانين ألف فرس في حلب ودمشق [٤]، مما أدى إلى فناء ثلث أهلى مصر وتخلخل البناء السكاني في الريف على وجه الخصوص وفي سنة ٧٤٨-٧٤٩هـ ١٣٤٧-١٣٤٨م انتشر في بلاد ماردين وبلاد الغور وسواحل عكا وبلاد مصر وباء الطاعون الذي عم جميع الممالك في أيام السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد الذي أزهق الأرواح حتى بلغ عدد الموتى في شهرين تسعمائة ألف، وقلت المزروعات لموت الفلاحين، فانتشر القحط والجوع في البلاد من جديد، وفتك الطاعون بالحيوانات، وساد الحزن جميع أرجاء البلاد،حتى إنه لم يوجد منزل الا وفيه صياح على ميت،وخلت كثير من الديار، وصارت أمتعة أهلها ملقاة لا تجد من يأخذها، ولكثرة الموتى لم تكفهم النعوش،بل كانوا يحملون على أقفاص أو ألواح من الخشب، ويحمل الواحد عدة أشخاص،وصارت مهنة القراءة على الموتى وحملهم ودفنهم من المهن الرابحة، وامتلات المقابر بالناس، فكان الموتى يلقون في الطرقات على التراب، وكان الأمام يصلى على اعداد كبير من الموتى دفعة واحده[٥]، وقد أصيبت بذلك مدينة الاسكندرية،وكانت أولى المدن التى وصلها الوباء ويمكن القول إنه قد وصل إليها عن طريق التجار خاصة إذا ما علمنا أنها من ميناء تجاري هام تأتي إليها السفن من أنحاء مختلفة، ومن المحتمل يكون بحارة هذه السفن قد أصيبوا بالمرض فانتقل المرض منهم حين وصولهم إلى الميناء،وذكر ابن إياس العرب يعزون سبب حدوث الطاعون إلى الشرقي [٦] التي وقعت بمصر بسبب نقص النيل[٣]، وقد

---

(١) الصعيد: بلاد واسعة كبيرة فيها عدة مدن عظام منها أسوان وهي أوله من ناحية الجنوب، ثم قوص وقفط وإخميم والبهنسا وغير ذلك، وهي تنقسم ثلاثة أقسام، الصعيد الأعلى وحده أسوان وآخره قرب إخميم، والثاني من إخميم إلى البهنسا، والأدنى من البهنسا إلى قرب الفسطاط، ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٣،ص ٤٦٣.

(٢) بيبرس المنصوري:مختار الأخبار،ص١١٥؛ العيني،عقد الجمان،ج٤ص١٣٧-١٣٨؛المقريزي،السلوك،ج٢، ص٣٣٩.

(٣) أبو الفداء:المختصر،ج٢،ص٣٩١؛المقريزي،السلوك،ج٢،ص٣٧٠؛ العيني، عقد الجمان،ج ٤، ص٣٠٨.

(٤) المقريزي:السلوك،ج٢،ص٣٧٠؛ العيني، عقد الجمان،ج ٤، ص٣٠٨.

(٥) علي إبراهيم حسن:تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، ط٣- ١٩٦٧، ص٤٢٩.

(٦) الشرقي:عبارة عما لم يصل إليه الماء،إما لقصور النيل أوعلو الأرض وإما لسد طريق المياه، ابن مماتي، قوانين الدواوين،ص٢٣.

(٧) إبن إياس:بدائع الزهور،ج١،ص٥٢٣.

يحدث الطاعون بسبب كثرة المستنقعات[١] التي قد يخلفها النيل بعد فيضانه، حيث يؤدي وجود مثل هذه المستنقعات إلى تكاثر الحشرات من الذباب وغيرها، وبالتالي يؤدي إلى حدوث الأمراض، وكثيراً ما تعرضت الاسكندرية الى وقوع الطاعون فيها، فبالإضافة إلى موقعها كميناء يمكن ان تصل الامراض اليها عن طريقة،ويعتبر القلصادي الاسكندرية،كثيرة الامراض، خلت من العمارة، وتميز أهلها بصفرة في وجوههم، وأما في الشام فقد كان سبب حدوث الطاعون فيها وخاصة دمشق وهو كثرة تراكم الأوساخ الموجودة في مقاسم المياه، والتي تتخلل الدور، مما يؤدي إلى حدوث العفونات فيها وبالتالي يصيبها الوباء، وعندما تنكيز ولاية الشام، أمر بتنظيف الأوساخ، ولما فعل ذلك قلت الامراض التي تصيب أهلها [٢]وفي سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م فشت الأمراض في مصر خاصة في مدينتي الإسكندرية والقاهرة،ومكثت هذه الأمراض مدة شهرين، وقد بلغ عدد الموتى ما بين خمسين وستين شخصاً يومياً [٣]وفي سنة٧٦١هـ=١٣٥٩م تفشى الوباء في مصر، واستمر إلى سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م، ويذكر المؤرخون أن انتشار هذا الوباء كان بسبب كثرة المستنقعات الناشئة عن فيضان النيل في تلك السنة، وقُدر عدد ضحايا هذا الوباء يومياً بحوالي ألفي نسمة[٤]،ووقع الوباء بمدينة حلب وأعمالها في ٧٦٤هـ/١٣٦٣م، ومات نتيجته خلق كثير، وكان أكثر الوفيات من الشبان والأطفال، ومازلت الطواعين تنتشر بين الناس بالقاهرة ومصر حتى زاد أمره وبلغ عدد من يموت فيه باليوم الواحد ثلاثة آلاف،ووصل الوباء في السنة نفسها الى غزة [٥]،وحلب وعامة بلاد

---

(١) إبن كثير: البداية والنهاية،ج١٤،ص٢٧٦،والسخاوي، الذيل التام،ص١٧٨.

(٢)ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،ج٢،ضبطه وصححه:عبد الوارث محمد علي،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٥٩.

(٣) المقريزي،السلوك،ج٤،ص١٨٦

(٤) ابن كثير،البداية، ج ١٤، ص ٣١٦؛ ابن قاضي شهبة ج٣ص١٧٩؛ابن تغري بردي،النجوم،ج١٠ ص٢٤٣؛ السخاوي،الذيل،ج١،ص١٧٨؛السيوطي،حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة،ج١،طبعة دار الوطن،١٢٩٩هـ،ص٣١٦؛ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن خليل ابن شاهين الظاهري الحنفي ٨٤٤-٩٢٠هـ، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق الأستاذ الدكتور:عمر عبد السلام تدمري،ج١، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ص٣٢٠-٣٢٣.

(٥) غزة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان. ياقوت الحموي.معجم البلدان،مج٣، ج٦،ص٣٨٨.

الشام، فهلك فيها خلائق كثيرة جداً، وفي سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م تفشى الموت في الأبقار في مصر، وقد نفق عدد كبير منها [١]،وفي سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م حدث وباء شديد الوطأة في عهد السلطان الأشرف شعبان واستمر يحصد الأرواح على مدي أربعه أشهر،وبلغ عدد ضحاياه في القاهرة والفسطاط حوالي مائة نفس يومياً ممن سجلهم ديوان المواريث، واستمرأت الطواعين في سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م ببلاد الشام لمدة ستة أشهر [٢]،وفشا الموت بالطاعون في سنة ٧٨٢/٧٨٢هـ ١٣٨٠/١٣٨١م، وبدأ الوباء في مدينة الاسكندرية، ثم أخذ ينتشر تدريجيا حتى عم بلاد الوجه البحري والعاصمة، ويذكر القاسم عبده قاسم أن عدد ضحايا هذا الوباء في مدينة القاهرة قد بلغ حوالي ثلاثمائة نسمة في اليوم الواحد،عدا الضحايا المجهولين الذين كان يعثر على جثثهم ملقاة في كل مكان [٣]، وفي سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م تفشى طاعون بدمشق،ودام من شهر محرم إلى شهر ربيع الأخر'قال ابن حجر:" فيها في المحرم وقع الطاعون بدمشق،وتزايد في صفر حتى قارب الثلاثمائة، ثم تناقص، ويقال جاوز الأربعمائة ثم تناقص في ربيع الآخر إلى ثمانين "[٤]وفي سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م وقع بحلب وباء، بلغ عدد من مات بسببه كل يوم ألف إنسان وزيادة [٥]،كما حدث طاعون في بلاد الشام في سنة ٧٩٠ هـ/١٣٨٨م، وكان أشده في دمشق والقدس وغزة والأماكن الساحلية، وكانت دمشق اكثر المناطق تأثراً بذلك حيث أدى المرض إلى موت خمسة ألاف شخص [٦]، كما حدث أيضاً في عهد السلطان برقوق سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م، فارتفعت أثمان الحاجيات[٧]، وفي سنة ٧٩٠هـ/١٣٩٢م تفشى الموت العظيم في الأبقار، حيث نفق عدد كبير منها، وأدى ذلك إلى ترك الناس أكل

---

(١) المقريزي:السلوك، ج٤،ص٢٧٢ ؛ابن تغري بردي،النجوم،ج١١، ص ٢٢؛ السخاوي،الذيل،ج١،ص٢٠٤.

(٢) المقريزي:السلوك، ج٤، ص٣١٩-٣٥١.

(٣)قاسم عبده: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي،ص١٦١.

(٤) انباء الغمر، ج٢،ص٨٤؛وينظر:ابن قاضي شهبة،التاريخ،ج٣،ص٨١-٨٢؛ ابن شاهين،نيل،ج٢،ص١٨٩.

(٥) ابن حجر: انباء، ج٢،ص١٨٨؛ المقريزي،السلوك،ج٥،ص١٧٩؛ ابن قاضي شهبة،التاريخ،ج٣،ص١٥٨؛السخاوي،الذيل،ج١،ص٣٣٧؛ ابن شاهين،نيل،ج٢،ص٢٣٢.

(٦) ابن قاضي شهبة:التاريخ،ج٣،ص٢٤٣-٢٤٤.

(٧) محمد عبد الغني الأشقر:الملحمة المصرية،مكتبة مدبولى القاهرة ٢٠٠٢م،ص٤٣-٤٤.

لحمها استقذاراً لها [١]وفي سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م تفشى طاعون شديد في بلاد الشام، وكان أشده في مدينة غزة والرملة وحوران ودمشق وبعلبك وحماة، وكان أشده ما حدث بحلب التي بلغ عدد موتها ٥٠٠ نفس كل يوم، وقد استمر هذا الطاعون إلى نهاية هذه السنة [٢] وقُدر العدد الإجمالي لضحايا هذا الطاعون بحوالي ٣٦٠ ألف نسمة، معظمهم من الأطفال[٣].ويذكر لنا القاضي ابن شهبة في السنة نفسها،حيث وقع بالقاهرة ومصر وضواحيهما طاعون " ومات جماعة فجأة ؛ ثم صار غالب المرضى يحصل له نقاطه ولا تطلع له كبة ويموت عن قرب "[٤] واجتاح الطاعون الناس والأنعام مما أدى لغلاء الأسعار وانتشار الأمراض سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م[٥]، وفشا بالناس الطاعون فى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، وقع طاعون شامل في بلاد الصعيد، ويبدو أن أثره كان من العنف بحيث شمل الخراب غالب بلاد الصعيد، وخلت عدة بلاد، وأحصى من مات من أسيوط [٦]فكانوا عشرة آلاف، سوى من لم يفطن له، وتزايد المرض حتى فشا في الناس وكثر الموت الوحي" وبلغ عدد من يرد اسمه في الديوان إلى مائتين وخمسين في كل يوم"[٧].

---

(١) المقريزي:السلوك،ج٥،ص٣٢٥؛ابن حجر،إنباء الغمر،ج٣،ص١١٨؛ابن الصيرفي،نزهة،ج١،ص٣٤٧؛السخاوي،الذيل،ج١،ص٣٦٦.

(٢) ابن قاضي شهبة:التاريخ،ج٣،ص٤٦٨؛ابن حجر، انباء،ج٣،ص١٦٥-١٦٦؛ السخاوي،الذيل،ج١،ص٣٧١

(٣) ابن صصري:الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية،ص١٣٧.

(٤)تاريخ ابن قاضي شهبه،ص٢٣٩.

(٥) السخاوي:الذيل التام،ص٣٤١.

(٦) أسيوط: مدينة في غربي النيل من نواحي صعيد مصر وهي مدينة جليلة كبيرة ياقوت الحموي. معجم البلدان،مج ١،ج١،ص١٥٨

(٧) المقريزي: السلوك،ج٦،ص١٨١.

ووصل هذا الطاعون في سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م إلى حمص [١]ومات فيها وفي حماة [٢]وطرابلس[٣]اعداد كبيرة، وسار الطاعون حتى وصل في سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م إلى بلاد فلسطين وحوران ونابلس [٤]، فمات خلق كثير جداً، وأخليت القرى وبقيت الزروع قائمة لا تجد من يحصدها، وفي سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م تزايد أمر الوباء بمصر وظهر في سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م الطاعون بين الناس في القاهرة فمات منه جماعة،وأيضاً ظهر الوباء نفسه في سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م بدمشق ووصل إلى القدس وصفد [٥]، وهذا كله تسبب في كثيرة الموت بالإسكندرية ودمياط [٦] وما حولها،حتى أنه بلغ عدد من يموت بالقاهرة نحو الأربعين في اليوم الواحد من الأطفال والجواري والمماليك والعبيد، وفي سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م تفشى الطاعون في مصر، وابتدأ ظهوره في مدن الوجه البحري، ثم تفشى بعدها في مدينة القاهرة وبلغ عدد الموتى يومياً ما بين ٢٠إلى ٣٠ شخص[٧].

---

(١) حمص بلد مشهور قديم كبير مسور وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبيرة، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق.ياقوت الحموي،معجم البلدان،مج٢، ج٣،ص١٨٢.

(٢) حماة: مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق يحيط بها سور محكم. ياقوت الحموي،معجم البلدان،مج٢،ج٣،ص١٨٠

(٣) طرابلس: مدينة بالشام عظيمة عليها سور صخر منيع، وهي على شاطي البحر، ومبنى جامعها أحسن مبنى وبها أسواق حفلة، ولها رساتيق وأكوار وضياع جليلة، وتضاف إليها عدة قلاع وحصون داخلة في أعمالها، وحوالي مدينتها أشجار الزيتون.ياقوت الحموي.معجم البلدان،مج٣، ج٦،ص٢٥٤.

(٤) نابلس: هي مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها وهي كثيرة المياه.ياقوت الحموي،معجم البلدان،مج٤، ج٨،ص٣٥٩.

(٥) المقريزي:السواك، ج٦،ص٢٧٩-٣٤٨-٣٧٦-٤١٦-٤١٨.وصفد مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهي من جبال لبنان ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ج٥، ص١٩٣.

(٦) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل،مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق وهي ثغر من ثغور الإسلام ياقوت الحموي.معجم البلدان،مج٢، ج٤،ص٣١٤.

(٧)المقريزي:السلوك، ج٦،ص٤٩١؛ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٧، ص ٣٤٧ ؛ابن الصيرفي،نزهة النفوس، ج٢،ص٤٤٢؛السخاوي،الذيل التام، ج١،ص٥١٢؛ابن شاهين،نيل الأمل، ج٤،ص٣٣.

وازدادت حدة الوباء و الموت خاصة عند الأطفال [1]، وأُحصي من مات يومياً في القاهرة بحوالي خمسين شخصاً، وبلغ عدد من مات في مدينة بلبيس ألف نفس، واشتد أمر الوباء، ووصل عدد الموتى في مدينة القاهرة إلى حوالي ثلاثمائة شخص يومياً، مما أحدث ذعراً شديداً بين الناس [2]، وأُحصي من مات في مدينة القاهرة توصل العدد إلى سبعة آلاف وستمائة واثنين وخمسين نسمة، هذا عدا الذين لم يشملهم الإحصاء، وقدّر المقريزي العدد الإجمالي للموتى- بمن فيهم من لم يشملهم الإحصاء- بحوالي عشرة ألاف نسمة [3]، وقد سجل لنا المقريزي بشكل تفصيلي نِسب الضحايا من الرجال والنساء والأطفال والعبيد والإماء واليهود والنصارى، فقال المقريزي: "وكان عدة من مات بالقاهرة وورد اسمه إلى الديوان من العشرين من صفر إلى سلخ شهر ربيع الآخر سبعة آلاف وستمائة واثنين وخمسين: الرجال ألف وخمسة وستون رجلاً، والنساء ستمائة وتسعة وستون امرأة، والصغار ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعة وستون صغيراً، والعبيد خمسمائة وأربعة وأربعون، والإماء ألف وثلاثمائة وتسع وستون، والنصارى تسعة وستون، واليهود اثنان وثلاثون، وذلك سوى المارستان، وسوى ديوان مصر، وسوى من لا يرد اسمه إلى الديوانين، ولا يقصر ذلك عن تتمة العشرة آلاف، ومات بقرى الشرقية والغربية مثل ذلك وأزيد"[4]وفي سنة٨٢٣هـ/١٤٢٠م انتشر الوباء في مدينة الإسكندرية والمناطق المجاورة لها، ولم تذكر المصادر مدى فتك هذا الوباء بالأرواح [5]، وفي سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م ازدادت حدة الوباء في مدينة حلب، حتى قيل إن جملة من مات فيها حوالي سبعين ألفاً، "وخلت البلد من أكثر أهلها"[6].

---

(١) المقريزي،السلوك،ج٦،ص٤٩٣؛ ابن حجر، إنباء، ج ٧، ص ٣٤٧ ؛ابن الصيرفي،نزهة،ج٢،ص٤٤٢ابن شاهين،نيل،ج٤،ص٣٤.

(٢) المقريزي:السلوك،ج٦،ص٤٩٥ ؛ ابن حجر، إنباء، ج ٧،ص٣٥٦؛ ابن الصيرفي،نزهة،ج٢،ص٤٥٥؛ابن شاهين،نيل،ج٤،ص٣٦.

(٣) السلوك: ج٦،ص٤٩٩ ؛وينظر: ابن حجر، إنباء، ج ٧،ص٣٥٨.

(٤) المقريزي:السلوك،ج٦،ص٤٩٩.

(٥)المقريزي:السلوك،ج٧،ص١٠؛ ابن الصيرفي،نزهة النفوس،ج٢،ص٤٧٤؛السخاوي،الذيل التام،ج١،ص٥١٦.

(٦) ابن حجر:إنباء الغمر،ج٧،ص٤٦٩؛ السخاوي،الذيل التام،ج١،ص٥٢٧؛ابن شاهين،نيل الأمل،ج٤،ص١٢٢.

وفي سنة ٨٢٦هـ/١٤٣٣م، تفشى الوباء في دمشق وغزة ومصر [١]، ومات بسببه أناس كثيرون، وأخليت الدور والقرى، و ذكر المقريزي أن "عدة من مات بصالحية دمشق زيادة على خمسة عشر ألف إنسان، وأُحصي من ورد ديوان دمشق من الموتى فكانوا نحو الثمانين ألفاً، وكان يموت من غزة في كل يوم مائة إنسان وأزيد، وكان معظم من مات الصغار والخدم والنساء، فخلت الدور منهم إلا قليلاً "[٢]، وقال العيني: "ولقد أخبرني شخص من أهل الشام أنه مات فيها-دمشق- ستة ألاف بنت عذراء"[٣]، وفي الوقت الذي تناقص فيه الوباء في دمشق وغزة، تفشى بالقدس والخليل والرملة [٤]، ويذكر العيني أن عدد من كان يموت في القدس يومياً ثلاثون شخصاً، وبلغ عدد من يموت يومياً في الرملة إلى مائة شخص، ولم يقدم لنا تفاصيل أكثر عن مدى تأثير هذا الوباء في مدينة الخليل، ويذكر العيني أن الوباء ارتفع بالكلية عن بلاد الشام في مستهل شهر رمضان [٥]، وتركز انتشاره في مصر في مدينة دمياط، ولم تذكر المصادر ما أحدثه هذا الطاعون فيها من فتك بالأرواح [٦]، وتكرر حدوث الوباء في دمياط في سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م، فمات بسببه أعداد كثيرة من الناسوفي سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٥م عاد الوباء وانتشر في مدينة دمياط وفارسكور[٧]، وفي سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م فشا الموت في الجواميس و الأبقار في مصر، ونفق الكثير منها، وفي سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م انتشر الوباء في صفد ولم تحدد المصادر مدى فتكه بالأرواح[٨].

وفي سنة١٨٣١هـ/ ١٤٢٨ماتت الخيول بدمشق وحماة. ويذكر المقريزي "كثر الوباء بغزة والرملة، من أرض فلسطين" [٩] وكذلك وقع في "القدس وصفد ودمشق وحمص وحماة وحلب "وفشت

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٧،ص٧٦؛ السخاوي،الذيل التام، ج١،ص٥٣٣؛ ابن شاهين،نيل الأمل، ج٤،ص١٣٠.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٧،ص ٨٠.

(٣) عقد الجمان حوادث سنة ٨٢٤-٨٥٠هـ،ص٢٠١.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٧،ص ٨٠؛ العيني،عقد الجمان حوادث سنة ٨٢٤-٨٥٠هـ،ص٢٠١؛ ابن شاهين،نيل، ج٤،ص١٣٠-١٣٤؛ابن العماد الحنبلي،شذرات الذهب، ج٤،ص١٧٢.

(٥) عقد الجمان حوادث سنة ٨٢٤-٨٥٠هـ،ص٢٠١.

(٦) المقريزي:السلوك، ج٧،ص٨٠؛ السخاوي،الذيل، ج١،ص٥٣١؛ابن شاهين،نيل، ج٤،ص١٣٥.

(٧) المقريزي:السلوك، ج٧،ص١٠٠؛ ابن شاهين،نيل، ج٤،ص ١٥٨.

(٨)المقريزي: السلوك، ج٧،ص١٢٨، ١٤٨؛ابن شاهين،نيل الأمل، ج٤،ص١٨٩، ٢١٠.

(٩) المقريزي: السلوك، ج٧،ص١٩٢؛ابن الصيرفي،نزهة، ج٣،ص١٥٩؛ابن شاهين،نيل، ج٤،ص٢٥٦.

الأمراض في صعيد مصر، لا سيما في مدينة هو[١]وبوتيج ومنشية أخميم [٢]استمرت هذه الأمراض منتشرة، ومات فيها أعداد كبيرة من الناسوفي سنة ٨٣٣هـ/ ١٣٢٩م انتشر الوباء ليشمل أغلب مناطق الوجه البحري فضلا عن القاهرة، وقضي على الطوائف بأكملها من الأجانب المقيمين بمصر آنذاك، والمثير للانتباه أن هذا الوباء قد انتشر في شتاء تلك السنة، على الرغم من أن الربيع والصيف كانا دائما يشهدان انتشار الأوبئة، وقد قضي هذا الوباء المروع على أسماك الأنهار والبحيرات والتماسيح وعلى الذئاب والظباء في الصحراء المصرية، ووصل عدد ضحايا هذا الوباء أكثر من مائة ألف إنسان على أقل تقديرا، ويذكر حمد [٣]أن الوباء حدث في بلاد الشام سنة٨٣٨هـ/١٤٣٤م، ونقل معلوماته عن ابن حجر، ولكن هذا الأمر غير دقيق، فالوباء الذي تحدث عنه ابن حجر كان في بلاد الحبشة وليس بالشام [٤]وفي سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م تفشى طاعون عظيم في بلاد الشام ومصر [٥] وغيرها من البلاد [٦] وقد " عم الوباء بالطاعون بلاد حلب، وحماة، وطرابلس، وحمص، ودمشق، وصفد، والغور، والرملة وغزة وما بين ذلك"[٧]ثم اتصل بالبلاد المصرية" [٨]لاحظ أن الوباء بدأ انتشاره في مدينة حلب

---

(١) هُو: بالضم ثم السكون على حرفين هو الحمراء بليدة على تل بالصعيد بالجانب الغربي دون قوص يضاف إليها كورةياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٥،ص٤٨٢.

(٢) إخميم: بلد بالصعيد وهو بلد قديم على شاطئ النيل ياقوت الحموي،ج١،ص١٥٠.

(٣) حمد، فيصل عبد الله: أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م- ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، مجلة حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الرسالة ٢٧٢، حولية ٢٨، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م،ص٧٤.

(٤) إنباء،ج،ص٣٤٤؛وينظر:المقريزي،السلوك،ج٧،ص٢٨٥؛ ابن العماد الحنبلي:،شذرات الذهب في أخبارمن ذهب،ج٤،،ص١٧٢.

(٥) ابن تغري بردي،النجوم،ج ١٤، ص ٢٧٣.

(٦) حدث هذا الطاعون أيضاً في أوربا ومات فيه الآلاف من الناس سنة ١٤٣٨م؛بير نجيه وأخرو بير نجيه وآخرون، جان بيرنجيه، فيليب كونتامين، ايف دوران، فرنسيس راب، موسوعة تاريخ أوربا العام، ترجمة: وجيه البعيني، مراجعة:انطوان أ الهاشم، ج٢،ط١، منشورات عويدات،بيروت،باريس، ١٩٩٥م،ص٣٦؛ بروي، إدوارد، بالتعاون مع جان أوبوايه،كلود كاهين، جورج دوبي، ميشال مولات، موسوعة تاريخ الحضارات العام- القرون الوسطى-، نقله إلى العربية: يوسف أسعد داغر، و فريد م داغر،ج٣، عويدات للنشر والطباعة، بيروت،لبنان،٢٠٠٣م،،ص٥٠٦.

(٧) المقريزي: السلوك،ج٣٤٩،٧؛العيني،عقد الجمانحوادث سنة ٨٢٤-٨٥٠هـ،ص٤٩٥.

(٨) ابن العماد الحنبلي:شذرات،ج٤،ص٢٣٧.

وأعمالها، وكان عدد من يموت فيها يومياً يتجاوز مائة نفس، تفشى الوباء بعد ذلك في مدينة حماة، وأعمالها وكان عدد من يموت فيها يومياً يتجاوز المائة وخمسين شخصاً [١] و زادت حدته في حماة، وزادت نسبة أعداد الموتى، إذ أصبح يموت فيها يومياً ثلاثمائة إنسان، وظهر أيضا الوباء في طرابلس ودمشق[٢]، وقد ازدادت حدة هذا الوباء في دمشق إلى درجة أنه مات "عالم عظيم،لا يحصرهم عددهم لكثرتهم" أما في مدينة غزة فقد اشتد فيها الطاعون بشكل كبير جداً وحصى عدد من مات فيها خلال هذا الشهر فبلغوا اثني عشر ألفاً ونيف [٣]، وقد استمر هذا الوباء إلى أواخر العام تقريبا، وفي سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م فشي الطاعون في مصر والقاهرة، وفني فيه العديد من الناس، وتجاوز عدد الموتي في كل يوما ألف إنسان،وفي سنتي ٨٥٢-٨٥٣هـ/١٤٤٨-١٤٤٩م ظهر الطاعون في مصر، وحدثت في البلاد أزمة اقتصادية عنيفة نتيجة عدم وفاء النيل، تبعها موت كثير من الأبقار لعدم توافر العلف، فارتفعت الأسعار وتكالب الناس على حوانيت الغلال، فقد تأثرت البيئة بالطواعين المتكررة، فانتشار الجثث وكثرة وجودها في الشوارع لعدة ايام يؤدي إلى حدوث العفونات فيها، بالإضافة الى انتشار الروائح الكريهة وانتشار الذباب، وفي هذه السنة كانت أعداد الموتي كثيرة، ويذكر حمد [٤]، في سنة٨٥٦هـ=١٤٥٢م فشت الأمراض الحادة في مدينة القاهرة، ومات فيها أعداد كبيرة من الناس، واستمرت هذه الأمراض متفشية حتى أوائل سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٥م، وفي سنة ٨٦٢هـ / ١٤٥٧م فشت الأمراض الحادة في مصر، ومات بها عدد كبير من الناس، معظمهم من الأطفال[٥]، وفي سنة ٨٦٣ هـ/١٤٥٩م تفشى الطاعون في مدينة حلب والمناطق المجاورة لها، و ازدادت حدة الوباء في القرى التابعة لمدينة حلب، وقد قُدّر عدد من مات في هذا الطاعون بمائتي ألف نسمة [٦]،وفي سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م تفشى الطاعون في مصر والشام [٧]، وكان

---

(١) المقريزي: السلوك،ج٧،ص٣٤٢-٣٤٣؛ابن الصيرفي،نزهة،ج٤،ص٣٩٤ -٣٩٥؛ابن شاهين،نيل،ج٥،ص١٢-١٣.

(٢) المقريزي:السلوك،ج٧،ص٣٤٥؛ ابن الصيرفي،نزهة،ج٤،ص٣٩٨-٣٩٩؛ابن شاهين،نيل،ج٥،ص ١٦-١٧.

(٣) المقريزي: السلوك،ج٧،ص٣٤٨- ٣٥٢؛ ابن شاهين،نيل،ج٥،ص١٩-٢١- ٢٦.

(٤) حمد، فيصل عبد الله: أثر الكوارث،ص٧٤.

(٥)بن شاهين:نيل،ج٦،ص٣٤.

(٦) ابن تغري بردي:النجوم، ج١٦، ص١٠٥- ١٠٨؛ ابن شاهين، نيل،ج٦،ص٥٧- ٦٣.

أشده في بلاد الشام ما حدث في غزة والقدس، ثم تفشى في مدينة القاهرة ووصل عدد الموتى في مدينة القاهرة إلى حوالي ستين نفساً، وبقي في القاهرة ما يقارب الستة أشهر، وكان عاماً قاسياً على الجميع، أصبح الناس يحسبون حساب الموت، واجتمع على الناس فيه ثلاثة أمور هي الطاعون والظلم والغلاء، قال ابن تغري بردي:" عظم الطاعون بمدينة غزة، وأباد الموت أهلها حتى تجاوز عدد الموتى بها في اليوم سبعمائة، وقيل أكثر وأقل" [١]وقال ابن العماد الحنبلي " فيها كان الطاعون العظيم بغزة ثم الشام والقدس ومات فيه من لا يحصى " [٢] ،وفي سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م تفشى الطاعون في مصر والقاهرة والاسكندرية ودمشق[٣]، تزايد موت الناس وأصبحوا يموتون في الطرقات،مات معظم أهل الاسكندرية، وعملت المغاسل العامة التي حمل إليها الموتي،وخاف الناس من أنباء الموت فجأة خوفاً شديداً، وأصبح الرجل والمرأة يكتبون أوراقاً تحمل أسماءهم وكنياتهم وأسماء حاراتهم وسكنهم حتي إذا ماتوا يعرف بهم، أما في دمشق فقد قُدّر عدد ضحايا الطاعون فيها بسبعة ألاف نسمة، وماتت بسببه ابنة السلطان قايتباي وحفيدته[٤] ،وفي سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م تفشى الطاعون في بلاد الشام ومصر في مسافة دولة الأشرف قايتباي، وهو الثاني الذي يحدث في دولته، وتوفيت أخت السلطان الأشرف قايتباي بسببه، وبلغ عدد الموتي نحواً من مئتي ألف، وقد مات بسببه كثير من العلماء الأكابر، وأخليت

=

(١) ابن تغري بردي:النجوم،ج١٦،ص١١٠؛السخاوي،الذيل،ج٢،ص١٤١؛ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، موقع مخطوطات مكتبة الأزهر: ttp://www.alazharonline.org مخطوط،ورقة ١٥أ؛ابن شاهين،نيل،ج٦،ص٧٠.

(٢) ابن ثغري بردي: النجوم الزاهرة مصدر سابق، ج١٦، ص١١٠.

(٣) ابن العماد الحنبلي،شذرات،ج٤،ص٣٠٣.

(٤) البصروي: علي بن يوسف بن أحمد،تاريخ البصروي،ج١،تحقيق أكرم حسن العلبي،دار المأمون للتراث،دمشق،١٤٠٨هـ،ص٣٦-٣٨؛ السيوطي،ما رواه الواعون ورقة ١٥.

(٥)ابن الحمصي:شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر ٨٤١-٩٣٤هـ حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران،تحقيق:د. عمر عبد السلام تدمري،ج١،ط ١، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت،١٤١٩هـ/١٩٩٩م،ص١٨٩.

الدور من أهلها وساكنها، واستمر هذا الطاعون إلى سنة ٨٨٢هـ /١٤٧٧م[١]، أما في دمشق فقد وصل عدد الموتى يومياً فيها إلى ١٥٠٠ نسمة[٢]. و ذكر مجير الدين الحنبلي أنه" أفنى خلقاً من الشباب والنساء وأهل الذمة" [٣] وسجل لنا ابن شاهين وصفاً لشدة فتك هذا الطاعون بالناس خلال هذا الشهر بقوله: "فيه كان عيد النحر من نوادر الأعياد وأغربها،وكونه ما وُجد به السرور لأحد غالباً لكثرة الموتى والصياح عليهم والعويل، واشتغال الناس وبالهم عن العيد بموتاهم، وفي نصفه حُسب من مات من الجند السلطاني من الجلبان[٤] والقراصنة[٥] فكانوا نحواً من ألفي نفر وزيادة، خارجاً عن السيفية وغير مشاة الخدمة وعن الخدام من الطواشية، أما الخدام الطواشية فلم يبق منهم أحد حتى بقي السلطان وحده، وحُكي عنه أنه مرة حمل مطبخه بنفسه حتى دخل بها إلى حريمه،وكان من مات من طواشيه خدمته نحواً من خمسة وعشرين طواشياً، ومات من مماليك الأمراء شيئاً كثيراً، وعُدم الناس الخدم من العبيد والإماء".

وقال أيضاً: "وخرجت هذه السنة والناس في وجل شديد وتخوف ما عنه مزيد مما حل بهم من هذا الوباء، وقد عم الطاعون سائر بلاد مصر قبلياً وبحرياً شرقاً وغرباً، وخلت منه الديار، بل والقرى ونجوع العرب، وصارت الموتى بالوجه القبلي تُرمى كالبهائم، وتُترك من غير تجهيز ولا تكفين ولا دفن، وربما مات جميع من في نجع فيرمون عليهم بثوب الشعر ويتركوهم كما هم، وجافت البلاد من جيف الموتى وسواحل النيل مما يرمون الموتى بلا دفن من المراكب"[٦]، وفي سنة ٨٩٧هـ /١٤٩٢م تفشى الطاعون في بلاد الشام ومصر وغيرها من البلدان، أول ظهوره

---

(١) ابن الحمصي:شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر ٨٤١-٩٣٤هـ حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران،تحقيق:د. عمر عبد السلام تدمري،ج١،ط ١، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت،١٤١٩هـ/١٩٩٩م،ص١٨٩.

(٢) البصروي:تاريخ البصروي،ج١،ص٨١

(٣) العيلمي:الأنس الجليل،ج ٢، ص ٣١٨؛وينظر: البصروي،تاريخ البصروي،ج١،ص٨٢؛ ابن شاهين، نيل،ج٧،ص١٦٧.

(٤) هم المماليك الذين جلبوا حديثا؛ دهمان،معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي،ط١، دار الفكر المعاصر،بيروت،دار الفكر،دمشق،١٤١٠هـ/١٩٩٠م،ص٥٣.

(٥) هم المماليك القدامى أصحاب الخبرة والتجربة؛ دهمان،معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي،ص١٢٢.

(٦) ابن شاهين:نيل الأمل،ج٧،ص١٨٤؛وينظر:بن إياس،بدائع الزهور،ج ٣، ص١٢٤، ١٢٥.

في مدينة بلبيس وسرياقوس، وقد بلغ عدد الموتى فيهما مائة نفس يومياً [١]، و يذكر السيوطي أن عدد الموتى بلغ في سرياقوس لوحدها ثلاثمائة نفس يومياً[٢].

وقد وصفه ابن العماد الحنبلي بقوله: " الطاعون العام العجيب الذي لم يسمع بمثله حتى قيل أن ربع أهل الأرض ماتوا به [٣]، و تركز هذا الطاعون في بلاد الشام في دمشق و حلب وحماة وطرابلس والقدس والخليل وغزة والرملة.

وفي سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م تفشى الموت بالدجاج في مصر، مما أدى إلى نفوق عدد كبير منها[٤]،وفي ٩١٧هـ/١٥١١م حدث الموت في الأبقار في بلاد الشام وخاصة في دمشق وحلب وحماة وحمص وصفد، وقُدر عدد الأبقار النافقة بألفي بقرة[٥]، وأعقب هذا الموت أمراض أصابت المواطنين في مدينة دمشق، ووقع جراء ذلك العديد من الوفيات، وفي شهر ٩١٨هـ/١٥١٣م ظهر الوباء في مدينة الاسكندرية ورشيد وبعض مناطق الساحل الغربي، ولكنه لم يدخل إلى القاهرة والفسطاط، وحدث موت بالأغنام في بلاد الشام وخاصة في مدينة دمشق، وأدى ذلك إلى انعدام الأضحية وغلائها[٦].

وفي سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م وصل الوباء في انتشاره الى العاصمة، حيث بدأ يقضي على العبيد والجواري، ومع حلول الخماسين اشتدت وطأته،ثم أخذ يفتك بالناس عموما، فقام أعيان الأمراء والموظفين بإرسال أطفالهم وزوجاتهم وخدمهم إلى منطقة جبل الطور[٧]لاعتقادهم بأنها لا يدخلها الطاعون، ويذكر لنا ابن إياس حادثة طريفة وقعت في هذا الطاعون، فقد نصح بعض الحكماء السلطان أن يلبس في أصابعه خواتم ياقوت أحمر وذلك لأنه ينفع في منع

---

(١)ابن شاهين:نيل الأمل،ج٧،ص٦٥٨؛ابن إياس،بدائع،ج٣،ص٢٨٦.

(٢) مقامات السيوطي المقامة الطاعونية، إدارة الجو ائب، مطبعة القسطنطينية، ط١، ١٢٩٨هـ ص٦٩.

(٣) ابن العماد الحنبلي:شذرات،ج٤،ص٣٥٩.

(٤) ابن إياس:بدائع الزهور،ج ٤،ص ١٤٩.

(٥) ابن الحمصي:حوادث الزمان،ج٣،ص٢٢٠-٢٢٥ ؛ابن طولون،مفاكهة الخلان،ج١،ص١٥٤.

(٦) ابن الحمصي:حوادث الزمان،ج٣،ص٢٤٠.

(٧) الطور: اسم جبل في أماكن عدة والمقصود به هنا الجبل الموجود في صحراء سيناء؛ ينظر:ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٥٣-٥٤.

الإصابة بمرض الطاعون[1]، فقام السلطان بالعمل بهذه النصيحة، وصار يلبس خاتمين في أصابعه، وكل من ماتت له بنت يضع على نعشها شربوش الحلي مع الطرحات، وبلغ عدد الموتى حوالي ثلاثمائة وستين نفساً يومياً[2]،و ذكر بعض المؤرخين أن العدد وصل إلى خمسة ألاف نفس يومياً[3].

ويمكن القول ان الحياة الاجتماعية في بلاد مصر والشام قد اختلت نتيجة لهذه الطواعين المتكررة، فأغتنى جماعة من الناس مثل العطارين والأطباء والحفارين والغسال والقراء،وذلك لكثرة الطلب عليهم [4] من قبل الناس، وراجت أحوالهم، نتيجة لكثرة موت الأطفال والبنات والعبيد والإماء فقد كبار رجال الدولة وأعيانهم الخدم، وأصبحوا يخدمون أنفسهم بأنفسهم.

---

(١)هذا الاعتقاد قال به فلاسفة اليونان، وهو اعتقاد خرافي لا يثبت أمام الحقائق العلمية، قال القلقشندي:" ومن منافعه ما ذكره أرسطاطاليس أن التختم به يمنع صاحبه أن يصيبه الطاعون إذا ظهر في بلد هو فيه "،وقال ابن الوردي: " الياقوت: هو حجر صلب شديد اليبس رزين صاف، منه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر،...، ومن تختم بهذه الأصناف أمن من الطاعون وإن عم الناس "؛ ابن الوردي، سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي،المتوفي ٧٤٩هـ/١٣٤٩م،خريدة العجائب وفريدة الغرائب،ج١، القاهرة،١٩٣٩م، ص ٧٧؛ القلقشندي،صبح، ج ٢، ص ١١٠.

(٢) ابن إياس،بدائع الزهور،ج ٤،ص٢٩٧ -٢٩٩ - ٣٠١.

(٣) ابن الحمصي:حوادث،ج٣،ص٢٤٥.

(٤) الصريفي:نزهة النفوس،ج٣،ص٤١٩.

الفصل الرابع

أشهر الأمراض التي انتشرت في مصر والشام خلال العصرين الأيوبي والمملوكي وطرق علاجها آن ذاك

- ❖ الكوليرا.
- ❖ الحميات.
- ❖ السل.
- ❖ الجذام.
- ❖ البرص.
- ❖ الجدري والحصبة.
- ❖ القولنج والذرب.
- ❖ تصدي الأيوبيين والمماليك للأوبئة والأمراض في بلاد الشام ومصر.
- ❖ أشهر هذه البيمارستانات في بلاد الشام.
- ❖ أشهر هذه البيمارستانات في بلاد مصر

لقد شهد العصرين الأيوبي والمملوكي العديد من الامراض التي أثرت بصورة سلبية على حياة البشر وسنذكر أهم هذه الأمراض التي ظهرت في العصرين الأيوبي والمملوكي.

أشهر أمراض مصر والشام خلال العصرين الأيوبي والمملوكي وطرق علاجها آن ذاك:

الأمراض هي حالة للبدن تصيبه وتسبب أفعالها الأضرار من غير توسط، وتكون خارجة عن الأمر الطبيعي، وأمراض المادة أسبابها معها تمدها، فإذا كان سبب المرض معه فالنظر في السبب ينبغي ان يكون أولا، ثم المرض ثانيا، ثم في الدواء ثالثا. والأمراض تخرج العضو عن هيئته إما في شكل أو تجويف،أو مجرى أو خشونة أو ملامسة أو عدد أو وضع أو عظم، فان الأعضاء إذا تآلفت سمي تآلفها اتصالا، والخروج عن الاعتدال فيه يسمى تفرق الاتصال، وقد تكون الأمراض آلية، وهي التي تخرج العضو عن هيئته، أو تكون متشابهة، وهي التي يخرج بها المزاج عن الاعتدال، وهذا الخروج يسمى مرضا بعد ان يضر بالْفعل إضرارا محسوسا [1]والأمراض توجد في كل زمان ومكان، ولكن لكل مكان أمراض معينة يشتهر بها، وهي الأماكن التي تتوافر فيها البيئة المعينة التي يقتضيها كل نوع من هذه الأمراض.

– الكوليرا[2].

وهو أحد الأمراض الوبائية المعدية التي وجدت لها بيئة مناسبة في الشام خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، وكان أغلب وجوده في الأجزاء التي اغتصبها الصليبيون من الشام، فقد أصيبت القوات الصليبية بهذا الوباء سنة ٥٩٢هـ/١٠٩٩م أثناء حصارها لمدينة بيت المقدس وسبب إلى اضطرارهم لشرب المياه الملوثة.

---

(١)ابن قيم الجوزيه: مصدر سابق، ص٧، ٨.

(٢) الكوليرا: هو مرض وبائي معد يصيب الإنسان نتيجة تناوله ماء فاسداً او ملوثاً، أو تناول أطعمة مغسولة بهذا الماء، وأعراضه تظهر بوضوح على المصاب، وتتمثل في القيء والإسهال والإحساس الشديد بالعطش وانخفاض درجة حرارة الجسم، وفي الحالات الحارة والمتأخرة، تزرق شفاه المريض وأظافره وتغور عيناه، ويزداد تصبب عرقه، ويكون ذلك نذيرا بقرب الوفاة انظر: مصطفى الديواني: حديث في الطب، طبعة القاهرة، ١٩٨٠، ص٢٨٧-٢٧٩.

كما انتشر مرض الكوليرا أيضا عند حصار عكا سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م من قبل الصليبيين، وكانوا قد شربوا من مياه نهر القى فيه المسلمون بجيف القتلى، فانتشر المرض بينهم[١]، وممن أصيب بهذا المرض الشيخ صدر الدين بن حمويه، وتوفى فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م وعمره ثلاث وسبعون سنة، كما توفى الشيخ فخر الدين بن عساكر الدمشقى، وكانت وفاته آخر يوم الأربعاء العاشر من رجب سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م.

وقد أصيب الملك الأشرف[٢]صاحب دمشق سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م [٣]، "حيث تزايد به المرض واعتراه إسهال مفرط فخارت قوته " مما أدى إلى وفاته فى سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧.

ويبدو أن العلاج الذي تم المستخدامه لهذا المرض ومن أجل إيقاف استطلاق البطن (الإسهال)فهو العسل عملاً بما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كما اشار الطبيب ابن البيطار إلى مجموعة من النباتات والأدوية تستخدم فى علاج الإسهال، ومنها نبات عصا الراعي[٤]،"وقوته قابضة مبردة وإذا شرب ماؤه أوقف نفث الدم من الصدر والإسهال [٥]وثمة

---

(١)السيوطي: إتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق احمد رمضان احمد، طبعة القاهرة، ١٩٨٢م، ق١، ص٢٧٨، ابن واصل، المصدر السابق، جـ٢، ص٣٠٢.

(٢) الملك الأشرف: هو ابو الفتح موسى بن الملك العادل أبى بكر بن ايوب، صاحب دمشق كان شجاعاً كثير فعل الخيرات، ومن ذلك أنه اعتق مائتي غلام وجارية لما أحس بدنو أجلة، ووقف وتصدق بأموال جزيلة، وكان محباً للعلم والعلماء، وقد بنى دار الحديث بالسفح، وبالمدينة للشافعية أخرى انظر ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٦٨ . ١٧٠ ولما توفى دفن بالقلعة إلى أن بنيت تربه جوار كلاسه الجامع فنقل إليها، وتولى دمشق بعده بعهد منه أخوه الملك الصالح اسماعيل بن ابى بكر بن ايوب انظر ابو شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٦٥، ابن كثير: المصدر سابق،جـ١٣،ص١٦٨ — ١٧٠

(٣) المقريزي: السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٢٥٦.

(٤) عصا الراعي: هو البطباط وهو نوعان،ذكر وأنثى، وأما الذكر فإنه من المستأنف كونه فى كل سنة، وله قضبان كثيرة رقاق رخصة معقدة تسعى على وجه الأرض مثل ما يسعى النبات الذى يقال له النيل، وله ورق شبيه بورق الشذاب، إلا أنه أطول منه وأشد رخوصة،وله عند كل ورقة نور،ولهذا يقال لهذا الصنف منه الذكر، وله زهر أبيض وأحمر قان، وفى هذا النبات شئ يقبض.. فهو فى الدرجة الثانية من درجات الأدوية التى تبرد أنظر: ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، المطبعة الاميرية، إشراف حسين بك حسنى، القاهرة ١٢٩١هـ.

(٥) ابن البيطار: المصدر سابق، مجلد ٢، جـ٣، ص ١٢٤.

نبات آخر ذكره ابن البيطار ايضا لعلاج الاسهال وهو نبات أبو قابس [١]"فإنه يخلط بالكرسنة،ويؤخذ منها مقدار اربع اوثولوسات بالشراب المسمى ماء القراطن، وقد يؤخذ هذا النبات كما هو بأصله،فيجفف ويدق ويعطى منه مدقوقاً ناعما مع نصف قوطولى، من الشراب المسمى ماء القراطن، وقد يستخرج من أصل هذا النبات عصارة ويعطى منها للإسهال مقدار درهمين"[٢].

- أمراض الحميات[٣]:

وهو من الأمراض التي غالبا ما تصيب الأشخاص في فصل الصيف، ويرجع سبب الإصابة بها الى فساد الهواء الذي يستنشقه الشخص المريض، او تعرضه الى للحرارة الشديدة، او الغضب والانفعال او المعاناة من السهر، او الامتلاء والتخم، فكلها أسباب تؤدي الى الإصابة بها سواء وجدت مجتمعة او متفرقة.

وهي تنقسم إلى قسمين: عرضية: وهي الحادثة اما عن الورم او الحركة او إصابة حرارة الشمس او القيظ الشديد ونحو ذلك [٤]، ومرضية: وهي ثلاثة أنواع، وهي لا تكون الا في مادة أولى، ثم يسخن منها جميع البدن، فان كان مبدأ تعلقها بالروح سميت حمى يوم، لانها في الغالب تزول في يوم، ونهايتها ثلاثة ايام، وان كان مبدأ تعلقها بالأخلاط، سميت عفنيه، وهي أربعة أصناف،صفراوية، وسوداوية، وبلغمية، ودموية، وان كان مبدأ تعلقها بالأعضاء الصلبة

---

(١) ابو قابس: هو الغاسول الرومى، وكان أهالى ايطاليا يغسلون بأصولهما الثياب، كما يفعل أهل الشام بأصول العرطنينا، ومن الناس من يسميه أبو قابوس، وهو شئ يقصر به الثياب، وهو نبات ينبت فى سواحل البحر وهو مخضب، وله ورق صغاد شبيهة بورق الزيتون، إلا أنها أرق من ورق الزيتون وألين، وفيما بين الورق شوك بايس لونه إلى البياض مزوى، متفرق بعضه عن بعض، وزهره شبيهة برؤس النبات الذى يقال له قسوس كأنه عناقيد متراكم بعضه على بعض إلا اصغر وفى لونه شئ من الحمرة مع البياض أنظر: ابن البيطار: المصدر سابق، مجلد ١، جـ١، ص ٨، ٩ .

(٢) ابن البيطار: المصدر سابق، مجلد ١، جـ ١، ص ٩.

(٣) الحميات: جمع حمى، وهي حرارة غريبة تشتعل في القلب وتنتقل منه عبر مجرى الدم في الشرايين والعروق الى جميع أجزاء البدن فتشتعل فيه اشتعالا يضر بالأفعال الطبيعية انظر: ابن سينا: مصدر سابق، جـ٣، ص٢، ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ص٢٠

(٤) ابن قيم الجو زيه: المصدر سابق، ص٢٠.

الأصلية، سميت حمى دق، وتحت هذه الأنواع أصناف كثيرة [١]،وهذه التقسيمات لأنواع الحمى وضعها أطباء المسلمين حسب العلامات والأعراض، وهذه الأعراض التي يمكن من خلالها معرفة الشخص المصاب بالحمى وهي كما يلي:

شعور المريض بثقل في بدنه كله، ومعاناته من ألم في المفاصل مع ارتفاع شديد في حرارة الجسم، ويصاحبه عرق غزير وجفاف شديد بالفم، ومعاناة من البطء في حركة الجسم، وذبول البدن مع سرعة نبض القلب.

اما عن الإصابة بالحمى في مصر والشام خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، فقد تراوحت ما بين فردية تصيب أشخاصاً معينين في مكان معين دون غيرهم، مثلما حدث عندما أصيب السلطان صلاح الدين [٢]بالحمى في صفر سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، واشتدت به حتى امر الأطباء بفصده، ففصد ولكن قوته ضعفت، وأودت الحمى بحياته في أيام قلائل [٣] كما امتدت الحمى لتصيب الملك العزيز عثمان الأيوبي [٤].

---

(١) ابن قيم الجوزيه: المصدر سابق، ص٢١-٢٥، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، جـ١١، ص ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠.

(٢)السلطان صلاح الدين: هو أبا المظفر يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان الكردي، وكان أصلهم من أذربيجان من بلاد الكرج، ولكن أصلهم أكراد، ولد سنة ٥٣٢هـ وكان ابوه في خدمة زنكي ابي نور الدين الشهيد، فلما توفي زنكي صار أيوب وأولاده في خدمة نور الدين الذي استولى البلاد الشامية وأرسل نجدة الى مصر بقيادة شيركوه اخو أيوب، وعم صلاح الدين الذي اصطحب صلاح الدين معه، فلما توفي شيركوه بمصر صار الامر لصلاح الدين، وعندما مات الخليفة العاضد الفاطمي، اقر نور الدين، صلاح الدين على مصر، ثم انفرد بالأمر بعد وفاة نور الدين انظر: ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـ١، ص٨٥-٩٠ .

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص٢٤٣، ٢٤٦، ويذكر ابن كثير ان السلطان صلاح الدين قد اعترته حمى صفراوية ليلة السبت سادس عشر سفر فلما أصبح دخل عليه القاضي الفاضل وابن شداد وابنه الأفضل فاخذ يشكو إليهم كثرة قلقه البارحة، ثم اشتد به المرض واستمر ففصده الأطباء في اليوم الرابع، ثم اعتراه يبس أي ضعف وجفاف وحصل له عرق شديد بحيث نفذ الى الأرض، ثم قوى اليبس، وظهرت عليه مخايل الضعف الشديد وغيبوبة الذهن في بعض الأوقات " إلى ان توفي يوم السابع والعشرين من صفر سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م انظر: ابن كثير: مصدر سابق، جـ١٣، ص٣، ٤.

(٤) الملك العزيز عثمان: هو عماد الدين ابو الفتح، عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وهو الثاني من ملوك بني أيوب بمصر، بويع له بالسلطنة بعد موت أبيه بعهد من أبيه له، وكان اصغر أخوته، فقد ولد سنة ٥٦٧هـ وولى ملك مصر وله من العمر نحو سبع وعشرين عاما، وقد سار مع الناس أقبح سيره حيث اخطات فيه

وكانت سببا في وفاته سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م [١] ويبدو ان الحمى قد الفت ملوك بني ايوب حتى صارت سببا في وفاة الكثير منهم، فقد توفي بها ايضا الملك الكامل محمد [٢] سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م، وان كان ابن كثير قد ذكر أن الملك الكامل: " قد أخذته أمراض مختلفة، ومن ذلك، سعال وإسهال ونزلة في حلقه، ونقرس في رجليه، فاتفق موته في بيت صغير من دار القصبة وهو البيت الذي توفي فيه عمه الملك الناصر صلاح الدين " [٣] ويمكن التوفيق بين هذين القولين بالقول بان كل هذه الأمراض السابقة قد صاحبت مرض الحمى الذي أصابه، والذي غالبا ما تصاحبه بعض هذه الأمراض، مثل السعال والإسهال والنزلات في الحلق،وإذا كانت الحمى في بعض الأحيان تظهر بشكل فردي، فانها في أحيان أخرى تظهر بشكل جماعي وبائي،وأصاب أهل دمشق مرض مختلف من الحميات سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م، منه ما طال ومنه ما قصر، ومات عدد كبار السن والشباب والأطفال،ثم تراجع هذا الوباء تدريجياً حتى وقف،مثلما حدث سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م عندما ظهرت بأنحاء مصر الأمراض الحادة والحميات، وكانت لها آثار بالغة السوء على الناحية الصحية بمصر، مما كان له انعكاس كبير على الناحية الاقتصادية، ويشير الى ذلك المقريزي فيقول " وغلت الأشربة والسكر وعقاقير العطار، وبيعت بطيخة بأربعة وعشرين درهما، وصار الفروج لا يقدر عليه، وانتهى سعر القمح

=

فراسة أبيه، فأعاد المكوس وزاد في شناعتها، وتجاهر بالمعاصي والمنكرات وكانت وفاته سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م انظر: ابن اياس: المصدر السابق، جـ١، ص٩٠، ٩١، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٤، ٢٥.

(١) ابن دقماق: الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٧م، ص٥٣، وان كان غيرهم من المؤرخين قد ذكروا ان سبب وفاته لم يكن الحمى وإنما وقوعه من على ظهر فرسه أثناء الصيد انظر: ابن إياس: المصدر السابق، جـ١، ص٩١، ابن كثير: مصدر سابق، جـ١٣، ص٢٤.

(٢)الملك الكامل: هو ناصر الدين محمد بن الملك العادل ابي بكر بن أيوب، وهو الخامس من ملوك بني أيوب بمصر، بويع بالسلطنة بعد موت أبيه العادل سنة ٦١٥هـ حيث كان اكبر أخوته، وقد استولى على الديار المصرية نحوا من أربعين سنة نصفها في حياة أبيه ونصفها مستقل بها، وكان كثير الغزوات يحب الجهاد، وفتح في أيامه فتوحات كثيرة من البلاد الشامية والمصرية انظر: ابن اياس: المصدر سابق، جـ١، ص٩٥-١٠١.

(٣)ابن كثير: مصدر سابق، جـ١٣، ص١٧١.

إلى مائتي دينار لكل أردب، وغلظ الأمر في الغلاء، وعدم القوت، وكثر السؤال وكثرت الموتى بالجوع، وخطف الخبز متى ظهر، وشوهد من يستف التراب، ومن يأكل الذبل، وازدحم الناس على الطير الذي يرمى من مطابخ السكر، وكثرت الأموات أيضا بالإسكندرية، وتزايد وجود الطرحى بها على الطرقات، وعدمت المواساة وعظم هلاك الأغنياء والفقراء، وانكشاف الأحوال، وظهر من يبحث في المزابل القديمة على قشور الترمس، وعلى نقاضات الموائد وكناسات، ومن يقفل بابه ويموت، ومن عمي من الجوع، ويقف على الحوانيت ويقول متوسلا أشموني رائحة الخبز " [١].

ولعل هذا يعكس فداحة الأضرار التي ترتبت على ظهور الحمى في مصر بشكل وبائي في عام ٥٩٢هـ/١١٩٥م،وقد تمكنت الحمى من القضاء أيضا على بعض الأطباء، الذين تمكنوا من علاج الناس منها من قبل، ومن هؤلاء الأطباء الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم ابن علي وهو من أطباء الشام في العصر الأيوبي [٢]،وكان قد تمكن من علاج " محموم بحمى محرقة وقواريره في غاية الحدة فاعتبر قوته، ثم أمر بان يترك له في قدح بزور من الكانور، مقدارا صالحا عينة لهم في الدستور، وانه يشربه ولا يتناول شيئا آخر غيره، فلما كان الغد، وجد ذلك المريض والحمى قد انحطت عنه، وقارورته ليس فيها شيء من الحدة "[٣]، وتعطل المعايش،وفي سنة ٦٧٢هـ /١٢٧٣ انتشرت الأمراض والحميات في الرملة والقدس، ويُبدو أن سبب انتشار هذه الأمراض هو شرب السكان من مياه الآبار الملوثة، وفي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٨اشتكي الظاهر بيبرس من شدة حرارة في بطنه، فصنعوا له بعض خواص الدواء وتسبب هذا الدواء له بإسهال مفرط مع دفع دم وتضاعفت حماه وازدادت الى ان توفي، وفي سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م ظهرت أمراض فاشية في الناس من الحمى والبرد، وتسبب بموت عدد كبير من الناس مع توقف الأحوال، وعلى الرغم من ذلك فقد كان موت مهذب الدين بمرض الحمى حيث اجتهد في مداواة نفسه، واستفرغ بدنه بعدة أدوية مسهلة، وكان يتناول كثيرا من الأدوية والمعاجين

---

(١)المقريزي: السلوك: جـ١، ق١، ص١٣١، ١٣٢.

(٢) ابن ابي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٧٢٨-٧٣٠

(٣) ابن ابي أصيبعة: المصدر سابق، ص٧٣١، ٧٣٢.

الحارة، ويتغذى بمثلها، فعرضت له حمى وتزايدت به، حتى ضعفت قوته، وتوالت عليه أمراض كثيرة، ولما جاء الأجل بطل العمل "[١].

فكانت وفاته بها،كما نزلت الحمى بالطبيب رشيد الدين بن خليفة [٢] حيث: " عرضت له حمى حادة فعاد الى دمشق، ولم يزل المرض يتزايد به واعيان الاطباء ومشايخهم يلازمونه ويعالجونه، الى ان انقضت مدة حياته في السادس عشر من شعبان سنة ستة عشر وستمائة وله من العمر ثمان وثلاثون سنه" [٣] وهو ما يدل على قسوة مرض الحمى وانه لا يفرق بين طبيب وغيره، كما تعد الحمى التيفودية احد أنواع الحمى، وهي تظهر في فصل الصيف، كما أنها شديدة العدوى، وأعراضها عبارة عن ارتفاع في درجة حرارة جسم المصاب، مع ظهور طفح جلدي، يصاحبه الم في البطن، وإسهال مستمر، ونزيف بالأنف، وتعفن باللثة، وتنتقل العدوى به عن طريق الحشرات مثل الذباب، او عن طريق تناول أطعمة واشربه ملوثة بهذا المرض[٤].

ولم تسجل لنا المصادر التاريخية إصابات باسم هذا المرض سواء كانت إصابات فردية او جماعية، اللهم الا في الأجزاء التي اغتصبها الصليبيون من الشام، حيث لم يسجلوا المرض اسما، ولكن سجلوا جملة من الأعراض تنطبق والإصابة بهذا المرض [٥] وقد تفشى هذا المرض بشكل جماعي بين القوات الصليبية عند فارسكور سنة ٧٤٦هـ/١٢٥٠م وهم في طريق عودتهم إلى

---

(١) ابن ابي أصيبعة:المصدر سابق، ص٧٣٣

(٢)رشيد الدين بن خليفة: هو احد أطباء الشام في العصر الأيوبي، وهو عم ابن ابي أصيبعة الطبيب المشهور انظر: ابن ابي أصيبعة: المصدر سابق، ص٧٣٥-٧٥٠

(٣)ابن ابي أصيبعة: المصدرسابق، ص٧٤١، ٧٤٢.

(٤)إبراهيم خميس إبراهيم: الأوبئة والأمراض التي تفشت بين الصليبين في الشرق الأدنى وآثرها مجلة كلية الآداب الاسكندرية،العدد٢٢،العام ١٩٩٢م، ص١٦.

(٥) Joinvill: hist de sant louis، paris 1846، p.158

فقد أصيب بهذا المرض جود فري دي بوايون ٤٩٣—٤٩٤هـ/١٠٩٩-١١٠٠م اول ملك صليبي لبيت المقدس، حيث ألمت به أعراض هذا المرض سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م، حيث كان أعوانه يظنون انها حالة تسمم، ولكن الراجح انها كانت حمى تيفودية أودت بحياته في النهاية انظر: ستيفن رنسيمان، جـ١، ٤٦٢ كما أصيب بهذه الأعراض أيضا سنة ٥٠٦هـ / ١١١٢م، تانكر أمير انطاكية ٤٩٨-٥٠٦هـ/١١٠٤—١١١٢م، ولكن جهل الصليبين بالطب، جعلهم لا يميزون بين الامراض المختلفة وحالات التسمم، فسرت شائعات بان تانكر مات مسموما، ولكن الراجح انه توفي اثر اصابته بالحمى التيفودية انظر: ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢، ٤٦٢ .

دمياط،حيث أصيب به لويس التاسع ومعظم جيشه [1]، وانتقل الوباء أيضا الى خيل الفرنج واهلك عددا كبيرا منها [2]، وفي سنتي ٧٩٤- ٨١٦هـ/ ١٣٩٣ – ١٤١٣م حدثت الحمى في دمشق وترافقت مع غلاء عظيم، وفي سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م تزايدت في الناس بالقاهرة ومصر،وفشيت الحميات المحرقة في الناس لاسيما الأطفال والشباب، وامتدا المرض إلى حلب وحماة وتفشيت الامراض بدمشق وكان ذلك كله في سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م أما بالنسبة لطرق علاج الحمى، فإذا كانت الحمى في بدايتها فيمكن للمريض ان يستعمل المسهلات، حيث يستطيع التحمل أكثر مما لو كانت الحمى في شدتها والمريض واهن القوى وضعيف،كما أن الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس، ينفعها الماء البارد شربا واغتسالا[3].

كما استخدم الأطباء الفصد[4]في علاجها،حيث كانوا يقومون بفصد المحموم واستخراج كمية من دمه على الا تضر به، ثم يُعطى أغذية واشربه مرطبة[5].

ولاشك ان تناول الأغذية والأدوية النافعة، يعين على تنقية البدن ونفي اخباثه وفضوله، وتصفيته من مواده الردية، وتفعل فيه كما تفعل النار في الحديد في نفي خبثه، وتصفية جوهره، وهذا القدر هو المعلوم عند أطباء الأبدان[6].

وقد صنف الطبيب الصاحب أمين الدولة، الذي خدم الملك الامجد سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م، أمراض الحميات في كتابة النهج الواضح في الطب بالأمراض الباطنية، وذكر العديد من أسبابها وعلاماتها وطرق علاجها وقام الطبيب موفق الدين البغدادي (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م) باختصار

---

(١) Join Ville: op.cit، p.158

(٢) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، جـ٥، ص٣٦٤.

(٣) ابن قيم الجوزيه: المصدر السابق، ص٢٠، وقد ورد في ذلك الكثير من الأحاديث النبوية منها: ما روى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال " الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء " وفي رواية عن عائشة عن النبي " فابردوها بالنار " انظر: ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، جـ١١، ص٣٢٦، الأحاديث أرقام ٥٧٢٣، ٥٧٢٥، ٥٧٢٦.

(٤) الفصد: هو استفراغ كلى يتم في حالة كثرة الدم او رداءته او حدوث الاثنين معا، ويفضل إجراؤه في فصل الربيع انظر: مجهول: رسالة في علم الفصد: مخطوط نشرت في موقع المصطفى http://www.al-mostafa.com.

(٥) ابن النفيس: الموجز في الطب، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، طبعة القاهرة، ١٩٨٦، ص٢٧٥-٢٨٩.

(٦) ابن قيم الجوزيه: المصدر السابق، ص٢٣، انظر: ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، جـ١١، ص٣٢٩، ٣٣٠

كتاب الحميات للطبيب أبو الحاج يوسف الإسرائيلي الذي خدم السلطان صلاح الدين الأيوبي [١]وفي الكتاب طرق علاج أمراض الحميات المختلفة.

وقد وصف أطباء العصرين الأيوبي والمملوكي جملة من الأدوية والأغذية النافعة في علاج أمراض الحميات ومنها:

– **نبات الأجاص:** وهو يسمى في الأندلس عيون البقر، وقيل هو صنفان،أسود وأبيض، والأبيض هو المعروف بالشاهلوج، فإذا طبخ الأجاص وصفي ماؤه، وشرب بالسكر او بالعسل كان أقوى لإسهال البطن، واذا شرب طبيخاً مجففاً مفردا بيسير السكر، نفع الحمى الصفراوية[٢].

– **نبات الأذخر:** عندما يشرب على هيئة مشروب، يسكن الأوجاع الحادثة عند إقبالها، ويحرر الرياح من جميع الجسم تكميدا أو شربا لاسيما رياح المعدة، وفعله فيها مسحوقا اقوي منه مشروبا، وطبيخ أصله بالتمادي عليه وعلى شربه ينفع من أوجاع المفاصل والحميات البلغمية[٣].

– **مرض السل [٤](الدرن)**:

مرض السل من الأمراض المعدية، وينبغي على الإنسان الصحيح، ألا يقترب من المريض المصاب او يخالطه حتى لا يصاب بالمرض [٥]، وقد انتشر هذا المرض في بلدان كثيرة منها،بلاد مصر والشام.

---

(١) ابن أبي اصيبعة: عيون الانباء،ص٧٢٨-٦٩٥-٦٩٦.

(٢) ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، طبعة القاهرة، ١٢٩١هـ، المجلد الأول، جـ١، ص١٣، ١٤.

(٣) ابن البيطار: المصدر السابق، مجلد ١، جـ١، ص١٥، ١٦، والادخر هو نبات له أصل مندفن وقضبان دقاق ذفر الريح، وهو مثل الاسل الا انه اعرض منه بأوله ثمرة، يطحن فتدخل في الطيب، وقلما تنبت الاذخرة منفردة، وقد ينبت في الحجاز وفي غيره من البلاد انظر: ابن البيطار: المصدر السابق، مجلد ١، جـ١، ص١٥.

(٤) السل: هو من الأمراض الصدرية التي تصيب الرئة بقرحة تسبب ضيقا في التنفس، وبعد سعال شديد، ونفث شديد ينتقص لحم الإنسان بصورة شديدة انظر: الخوارزمي:أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف،المتوفي سنة ٣٨٧هـ/١٧٩م مفاتيح العلوم، تقديم عبد اللطيف العبد، طبعة القاهرة، بدون تاريخ، ص١٣٢ .

(٥) أبو العباس: كامل الصناعة الطبية، طبعة القاهرة، ١٨٧٧م، ج٢، ص٦٤، ٦٥.

ومن أصيب بمرض السل من الأيوبيين الملك الصالح نجم الدين أيوب [١]، وكان ذلك سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، واشتد عليه المرض حتى يئس الأطباء من شفائه، وظل على ذلك الحال الى ان توفي [٢]، وكانت وفاته في ليلة الرابع عشر من شعبان سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م [٣]ومن أنواع مرض السل التي وجدت في الشام خلال تلك الفترة، نوع يعرف " بالسل المعوي " وهو نوع يعاني معه المريض من ارتفاع في درجة الحرارة مع ضعف وهزال، وذلك لفقدان شهيته للطعام، وينتهي بالمريض غالبا الى الوفاة[٤].

وتتفق أعراض هذا المرض مع المرض الذي انتشر بين الصليبيين المحاصرين لمدينة عكا سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م، وقد عرفه بعض المؤرخين المسلمين بأنه مرض الجوف، وأصيب به ايضا ابن الإمبراطور فريدريك بربروسا وتسبب في وفاته مع عدد كبير من قواته ايضا [٥].

وثمة مرض آخر يعرف بالالتهاب السحائي وهو: التهاب الغشاء المبطن للدماغ والمحيط بالمخ وقد اودى هذا المرض بحياة كثير من سكان سوريا وفي سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م [٦]ولكن لم تذكر المصادر أن أحدا قد اصيب به في العصر المملوكي،وكان ابن البيطار الأندلسي الذي جاء الى

---

(١) الملك الصالح نجم الدين أيوب: هو ابن الملك الكامل محمد بن الملك العادل ابي بكر ابن نجم الدين ايوب، وهو السابع من ملوك بني أيوب بمصر، بويع بالسلطنة بعد موت أخيه الملك العادل ابي بكر سنة ٦٣٦هـ، وتولى الملك وله من العمر أربعة وثلاثون عاما، وكان مولده في سنة ثلاث وستمائة، بمصر في قلعة الجبل وقد استكثر من شراء المماليك، حتى ضاقت بهم القاهرة، ومما يذكر انه انشأ مدرستين تجاه باب الصاغة هما المدرسة النجمية والصالحية، وفي عهده استولى الفرنج على ثغر دمياط بعد ان الم به المرض، وتوفي والفرنج مرابطين بدمياط انظر: ابن اياس: بدائع الزهور، جـ١،ص١٠٢-١٠٥، ابن كثير: المصدر السابق، جـ١٣،ص١٧٤.

(٢) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١، ق٢، ص٣٣١، ٣٣٦، ٣٣٧.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق، جـ١، ص١٠٤

(٤) مصطفي الديواني: حديث في الطب، ص٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧ وقد اصيب بهذا المرض ملك بيت المقدس بلدوين الثالث ٥٣٩-٥٥٨هـ/١١٤٤-١١٦٢م حيث اشتد به هذا المرض حتى توفي وهو صغير السن، فقد كان عمره آنذاك ثلاثا وثلاثين سنة انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٣، ص٤٥١

(٥)ابن شداد: المصدر السابق، ص١٥٤، الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبيح، طبعة القاهرة، ١٩٦٠م، ص٣١٦

(٦) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٥٤، الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبيح، طبعة القاهرة، ١٩٦٠م، ص٣١٦

مصر قد وصف ثمر الأثل[١] كعلاج لمرض السل فقال عن قوة هذا الثمر: " يأكل اللحم الزائد، ويمنع من تآكل الإنسان (نقص الوزن)،ويحسن الألوان، ويصير سببا للزيادة في لحومهم، ورأيت كثيرا من المتطببين اذا أرادوا ان يزيدوا في لحوم الجواري القضاف النحيفات الأبدان، يسقوهن بدبا نقيع حب الأثل، ثلاثة ايام او سبعة متوالية، ثم يتبعون ذلك بالأقراص المبردة المرطبة المساعدة في زيادة لحوم المسلولين سبعة ايام، ثم يلزمونهم بشرب مخيض البقر، ويعطوهن إياه بالكثيراء المسحوق أياما، فيزيد ذلك في لحومهن، زيادة بينة صالحة، وتحسن ألوانهن، ويطويها ويفيدها نضارة ورونقا "[٢].

– الجذام:

الجذام علة رديئة يصاب بها الإنسان نتيجة لانتشار المرة السوداء في جسده كله، وهو غالبا يفسد مزاج الأعضاء وهيئتها وشكلها ولونها [٣]، وهو من الأمراض الوبائية التي انتشرت في كثير من البلاد ومنها الشام [٤] ومصر [٥]، والجذام من الأمراض القديمة جدا، وقد أشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم، وتحدث عن ضرورة الاحتراز في التعامل مع المصابين به، حيث يروي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: " لا عدوى ولا طيره، ولا هامة، ولا صفر، وفر من المجذوم، كما تفر من الأسد ". وما رواه عبد الله ابن ابي أوفى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمحينً وحديث " لا تديموا النظر الى المجذومين" وحديث عمرو ابن الشريد الثقفي عن ابيه قال: " كان فيوفد ثقيف رجل مجذوم، فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد بايعناك فارجع"[٦]

---

(١) الاثل: هو شجر عظيم مندوح وله حب وقضبان خضر ملمع بحمرة وله ورق اخضر شبيه بورق الطر فاء، وفي طعمه غضوضة، وليس له زهر، ويثمر على عقد على أغصانه حب كالحمص، وفي داخله حب صغير ملتصق بعضه الى بعض ويسمى حب الاثل انظر. ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مجلد ١،جـ١، ص١١

(٢) ابن البيطار: المصدر سابق، مجلد ١،جـ ١، ص١١، ١٢

(٣) ابن سينا: القانون في الطب، طبعة بيروت بدون تاريخ، جـ٣، ص١٤٠، وابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، جـ١١، ص٣٠٧

(٤) محمد كرد علي: خطط الشام، مطبعة دمشق ١٢٤٦هـ/١٩٢٧م، جـ ٦، ص١٦١.

(٥) Baltimore، و George sorton: introduction to the history of science 1947.vol.111 ،p.214

(٦) ابن حجر العسقلاني: مصدر سابق، جـ١١، ص٣٠٨، وقال القاضي عياض، اختلفت الآثار في المجذوم فجاء ما تقدم عن جابر " ان النبي صلى الله عليه وسلم اكل مع مجذوم، وقال: ثقة بالله وتوكلا عليه " قال فذهب عمر،

وقد كان لتوصيات النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بهذا المرض اثرها، حيث اهتم العرب والمسلمون بهذا المرض منذ وقت مبكر [(١)]، ففرضوا نوعا من الحجر الصحي، حتى يُمْنَعُ المرض من الانتشار ويقل عدد المصابين به، وذلك من خلال إسكان المصابين بالجذام بيوتا وبيمارستانات، حيث تصرف لهم بعض أموال الصدقات، وتجرى عليهم الارزاقالثابتة وجُعل لهم من يقوم على خدمتهم ومراعاتهم ومساعدتهم في شؤون حياتهم[(٢)].

اما عن اسباب الإصابة بهذا المرض فمنها: مخالطة أشخاص مرضى، واستنشاق هواء فاسد محمل بالمرض، او تناول أطعمة غليظة مثل اللحوم والألبان التي تسبب الامتلاء وانسداد المسام،

= ________

وجماعة من السلف الى الأكل معه، ورأوا ان الأمر باجتنابه منسوخ، وقال بذلك عيسى بن دينار، قال والصحيح الذي عليه الأكثر، ويتعين المصير اليه ان لا نسخ ولكن يجب الجمع بين الحديثين وحمل الأمر باجتنابه والفرار منه على الاستحباب والاحتياط، والاكل معه على بيان الجواز انظر: ابن حجر العسقلاني: المصدر نفسه، باب الطب، جـ١١، ص٣٠٨، ٣٠٩، الذهبي: الطب النبوي، طبعة القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٣م،ص١١٧ ومن اوجه الجمع بين الحديثين ما قيل ان الأمر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء، بل هو لأمر طبيعي، وهو انتقال الداء من جسد لجسد بسبب الملامسة والمخالطة وشم الرائحة، وذلك يقع في كثير من الأمراض في العادة، انتقال الداء من المريض الى الصحيح بكثرة المخالطة، وهذه طريقة ابن قتيبة فقال: المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسته ومحادثته ومضاجعته، وكذا يقع كثيراً بالمرأة من الرجل وعكسه، وينزع الولد اليه، ولهذا يأمر الاطباء بترك مخالطة المجذوم لا على طريق العدوى بل على طريق التأثر بالرائحة لانها تسقم من واظب اشتمامها انظر: ابن حجر العسقلاني: المصدر سابق، باب الطب، جـ١١، ص٣١٠،٣٠٩ومما قيل ايضا ان الجاهلية كانت تعتقد ان الامراض تعدي بطبعها من غير إضافة الى الله، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم اعتقادهم ذلك واكل مع المجذوم ليبين لهم ان الله هو الذي يمرض ويشفي، ونهاهم عن الدنو منه حتى يبين لهم ان هذا من الأسباب التي أجرى الله العادة بانها تفضي الى مسبباتها، ففي نهيه إثبات الأسباب، وفي فعله أشارة الى انها لا تستقل، بل الله ان شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئا، وان شاء أبقاها فأثرت انظر: ابن حجر العسقلاني: المصدر سابق، ج١١، ص٣١٠، الذهبي: االطب النبوي، ص١١٧ .

(١) Op، cit.vol.111، p.275، George sorton

(٢)الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف، ١٩٦٣م، جـ٦، ص٤٣٧.

ولهذا المرض جملة من العلامات والأعراض [١]التي تصاحبه وهو أنواع: نوع بسيط يتكون نتيجة لردائه الدم وثقله ولا يترتب عليه سوى سواد اللون، وظهور الزوائد الجلدية المتحجرة، ويمكن ان ينجح فيه العلاج[٢]، اما النوع الثاني فهو الناتج عن احتراق الصفراء بالجسم، وهو الذي يترتب عليه تساقط الأعضاء وتشوهها، وهو أشده، ولا يرجى برء صاحبه [٣]، وممن اصيب بالجذام في العصر الأيوبي بعض عربان الشرقية من التجار نتيجة لترددهم على مدن الفرنج بالشام.

لذلك "خرج الأمر بالحوطة على مستغلات العربان بالشرقية، وأمروا بالتعدية إلى البحيرة، وكان ذلك في سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م" [٤]،وهو ما يشير الى ان هناك لونا من الحجر الصحي فرض على هؤلاء العربان في المنطقة التي أصيبوا فيها بالمرض، حيث منعوا من الانتقال الى غيرها.وفي عام ٥٨١هـ /١١٨٥م اصيب بلدوين الرابع بهذا المرض ومات متأثراً به وهو في الرابعة والعشرين من عمره، ولم يكن الملك الصليبي وحده الذى أصيب بهذا الوباء، إنما أصيبت به أعداد أخرى من الصليبيين.

اما طرق التداوي والعلاج من هذا المرض، فقد قيل إن ماء دمشق يساعد على مقاومته، بل ويوقف سيره في جسم المريض. وامتد هذا القول ليسرى في مصر أيضا، مما ذكره القز ويني

---

(١)أعراض مرض الجذام: هي عبارة عن حمرة لون الجسم وميله إلى السواد وكمودة العين، وتناثر شعر الحواجب والرموش، وغلظ الشفتين وضيق التنفس، وبحة الصوت، وشدة عرق الجسم، التي تميل الى رائحة النتن، كما يشعر المريض بثقل في جسمه، وجفاف جلده، وتشقق أظافره، ومع ازدياد الحالة سوءا، تظهر بالجسم زوائد جلدية، ويأخذ البدن في التقرح، وتبدأ الأعضاء في التآكل والسقوط انظر: ابن النفيس: الموجز في الطب، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، مراجعة احمد عمار، طبعة القاهرة، ١٩٨٦م، ص٣٠٣، وابن سينا، القانون في الطب، جـ٣، ص١٤٠، ١٤١

(٢)ثابت بن قرة: الذخيرة في علم الطب، طبعة القاهرة، ١٩٨٢م، ص١٣٨، جالينوس: التأتي لشفاء الأمراض، ص٥٠٧، ٥٠٨، ولعل هذا النوع الاول من الجذام يكون هو المقصود عندما اكل النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل المجذوم، أي انه كان به امر يسير لا يعدي مثله في العادة، اذ ليس الجذمى كلهم سواء، ولا تحصل العدوى من جميعهم، بل لا يحصل منه في العادة عدوى أصلا، كالذي أصابه شيء من ذلك ووقف، فلم يعدي بقية جسمه فلا يعدي انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، باب الطب، جـ١١، ص٣١٠.

(٣) ثابت بن قرة: المصدر سابق، ص١٣٨، جالينوس: المصدر سابق، ص٥٠٧.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ١، ق١، ص٧١.

ان هناك عينا بالإسكندرية، يوجد بها نوع من الأصداف، اذا طبخت واكل منها المريض بالجذام يبرأ من مرضه(١).

ولا شك ان المبالغة لها نصيب كبير في هذا القول: بدليل ان المصابين بالجذام من أهالي دمشق والإسكندرية، لم يُشفوا كلهم من مرضهم، بدليل عزلهم في موضع خاص بهم، حتى لا يختلطوا بالأصحاء، ولكن من الراجح ان تكون هذه أشياء تساعد في الشفاء، وليس كل الشفاء، فلا احد ينكر أهمية الهواء المعتدل حينما يستنشقه الإنسان او الشرب من مياه صافية متجددة خالية من الميكروبات والأمراض، وهو ما توافر في هواء دمشق ومائها، ولاشك ان أكل مطبوخ الأصداف يساعد جسم الإنسان وجلده على تعويض ما فقد منه، وهذا رأى ثقاة الأطباء المحدثين.

وثمة قول آخر سرى خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، وقال به أحد أطباء الشام وهو موفق الدين ابن المطران (٢)في شان علاج الجذام بأكل لحوم الأفاعي (٣)،كما أشار الى ذلك ابن البيطار أيضا عند الحديث عن الأفاعي فقال " لحوم الأفاعي لها من قوة التجفيف، ما يفعل هذا الذي وصفته، وتتخذ منها أقراص تلقى منها في الترياق وتسحق وتنعم، وتنخُل ناعما، ثم تلقى في الملح الذي يتأدم به هؤلاء، مع انه لا يسخن قليلا، ويشبه ان تكون قوة هذا اللحم، قوة تبادر الى الصعود إلى الجلد، فتنفض وتدفع منه جميع ما في البدن من الفضل، مراجعة

---

(١) القز ويني: آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة بيروت، بدون تاريخ، ص١٤٧.

(٢) موفق الدين ابن المطران: هو الإمام الحكيم العالم الفاضل، موفق الدين ابو النصر اسعد ابن ابي الفتح الياس بن جرجس المطرانت٥٨٧هـ/١١٩٣م، كان سيد الحكماء وأوحد العلماء، وافرا كثير النعماء، امير اهل زمانه في علم صناعة الطب، وعملها، وأكثرهم تحصيلا لأصولها وجملها، جيد المداواة لطيف المداراة، كان مولده ومنشؤه بدمشق، وكان ابوه أيضا طبيبا متقدما جوالا في البلاد لطلب الفضيلة، وسافر الى بلاد الروم، ثم عدل بعد ذلك الى العراق، واجتمع بأمين الدولة ابن التلميذ ودرس عليه صناعة الطب وقرأ عليه العديد من الكتب الطبية، وصار موسوما بالطب، ثم عاد الى دمشق وبقى طبيبا بها الى ان توفى، وله تصانيف في الطب تدل على فضله ونبله، وخدم بالطب السلطان صلاح الدين وكان صاحب الحظوة عنده، وكان لا يفارقه في سفر او حضر، وقد اسلم ابن المطران، وزوجه السلطان صلاح الدين من إحدى حظاياه واسمها جوزه، وقد توفي ابن المطران في شهر ربيع الأول، سنة سبع وثمانين وخمسمائة ودفن بدمشق انظر: ابن ابي أصيبعة: المصدر السابق، ص٦٥١-٦٥٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، طبعة حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٥١م، جـ٨، ق١، ص٤١١، ٤١٢

(٣) ابن ابي أصيبعة: المصدر السابق، ص٦٥٦.

الأصل مراجعة الأصل غير مفهومة، قد اجتمع في بدنه أخلاط رديئة، ويخرج أيضا من الجلد ويسقط شيئاً شبيها بالقشرة التي في ظاهره، وهى التي فيها خاصية تحبسي وتلحح من الأخلاط، التي يصير الى الجلد ما هو منها غليظ ارضي، ومنها ما يكون الجرب والعلة التي يتقشر معها الجلد والجذام "، "وقد يعمل ملح من لحوم الأفاعي، يفعل فعل الأفاعي، غير انه انقص منه فعلا، بان تؤخذ أفعى حية، وتصير في قدر جديدة ومعها من الملح والشبت والتين من كل واحد، مدقوقا مسحوقا، رطل ونصف مع تسع أواقي عسل، ويطبق فم القدر، وتشوى في آتون، حتى يلتهب الملح ويصير كالجمر، ومن بعد ذلك يسحق وينخل ويخزن، وربما خلط به سنبل الطيب وشيء يسير من ساذج يطيب طعمه" [(١)] وقد ساق ابن البيطار أمثلة كثيرة لأناس أصيبوا بالجذام، ثم انهم تناولوا لحوم الأفاعي، اما بالقصد وإما بالمصادفة، فبرئوا [(٢)] من هذا المرض[(٣)].

كما أن ابن المطران سالف الذكر له قصة طريفة في علاج هذا المرض بلحوم الأفاعي، فيذكر ابن أبي أصيبعة عند ترجمته له ان" أسد الدين شيركوه [(٤)]، صاحب حمص، قد طلب ابن المطران وكنت معه (مهذب الدين بن النقاش) فتوجهنا اليه، فبينما نحن في بعض الطريق، وإذا

---

(١) ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مجلد ١، جـ١، ص٤٨.

(٢) ساق ابن البيطار أمثلة كثيرة نذكر منها: ان رجلا مجذوماً، لم يزل يعيش مع قوم قد الفهم واعتاد معا شرهتم، فلما أَعْدَتْ علته غيره، وسمج الناس نظره،بنى له كوخا يستظل به بالقرب من القرية على تل ليس بالمرتفع على عين ماء، وكانوا يأتونه كل يوم بمقدار ما يكفيه من الطعام، وكان قوم الى جواره يحصدون زرعهم فجاءهم رجل بجرة طيبة الشراب ووضعها لهم ومشى، فلما جاء وقت شربهم،جعل احدهم يصب الشراب في الإناء فسقطت فيه أفعى ميتة، فكرهوا هذا الشراب، وأعطوه لهذا الرجل المجذوم إشفاقا منهم عليه حتى تنتهي معاناته ويموت، فأخذه المجذوم فشربه، فبرأ بضرب عجيب من البرء عن هذه الأمثلة: انظر: ابن البيطار: المصدر السابق، مجلد ١، جـ١، ص٤٦، ٤٧، ٤٨

(٣) ابن البيطار: المصدر سابق، مجلد١،جـ١، ص٤٦، ٤٧

(٤) أسد الدين شيركوه: هو الملك المجاهد اسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي، ولاه الملك الناصر صلاح الدين حمص بعد وفاة ابيه وذلك في سنة ٥٨١هـ، فمكث فيها سبعا وخمسين سنة، وكان من أحسن الملوك سيرة، طهر بلاده من الخمور والمكوس والمخدرات، وهي في غاية الأمن والعدل، ولا يتجاسر احد من العرب والفرنج ان يدخل بلاده، كان ملوك بني ايوب يتقونه لأنه يري انه أحق بالأمر منهم، لان جده هو الذي فتح مصر وأول من ملك منهم وتوفي بحمص سنة ٦٣٧هـ وعمل عزاءه بدمشق انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٧٧

رجل مجذوم استقبله، وقد قوى به المرض حتى تغيرت خلقته، وتشوهت صورته، فاستو صف منه ما يتناوله، وما يتداوى به، فبقى كالمتبرم من رؤيته، وقال له: كل لحوم الأفاعي، فعاوده في المسألة فقال، كل لحوم الأفاعي فإنك تبرأ، قال ومضينا الى حمص وعالج المريض الذي راح بسببه الى ان تماثل وصلح، ورجعنا، فلما كنا في الطريق، واذا بشاب حسن الصورة كامل الصحة قد سلم علينا وقبل يده، فلم نعرفه، وقال له: من أنت ؟ فعرفه بنفسه وقال انا صاحب المرض الذي كان قد شكاه اليه، وانه لما استعمل ما وصفه له صلح به من غير ان يحتاج معه الى دواء آخر، فتعجبنا من ذلك في كمال برئه وودعنا وانصرف "[1]ولو نظرنا الى هذه الرواية لوجدنا انها لا تنطبق على كل مجذوم، فهناك عوامل اخرى تتعلق بالمجذوم نفسه وطبيعة تكوينه، وقدرته النفسية والبدنية على مقاومة المرض، ومدى تمكن المرض من المريض والأطعمة والأشربة التي يتناولها المريض، والبيئة التي يعيش فيها المريض، هذه العوامل مجتمعة لاشك انها تؤثر في عملية الشفاء، ولو كان غير ما اشرنا اليه لأسرع كل مجذوم بأكل لحوم الأفاعي فيشفى فما يبقى مجذوم واحد على ظهر الارض، ولكن ذلك لم يحدث.

الا ان أفضل طريقة لعلاج مرض الجذام، والتي كانت تعطي نتائج باهرة، وهي الفصد، ويكون ذلك قبل استفحال المرض وتمكنه من جسم المريض[2].

– البرص[3]:

وهو من الأمراض الجلدية، والفرق بين البرص وبين الجذام هو أن البرص لا يؤدي الى تآكل الأعضاء وتساقطها، كما يفعل مرض الجذام، كما أن البرص لا ينتقل من شخص لآخر كما

---

(١) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص٦٥٦.

(٢) والفصد يكون في اليدين والرجلين، وخلف الأذنين، على ان يخرج الطبيب للمجذوم، الدم الكثير، ثم يغذى بأغذية ومشروبات خفيفة مرطبة ومسهلة، ويلتزم المريض بالراحة، واخذ الحمام، مع عدم البقاء به مدة طويلة انظر: مجهول، رسالة في علم الفصد، مخطوط سابق ورقة ٥، ابن سينا: القانون، جـ٣، ص١٤١، ١٤٢، ابن قرة: المصدر السابق، ص١٣٨، ١٣٩

(٣) البرص: برصا – ظهر في جسمه البرص، فهو أبرص، وهي برصاء، والجمع بُرص، وهو بياض يقع في الجسد لعلة انظر: المعجم الوجيز، ص٤٥

ينتقل الجذام [١]،وقد يصاحب في بعض الأحيان مرض الجذام مرض البرص، فيقال عن هذا المريض بأنه مجذوم وذلك من باب التغليب، لان الجذام أقوى من البرص، ومن ذلك قولهم ان بلدوين الرابع، ملك بيت المقدس (٥٧٠-٥٨١هـ/١١٤٧-١١٨٥م) أصيب بالبرص وهو صبي صغير لم يتجاوز التاسعة من عمرة، واستمر يعاني من هذا المرض حتى اقترب من سنوات الشباب والنضج، فأصيب بالجذام،لذلك عرف هذا الرجل باسم المجذوم، ولم تذكر المصادر أنه اصيب به أحد من المسلمين لا في العصر الأيوبي ولا في العصر والمملوكي [٢]،وقد عرف أطباء العصرين الأيوبي والمملوكي نوعا من النبات يعرف باسم آطريلال [٣] يساعد بدرجة كبيرة في علاج مرض البرص.

وعن ذلك يقول ابن البيطار[٤] " بزره هو المستعمل منه خاصة في المداواة، وينفع من البهق، والوضح نفعا بيناً شربا، وأول ما ظهرت منفعة هذا الدواء واشتهرت بالمغرب الاوسط من قبيلة من البربر تعرف باسم بني ابي شعيب من بني وجهان من أعمال بجاية، وكان الناس يقصدونهم لمداواة هذا المرض، وكانوا يضنون بها ويخفونها عن الناس، ولا يعلمون بها الا خلفاً عن سلف، الى ان اظهر الله عليها بعض الناس فعرفها وعرفها لغيره، فانتشر ذكرها وعرف بين

---

(١) احمد عبد الفتاح علي: الأمراض الجلدية وطرق علاجها في ضوء السنة النبوية، مكتبة المنصورة الطبعة الأولى، ١٩٨١م، ص٢٨

(٢)سعيد احمد برجاوى: الحروب الصليبية في الشرق، طبعة بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٧٠ الى ٣٧٥.

(٣) آاطريلال: هو اسم بربري، وتأويله رجل الطائر، أوله ألفان، الأولى منها مهموزة ممدودة، وطاء مهملة مكسورة، وراء مهملة مكسورة أيضا، ثم ياء منقوطة ساكنة بعدها لام ألف ثم لام، وهذا النبت يعرف في الديار المصرية باسم رجل الغراب، وبعضهم يعرفه باسم جزر الشيطان ايضا، وهو نبات يشبه الشبت في ساقه وحمته واصله، غير ان حمة الشبت زهرها اصفر وهذا النبات زهره ابيض، ويعقد حبا على هيئة اصغر من حب البقدونس او كبزر النبات الذي يعرف ايضا في مصر بالخلة، غير انه اطول منه بقليل، واصغر جرما، وفيه = حرارة وحرافة، ويسير مرارة وهو عند ذوقه يحذي اللسان انظر: ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مجلد ١، جـ١، ص٤ .

(٤) وقد نقل ابن البيطار عن الشريف قوله:" ان بزرة الحشيشة المسماة آاطريلال، اذا اخذ منه جزء ونصف جزء، ويؤخذ من سلخ الحمية وورق السذاب جزء، ويسحق الجميع ويُسف لمدة خمس ايام، في كل يوم ثلاثة دراهم، بشراب عنب فيه شفاء من البرص، مجرب لا سيما اذا وقف شاربه في الشمس حتى يعرق، واذا سحق بزر هذه الحشيشة، ونخل وعجن بعسل منزوع الرغوة، ويستعمل لعوقا وشرب منه كل يوم مثقالان بماء حار، خمسة عشر يوما متوالية اذهب البرص لا محالة " انظر: ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مجلد ١، جـ١، ص٥.

الناس عظم نفعها، ويستعمل على انحاء شتى، فمنهم من يسقى منه بمفرده، ومنهم من يخلط بوزن درهم منه وزن ربع درهم من العاقر قرحا ويسحق الجميع ويلعق بعسل النحل، ويقعد الشارب له في شمس حارة مكشوف المواضع البرصة للشمس ساعة او ساعتين حتى يعرق، فان الطبيعة تدفع الدواء بأذن خالقها عز وجل الى سطح البدن من المواضع البرصة، فينفطها ويقرحها، ولا يصيب ذلك شيئا من المواضع السليمة من البرص اصلا، فاذا تفقأت تلك النفاطات وسال منها ماء ابيض الى الصفرة قليلا، فلينزل سريعا حينئذ الى ان تندمل تلك القروح، ويبدو لك تغير لون الموضع الابيض، الى لون الجلد الطبيعي، وخاصة ما كان من هذا المرض في المواضع اللحمية اقرب الى المداواة، وأسهل انفعالا مما يكون منه في مواضع عريه عن اللحم[1].

ويشير ابن البيطار الى انه قد جربه شخصيا، أي انه لم ينقل عن السابقين له فقط، بل انتقل به الى ميدان التجربة المعملية، وفي ذلك يقول " وقد جربته غير مرة فصح، فحمدت أثره وهو سر عجيب في هذا المرض، وقد رأيت تأثيره مختلفا، ففي بعض يسرع انفعاله فيه في أول دفعة من شربه او دفعتين أيضا، وفي بعض أكثر من ذلك ولا يزال يسقى العليل منه، كما قد بينا آنفا، وتقعده في الشمس مرة وثانية وثالثة إلى ان ينفعل بدنه ويتبين لك صلاحه "اما عن أفضل أوقات تناوله فيشير الى ذلك بقوله " وخير أوقات شربه،بعدما يجب تقديمه من استفراغ الخلط الموجب لذلك المرض في أيام الصيف، او في وقت تكون الشمس فيه حارة "،ويبدو ان هذا الدواء كان هو الأكثر استعمالا في علاج مرض البرص، خلال عصري الدولة الأيوبية والمملوكية.

أما طرق العلاج من هذا المرض،فكانت على نوعين، الأول: عن طريق تناول الأدوية والأغذية التى تخفف منه [2] والثانى علاج جراحى، يعتمد على الفصد، وكانوا يلجأون إليه فى حالات معينة، كان لم يظهر الطفح الجلدي على الجسم كله عقب الحمى، أو إذا وجد الطبيب غلبة الدم على المريض فيفصده فى الكاحل ويخرج له من الدم مقدار الحاجة، أو ما تحتمله قوة

---

(١) ابن البيطار: الجامع لمفردات الادوية والاغذية، مجلد ١، ج١، ص ٣، ٤.

(٢) ثابت بن قره: المصدر السابق، ص ٦٥، ومن هذه الأدوية، دخان نبات الآثل قال عنه ابن البيطار: ينفع الجدري والموم أنظر: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مجلد ١، جـ١، ص ١٢

المريض[١] ،أما إذا كان المريض صبياً صغيراً فيحجم [٣]فى الكاحل والساقين ويخرج له الدم بوفرة[٢].

– **مرض الجدري**[٣]:مرض الجدري من الإمراض التي وجدت لها بيئة مناسبة في مصر والشام، وهو من الأمراض المتوطنة التي تظهر بكثرة في البلاد الحارة الرطبة.

اما أسباب ظهور هذا المرض فتكمن في هبوب الرياح المحملة بالجراثيم وأبخرة هذا المرض من الأماكن الموبوءة إلى الأماكن الصحيحة، وهذا سبب طبيعي، وله أسباب أخري منها: سبب لا إرادي داخل جسم الإنسان هو: فوران الدم بالجسم نتيجة لقيام الطبيعة – وهي القوة المدبرة للأجسام والماسكة لصورها- بدفع الدم الفاسد فيظهر على هيئة الجدري، او سبب إرادي يتعلق بنوع الأطعمة التي يتناولها الإنسان، فالإكثار من الأطعمة الحارة المرطبة مثل اللحوم والتمور والألبان والحلوى بمختلف أنواعها، هذه كلها أسباب تؤدي الى الإصابة بهذا المرض.

وهذا المرض من الامراض المعدية التي يكثر انتشارها بين الأطفال، لا سيما في فصل الربيع، وان كان بعض الكبار يصابون به ايضا، خاصة الشباب وممن اصيب بهذا المرض من الشباب في العصرين الأيوبي والمملوكي الملك الكامل بن العادل سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م ولكنه شفي منه تماما[٤].

---

(١) مجهول: رسالة فى علم الفصد، مخطوط سابق ورقة ٤، ٥.

(٢) الحجامة: تكون سبباً فى نقاء الجلد، وتستخرج الدم الرقيق أكثر من الغليظ، وتحدث في العضو المحجوم ضعفاً، ويؤمر بإستعمال الحجامة لا فى أول الشهر لأن الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت، ولا فى آخره لأنها تكون قد نقصت بل فى وسط الشهر لأن الاخلاط تكون هائجة بالغة فى تزايدها لتزايد النور فى جرم القمر أنظر: مجهول: الفصد والحجامة، مخطوط سابق، ورقة ٧، ابن سينا: المصدر السابق، ص ٢١٢، ابن قيم الجوزية: الطب النبوي، ص ٣٨ .

(٣)مجهول: رسالة فى علم الفصد، مخطوط سابق، ورقة ٤، ٥.

(٤)الجدري: حمى معدية،تتميز بطفح حليمي على الجلد،يتقيح ويعقبه قشر، والجدرة،ندبة نما نسيجها وارتفع عن الجلد والذي أصابه الجدري يقال له مجدر انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ص٩٥.

(٥)ابن ايبك الدر المطلوب في اخبار ملوك بني ايوب، تحقيق سعيد عاشور، طبعة القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧٢م، جـ٧، من كنز الدر وجامع الغرر، ص١٤٨، وكان عمر الملك الكامل حينما أصيب بمرض الجدري أربعة وعشرون عاما، لأنه ولد في عام ٥٧٣هـ، وأصيب بهذا المرض عام ٥٩٧هـ انظر: الحنبلي: شفاء القلوب، ص٢٩٧

والمعروف عن مرض الجدري ان له عدة أشكال، منها الخطر، ومنها الأقل خطورة، فأما الخطر فيظهر قبل الحمى ببطء في الأجزاء الباطنة من الجسم، ويكون لونه بنفسجي يميل الى السواد، غير منتظم الشكل، له رؤوس سوداء يابسة صغيرة الحجم، كثيرة العدد متصلة ببعضها[1].

وأما النوع الأقل خطورة وهو الذي يظهر مباشرة عقب الحمى،ويكون في الأجزاء الظاهرة من الجسم، ويكون احمر اللون مستديرا، كبير الحجم قليل العدد، متباعد عن بعضه سريع التقيح.

ولهذا المرض جملة من الأعراض، فإذا أظهرته هذه الأعراض على شخص ما، فهو دليل على إصابته بمرض الجدري، وهي عبارة عن حمى تصيب الشخص مع احمرار في الوجه والعينين والميل الى العطاس، وحك الأنف، ووجع الحلق، والشعور بآلام في الظهر، ورعشة مع ثقل في البدن، ولتخفيف الأعراض الناجمة عن مرض الجدرى للمصابين به،أوصى الأطباء بعلاج الحلق وغرغرته بالقوابض وعلاج العين، والاهتمام بالنظافة وتطهير الأجزاء المصابة من جسم المريض، ومن الأمراض التى كان يحدث الخلط بينها وبين مرض الجدرى مرض الحصبة، وذلك لتشابه الأطوار الأولى للمرضين، فالحصبة تأتى أيضاً نتيجة لهبوب الرياح المحملة بميكروب المرض لاسيما فى فصل الصيف، وقد أشار الأطباء المسلمون إلى الأعراض التى تصاحب مرض الحصبة وتتمثل هذه الأعراض بارتفاع شديد في حرارة المريض، واحمرار العينين، وكثرة سيلان الدموع منها، وانتفاخ الوجه والأصداغ، وجفاف اللسان، ووجود آلام بالحنجرة والصدر، ومع ظهور هذه الأعراض وتراجع حدة الحمى يبدأ ظهور الطفح الأحمر على الجلد، وهو سطحى ليس له عمق أو نتوء وهذا اسلم الأنواع.

أما اشد أنواع الحصبة،فهو ما كان طفحه داخل الجوف، وهو ما ينشأ عنه فى الغالب النزيف المعوى وقد يؤدى إلى الوفاة.

---

(١)الذهبي: الطب النبوي، ص١٣٢، ١٣٣.

وثمة نوع آخر ردئ،إلا أنه أقل من سابقه، وهو ما يظهر ببطء ويميل لونه إلى السواد او الخضرة،وقد انقسم العلاج من مرض الحصبة إلى قسمين:القسم الأول علاج بالأغذية والأدوية، وذلك عن طريق الشراب والغذاء والإكثار من تناول المبردات والمسهلات[١].

واما القسم الثاني: فهو علاج بالفصد، ويكون في المرحلة التي لا يستطيع الغذاء والدواء فيها إسعاف المريض، فإذا كان المريض صغيراً فيحجم فى الساقين والأذنين والكاحل [٢]وكان ينبه على المريض بهذا المرض أن يتجنب الهواء البارد، وذلك لأن البرد يسد مسام الجلد، فيحول دون خروج الفضل من جسمه فتكون النهاية ولكن لم تشير المصادر التاريخية الى اصابات بين الصليبيين.

-القولنج:

ويعد مرض القولنج واحداً من الأمراض التى أنتشرت خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، وهو مرض معوى مؤلم يتعسر معه خروج ما يخرج بالطبع، والسبب فيه فى الأمعاء الغلاظ، ويعدون من أسبابه الريح المعترضة، والإلتواء، والفتق، والديدان، والبراز اليابس، وزخير المستقيم وورمه، وقد ينشأ بالمشاركة مع أمراض الكبد او المثانة أو الكلى.

أما أنواع مرض القولنج، فهناك نوع يعرف بأسم القولنج البلغمى، وآخر يعرف باسم القولنج الريحى، ويشبهان إلى حد كبير ما نسميه الآن باسم تقلص القولون العصبي، وثمة نوع آخر يعرف باسم القولنج الورمي، ويغلب على الظن انه أطلق على ما نسميه الآن التهاب الزائدة الدودية، ومن علاماته: وجع متعدد ثابت فى موضع واحد، مع ثقل وضربات، ومع التهاب وحمى حادة، وعطش شديد، وحمرة فى اللون واحتباس فى البول، وربما أحمر ما يحاذيه من البطن، ولمرض القولنج جملة من الأعراض والعلامات[٣].

---

(١) قال ابو عبد الله المازرى: الأمراض أما أن تكون دموية أو صفراوية، أو بلغمية، او سوداوية، فإن كانت دموية فشفاؤها إخراج الدم، وإن كانت من الأقسام الثلاثة الباقية فشفاؤها بالاسهال الذى يليق بكل خلط منها، والعسل خير المسهلات، كما فيه من الانضاج والتقطيع والتلطيف، والجلاء والتلبين، فيحصل بذلك استفراغ تلك المادة برفق وأمن من نكاية المسهلات القوية انظر: ابن قيم الجوزية: الطب النبوي، ص ٣٥، ٣٦

(٢) مجهول: مخطوط الفصد والحجامة، ورقة ٤٤ إلى ٤٧.

(٣) استفاض الأطباء المسلمون فى شرح علامات مرض القولنج وأعراضه، ويبدو أنه كان مرضاً شائعاً بينهم، بل قيل إن ابن سينا نفسه قد مات بهذا المرض، فمن اهم علامات القولنج: القراقر، وتتولد من النفخ، والنفخ يكون إما من

استفاض الأطباء المسلمون فى شرحها، ومن أشهر من أصيب بمرض القولنج خلال العصر الأيوبي: الملك الصالح اسماعيل ابن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بن أق سنقر صاحب حلب، وكان لما اشتد به مرض القولنج، وصف له الحكماء قليل خمر" فقال: لا افعل حتى أسأل الفقهاء، فسأل فقهاء الشافعية، فأفتوه بالجواز، فلم يقبل وقال: إن الله تعالى قرب أجلى، أيؤخره شرب الخمر ! قالوا: لا، قال: فو الله لا لقيت الله وقد فعلت ما حرم على، فمات ولم يشربه"، وكان ذلك فى سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م [١].

وممن أصيب بالقولنج أيضاً الشيخ أبو المظفر، وهو من أفاضل الشام، ويقول عن ذلك " وأصابنى قولنج عانيت فيه شدة، فدخل على أبو عمر [٢]، وبيده خْروب شامي، وكان عندى جماعة فقالوا: هذا يزيد فى القولنج ويضره، فما التفت إلى قولهم، وأخذته من يده فأكلته فبرئت فى الحال [٣].

________ =

أغذية مولده للرياح، أو من ضعف الهضم، وإذا لم يكن فى طاقة المعدة والأمعاء، دفع هذا النفخ بالحشاء، أو الرياح الخارجة من أسفل هاجت قراقر، وهذه تدل بنوع صوتها على موضعها، فالأصوات الحادة تكون فى الأمعاء الدقاق، وكلما انحط نحو المعى الواسع كان ما يسمع من صوته أقل، والأصوات التى تكون فى الأمعاء الغلاظ، إذا كانت خالية من الفضول تكون هائلة، فإن خالط الريح رطوبة لم يكن الصوت صافياً، وقد يكون بقبقبة وأما النوع الثانى من العلامات فيعرف باسم البنادق، وهو براز محتبس يابس، كالبعر الكبير أو الصغيرة، ومما يهيئ الأمعاء للقولنج الريحي، البقول والفواكه الرطبة، والشراب الكثير المزاج أنظر: محمد كامل حسين وآخرون: الموجز في تاريخ الطب والصيدلية عند العرب،المنظمة العربية للثقافة والعلوم،وادار الثقافة: الجماهيرية العربية الليبية،بدون تاريخ،ص ٦٧، ٦٨

(١) ابن تغري بردى: المصدر السابق، جـ٦، ص ٨٦

(٢) هو الشيخ أبو عمر شيخ الصالحية والمقادسة الزاهد العابد واسمه: محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه، ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بقرية الساويا عن أعمال نابلس، وكان معتدل القامة، حسن الوجه، عليه أنوار العبادة، نحيل الجسم من كثرة العبادة والصيام، قرأ القرآن بحرف ابى عمرو، وحفظ مختصر الخرقى فى الفقه، وقرأ النحو على ابن برئ بمصر، وسمع الحديث بدمشق ومصر، وكتب الحلية لأبى نعيم وتفسير البغوى والمغنى لأخيه الموفق، والابانة لابن بطه، وله من الكتب الكثير، فقد أظهر من الزهد والتقشف والعبادة الكثير، ومأثرة أكثر من أن تحصى انظر: أبو شامة المقدسى: الذيل على الروضتين:، ص ٧١ . ٧٥، ابن كثير:مصدر سابق، جـ ١٣، ص ٧١، ٧٢، ٧٣.

(٣) ابو شامة: الذيل على الروضتين، ص ٧٢.

ويبدو أن الشيخ أبو عمر السالف الذكر كان على علم بالأدوية، والأعشاب، ومما يدل على ذلك قول الشيخ الجمال البصراوى الواعظ: "وأصابنى قولنج فى رمضان، فاجتهدوا أنى أفطر، فلم افعل، فصعدت إلى قاسيون فقعدت موضع الجامع اليوم، وإذا أنا بالشيخ ابى عمر، قد أقبل من الجبل وبيده حشيشه: فقال شم هذه تنفعك فأخذتها وشممتها فبرئت" (١).ولم تسجل المصادر التاريخية اصابت الصليبين بهذا المرض.

ومن أشهر الأمراض الباطنية أيضاً مرض الذرب (٢)، ويكون نتيجة لتلوث الطعام الذى يتناوله الإنسان، أو وجود الديدان بالمعدة والأمعاء، وقد يسبب الكثير من الآلام (٣).

أما الأدوية المستعملة فى علاجه، فقد أشار بن البيطار إلى مجموعة من النباتات والأدوية المستخدمة لذلك منها، نبات الحزاءه (٤)، ونبات الحسك (٥)، والحلزون(٦) .

---

(١) ابو شامه: الذيل على الروضتين، ص ٧٢، ٧٣.

(٢) مرض الذرب: هو استطلاق البطن، وذلك بأن يخرج الإنسان ما يأكله من الطعام سريعاً كمثل هيئته عندما أكل انظر: جالينوس: كتاب جالينوس إلى اغلوقن فى التآتى لشفاء الأمراض، شرح وتلخيص حنين ابن اسحق، تحقيق محمد سليم، طبعة القاهرة، ١٩٨٢م،ص ٢٣٣ . ٢٣٤.

(٣) محمد كامل حسين وآخرون: الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص ٧١.

(٤) نبات الحزاءه:" هو اسم لنبته جزرية الورق إلى البياض، منها ما هي أصلها ابيض جزرى الشكل إلى الطول، وما هو طعمه بيسير حرافة، وساقه فى غلظ الإصبع، ويتفرق فى أعلاه إلى اغصان دقاق متشعبة عن اكلة كزبرية الشكل إلى الصفرة، ما هي أكبر من الكزبرة فيها مشابهة من أكلة الجزر البرى، يخلف بزراً عريضاً مزوى الشكل... والبزر منه معروف ببغداد بهذا الاسم وببلاد المشرق،... وهو يسخن المعده ويطرد الريح.. وهو نافع لأصحاب الرياح الغليظة والمبلغمين وأصحاب الجشاء الحامض" أنظر: ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مجلد ١، جـ٢، ص ١٩.

(٥) نبات الحسك: تسميه عامة المغرب بالأندلس حمص الأمير، وهو صنفان أحدهما برى ينبت فى الخربات، وعند الانهار، وورقه شبيهة بورق البقلة الحمقاء، إلا أنه أدق منه، وله قضبان طوال منبسطة على الأرض، وعلى الورق شوك مازز صلب،والصنف الآخر ينبت على الأنهار، وقضبانه مرتفعة على الارض، خفى الشوق عريض الورق، وله قضبان طوال منها الورق، وساق طرفها الأعلى أغلظ من الطرف الأسفل، وعليه شئ نابت فى دقة الشعر، مجتمع شبيه بسفا السنبلة، وثمره صلب، مثل الصنف الآخر،... وهو ينفع من القولنج وكل ما يفعله بزره يفعله عصير ودقة إذا شرب رطباً، أو جفت عصارته واستعملت أنظر: ابن البيطار: المصدر سابق، مجلد ١، جـ٢، ص ٢٠، ٢١

(٦) الحلزون: قيل هو حيوان، وقبل هو صنف من ذوات الصدف وهو الحلزون البرى، ومنه نوع آخر وهو الحلزون البحرى.......... وإذا دقت كما هى بأغطيتها وسحقت وشربت بخمر وشئ يسير من مر أبرأت أصحاب القولنج، وأصحاب أوجاع المثانة أنظر: ابن البيطار، المصدر السابق، مجلد ١، جـ٢، ص ٢٩

والحنظل [١] والحرمل [٢].وقد كان بعض الأطباء يلجأون الى تسكين الوجع من خلال استخدام المخدر، مثل شرب الخمور وغيرها [٣]، ولكن هذا ليس بعلاج حقيقي، ولكن العلاج الحقيقي هو قطع السبب، والتخدير تمكين لسبب، وابطال للحس به،كما أن شرب المسهلات من فوق أمر فى غاية الخطورة، لأنه إذا شرب الدواء من فوق استفرغ لا من المعدة والأمعاء وحدهما بل من مواضع اخرى لا حاجة بها إلى الاستفراغ بها البته، وذلك يورث ضعفاً لا محالة، ويفضل فى ذلك الحقن [٤].

أما الحقن فكان يتم عن طريق إدخال الخنصر فى المقعدة، ثم يتم دفع الأنبوبة دفعاً لا يوافى محبساً من الأمعاء، بل لا يجاوز المعى المستقيم، ويحقن العليل مستلقياً أو باركاً أو مضجعاً على اليسار، والحقن باركاً أوصل للحقنة إلى معاطف الأمعاء [٥].

– أمراض العيون:

لاشك أن طبيعة المناخ فى مصر والشام، أحد العوامل المساعدة على ظهور أمراض العيون بها [٦]، وهذا ولم تشر المصادر التاريخية إلا لبعض الحالات الفردية التى اصيبت بأمراض العيون

---

(١) الحنظل: وهو نبات يخرج أغصاناً وورقاً مفروشة على الأرض شبيهة بأغصان ورق القثاء البنستانى، وورقه مشرف، وله ثمرة مستديرة، شبيهة بكرة متوسطة فى العظم، مرة شديدة المرارة، وينبغى أن يؤخذ من شجرتها ويجمع إذا ابتدأ لونها يستحيل إلى الصفرة،... والثمرة كما هى إذا جففت وسحقت وخلطت ببعض أدوية الحقن، نفعت من عرق النسا، والفالج، والقولنج وأسهلت بلغماً أنظر: ابن البيطار: المصدر سابق، مجلد ١، جـ٢، ص ٣٦

(٢) الحرمل: نوعان، نوع منه ورقه مثل وق الخلاف وله نور مثل نور الياسمين، سواء ابيض طيب يريب به السمسم، والسوع وهو حب البان، وليست رائحته مثل رائحة الزيتون، وحبه فى شنفه مثل شنفه العشرق، والنوع الآخر هو الذى يقال له بالفارسية الاسفنذ، وشنفه هذا مدوره، وشنفه ذاك طوال والشنفة هى الأوعية التى يكون فيها حبها ويخرج حبه القرع، وينفع من القولنج وعرق النسا ووجع الورك.. أنظر: ابن البيطار: المصدر سابق، مجلد ١، جـ ٢، ص ١٤، ١٥

(٣) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، جـ٦، ص ٨٩

(٤) محمد كامل حسين وآخرون، الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص ٦٩، ٧٠، ويفضل الحقن لأنه ربما كانت السدة قوية، فإذا توجه إليها خلط من فوق فربما لم تجد منفذاً، ويؤدى إلى خطر عظيم، وينصح مريض القولنج الريحي أن يجرب أشكال الاضطجاع والاستلقاء والانبطاح أيها أوفق له وأدفع للريح أنظر: المرجع نفسه، ص ٧٠.

(٥)محمد كامل حسين وآخرون: المرجع سابق، ص ٧٠.

(٦) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب، طبعة القاهرة، ١٩٥٦ م، ص ١٩

خلال تلك الفترة فقد اهتم العرب بها كثيراً، وصنفوها إلى أنواع واقسام عديدة، وعالجوها بعناية ودقة فائقة واستخدموا عدة طرق في علاجها، واهتموا بأنواع الكحل الخاص بالعين وجراحتها، واستخدموا الأدوات اللازمة لذلك.

عالج العرب مرض الرمد(١)،بأنواعه المختلفة، الرمد الحبيبي والرمد العادي، واستخدم الماء البارد في علاج العين من الرمد، وان لا يشم المريض شيئا حاراً، ولا يأكل مالحاً ولا حامضاً، ويجب على أن يتوقى ويتجنب الغبار والدخان والشمس والسراج، وضمدوا العين والجفون بورق الخشخاش وقشره بعد طبخه، واستخدموا حب الأس بعد طحنه ومزجه مع دهن خاص وخلطه بمخ الضأن لتسكين الآم العين.

ومن أطباء العيون رشيد الدين علي بن حليقة توفي حوالي (٦١٥هـ/١٢١٨م) رئيس الاطباء في مصر والشام، الذي داوى العديد من المرضى الذين أصيبوا بالعمى، فعاد إليهم البصر (٢)، والطبيب ابن أبي اصيبعة (٣).

ومن أطباء العيون المشهورين في عهد المماليك الطبيب علي بن عبد الكريم بن طرخان (ت٧٢٠هـ/١٣٢٠م)، والطبيب علاء الدين الكحال الصفدي (ت٧٢٠هـ/١٣٢٠م) الذي صنف كتاب القانون في أمراض العيون (٤)،وتحدث الاطباء عن أمراض العين مثل كثرة نزول النوازل منها مثل الدمع، ومرض الوردنيج الذي يصيب عيون الصبيان ويسبب تشقق الجفون وخروج الدم منها وهي الزيادة في ملتحمة العين، والسبل والحوال وغيرها من أمراض العيون (٥)، وقد برع الأطباء العرب في جراحة في جراحة العين، فاستخرجوا منها الجريم العدسي والشفاف وأزالوا الظفرة منها وشقوا الجفن ومارسوا ما يسمي اليوم بعمليات التجميل الخاصة

---

(١) هو التهاب حاد معدي يصيب العين يتميز بوجود حبيبات دقيقة على الملتحمة والجفون والقرنية، تسبب التضخم الداخلي للجفون وعتمات قد تؤدي للعمي،عبد الحسين بيرم:الموسوعة الطبية العربية،بغداد، العراق،دار القادسية،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م،ص ١٦٦-١٦٧.

(٢)ابن أبي أصيبعية: عيون الأنباء،ص٧٣٩-٧٤١.

(٣)ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء،ص٥من المقدمة.

(٤) احمد عيسي: معجم الاطباء القاهرة،مصر ١٣٦١هـ/١٩٤٢م ،ص٣١٠.

(٥) احمد عيسي:معجم الاطباء،ص٢٨٧.

بجراحة العيون ووصفت العين وأجزائها بدقة متناهية واستخدمت أدوات الحديد في علاج العين بالجراحة (١).

وعرف طائفة من أطباء العيون بالكحالين،اهتموا بتصنيع الكحل وتصنيفه لأنواع متعددة حسب استخداماته لأمراض العيون، ومنهم الطبيب الكحال سديد الدين بن رقيقة أبو الثناء محمود بن عامر الشيباني الذي ولد سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م)، وله معرفة في جراحة العين وتميز باستخدام أدوات الحديد في مداواة أمراض العين بالجراحة، وخاصة قدح الماء النازل في العين وإخراجه منها (٢).

وتمت مراقبة الكحالين بدقة من قبل المحتسب، وفحصت أدواتهم والكحل الذي يستخدمونه،وتم فحصهم بالعلم النظري ومن خلال كتاب حنين بن إسحاق العشر مقالات في العين،وعدد طبقات العين،وبشكل عملي من خلال فحص أدواتهم وطرق معالجاتهم للناس وحذر من الكحالي الطرقات لأنه لا يوثق بهم، وأمر الناس بالابتعاد عنهم والاعتماد على الكحالين الأطباء وخاصة الموجودين داخل البيمارستانات (٣).

-أمراض الفم والأسنان:

يعتبر الفم المدخل الطبيعي لجسم الإنسان، فعن طريقه يعبر الغذاء والشراب إلى الجوف، فإن كان الفم والأسنان بهما أمراض فلا شك أن ذلك يؤثر على باقي أجهزة الجسم.

ومن ذلك أن الإنسان إذا أقدم على خلع أحد أسنانه، فى حالة وجود عفن فى عظم الفك، فقد يلحق به الضرر، لأن ذلك من شأنه أن يهيج الوجع الشديد، وربما يهيج وجع العين والحمى.

وقد كان لأطباء في العصرين الأيوبي والمملوكي دور مهم فى طب الأسنان وتشريح عظام الفك، ومن ذلك الطبيب عبد اللطيف البغدادي (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م)يقول:" إن ما

---

(١) ابن أبي اصيبعة:عيون الأنباء،ص٤٢٧.

(٢)ابن أبي اصيبعة:عيون الأنباء،ص٧١٧،احمد عيسي بك: البيمارستانات في الاسلام، بيروت،لبنان، دار الرائد العرابي،ط٢، ١٤٠١ه/ ١٩٨١م، ص٢١٩-٢٢٠.

(٣) الشيرزي: عبد الرحمن بن الشيرزي،ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م،نهاية الرتبة في طلب الحسبة،تحقيق السيد الباز العاريني،بيروت،لبنان، دار الثقافة، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م،،ص٩٩-١٠٢، حنيفة الخطيب،الطب عند العرب،بيروت،لبنان،دار الأهلية،١٤٠٦ه/١٩٨٦م،ص٢٧٩-٢٨٠.

تراه أعيننا أصدق بكثير مما نقرأه، لقد علمنا جالينوس أن الفك الأسفل مؤلف من قطعتين من العظم يجمع بينهما تدريز، ولكنا فحصنا اكثر من ألفين منها، ولم نجد فكاً سفلياً واحداً له عظمتان، إنه عظمة واحدة دون تدريز "(١)،الذى عمد إلى ممارسة التشريح عملياً، لاسيما تشريح الفم: فيقول عن ذلك:"ومن عجيب ما شاهدنا أن جماعة ممن ينتابني فى الطب وصلوا إلى كتاب التشريح (لجالينوس) فكان يعسر أفهامهم لقصور القول عن العيان، فأخذنا أن بالمقس تلاً فيه رمم كثيرة، فخرجنا إليه، فرأينا تلاً من رمم له مسافة طويلة يكاد يكون ترابه أقل من الموتى به، ما يظهر منهم للعيان بعشرين الفا فصاعداً، وهم على طبقات فى قرب العهد وبعده، فشاهدنا من شكل العظام وتناسبها وأوضاعها، ما أفادناً علماً لا نستفيده من الكتب إما أنها سكتت عنها، أو لا يفى لفظها بالدلالة عليه، أو يكون ما شاهدناه مخالفاً لما قيل فيها، والحسن أقوى دليلاً من السمع، فإن جالينوس، وإن كان فى الدرجة العليا من التحرى والتحفظ فيما باشره ويحكيه، فإن الحس اصدق، ثم بعد ذلك يتخيل لقوله مخرج إن أمكن"،ثم يشير البغدادى إلى ما إكتشفه بشأن عظام الفك الأسفل فيقول"فمن ذلك عظم الفك الأسفل، فإن الكل قد أطبقوا على أنه عظمان بمفصل وثيق عن الحنك، وقولنا (الكل) إنما نعنى به هاهنا جالينوس وحده، فإنه هو الذى باشر التشريح بنفسه، وجعله دأبه ونصب عليه وصنف فيه عدة كتب، معظمها موجود لدينا، والباقي لم يخرج إلى لسان العرب، والذى شاهدناه من حال هذا العضو، أنه عظم واحد، وليس فيه مفصل ولا درز أصلاً، واعتبرناه ما شاء الله من المرات فى أشخاص كثيرة تزيد عن ألفى جمجمة بأصناف الإعتبارات، فلم نجده إلا عظماً واحداً من كل وجه، ثم أننا استعنا بجماعة مفترقة اعتبروه بحضرتنا وفى غيبتنا فلم يزيدوا

---

(١)ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء،ص٦٨٧٩ ،زيغريد هونكة:شمس العرب تسطع على الغرب،ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي،مراجعة فاروق عيسي،بيروت، لبنان،المكتب التجاري،ط١٣٨٨،٢هـ/١٩٦٩م ص٢٧٠.

على ما شاهدوه منه وحكيناه" [١]،كما يشير أيضاً إلى درجة عالية من التحرى والدقة بشأن التحقق من عظام الفك الأسفل لذلك يقرر الإنتقال إلى مدافن أخرى، وعن ذلك يقول " ثم إنى إعتبرت بمدافن بوصير القديمة، المقدم ذكرها . فوجدته على ما حكيت ليس فيه مفصل ولا درز، ومن شأن الدروز الخفية والمفاصل الوثيقة اذا تقادم عليها الزمان أن تظهر وتتفرق، وهذا الفك الأسفل لا يوجد فى جميع أحواله إلا قطعة واحدة [٢].

ومن ذلك ندرك مدى عناية أطباء هذا العصر بمعرفة دقائق الفم والأسنان لأنهما أول ما يستقبل الطعام، لذلك توصل الأطباء إلى عملية ترميم الأسنان المتآكلة وحشوها بمعاجين مكونة من الكبريت والقطران والشيح والكافور المصطكى [٣].

كما عرف الأطباء المسلمون طرق تقويم الاسنان ببرد وخلع الشاذ منها واتخذوا بدائل للأسنان المخلوعة باستخدام قطع من عظم البقر، وتثبيتها بالفم على قواعد من ذهب او فضة [٤] كما استعمل الأطباء المحاليل والمساحيق التى تجلوا الأسنان وتمنعها من التآكل وقد كان لأطباء دور مهم فى بث الوعى الصحى فيما يتعلق بأمراض الأسنان وطرق الوقاية منها،كما ذكر ابن البيطار، مجموعة من الأدوية لعلاج الفم والأسنان منها الارفطيون [٥]، الذى " متى طبخ أصله وثمرته بالشراب سكن أوجاع الأسنان إذا امسك طبيخهما فى الفم" والحلتيت

---

(١)البغدادى: الإفادة والاعتبار، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٢)جورج قنواتى: طب البغدادى، ص ٨٨، ٨٩.

(٣) ابن سينا: القانون فى الطب، جـ٢، ص ١٩٠

(٤) عصام فكرى الحضارة والمرض، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢، عدد ٣، ص ٥٧.

(٥)الأرفطيون: هو نبات ورقة شبيه بورق قلومس إلا أنه أكثر زغباً منه واشد استدارة، وله أصل حلو ابيض لين، وساق رخوة طويلة، وثمر شبيه بالكمون الصغير الحب، وقوة هذا النوع لطيفة غاية اللطافة، فهو لذلك يجفف أيضاً،وفيه من الجلاء شئ يسير أنظر: ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مجلد١، جـ ١، ص ١٩ .

[1]أيضاً قد يوضع فى التآكل العارض فى الأسنان فيسكن وجعها، ويخلط بالكندز ويلطخ على خرقة.. ويوضع على الأسنان فيسكن وجعها"[2].

وممن أصيب بأمراض الأسنان خلال العصرين، الملك الكامل حيث "حصل للسلطان نزلة على أسنانه فأفصد بسببها وهو ببركة الفيل [3]يتفرج بها فطلع إلى القلعة فتولى مداواته، الأسعد الطبيب بن ابى الحسن، بسبب شغل المذكور بعمل الترياق، فعالجه الأسعد مدة والحال كلما مر اشتد، فشكا ذلك للأسعد، فقال له ما بقى قدامى إلا الفصد: فقال له افصد مرة أخرى، ولى عن الفصد ثلاثة أيام، أطلبوا لى أبا حليقة [4] فحضر إليه وشكا له حاله، وأعلمه أن ذلك الطبيب قد أشار عليه بالفصد، واستشاره فيه أو فى شرب دواء فقال: يا مولانا بدنك بحمد الله نقى، والأمر ايسر من هذا كله، فقال له السلطان: ايسر تقول وأنا فى شدة عظيمة من هذه الآلام لا أنام الليل ولا أقر النهار، فقال له: يتسوك مولانا من الترياق [5]،الذى حمله المملوك

---

(١) الحلتيت: وهو صمغ الانجدان، وهو أكثر ألبان الاشجار حرارة ولطافة ولذلك هو أشد تحليلاً، وقد يجمع من الإنجدان الصمغ بأن يشرط أصله وساقه، وأجود ما يكون منه، ما كان إلى الحمرة، ما هو صافياً، شبيهاً بالمرفوى الرائحة لا تكون رائحته شبيهة برائحة الكراث، ولا كريهة المذاق، وتوجد منه أنواع بأماكن مختلفة، منها نوع يوجد بسوريا وهو أضعف قوة وأردأ رائحته انظر: بن البيطار: المصدر سابق، مجلد ١، جـ٢، ص ٢٧

(٢)ابن البيطار: المصدر سابق، مجلد ١، جـ ٢، ص ٢٧.

(٣)بركة الفيل: كانت ذات شكل دائرى، وكان موقعها بجوار بستان الحبانية، حيث تطل عليه مناظر الكبش الجميلة أنظر: ابن دقماق: الانتصار، جـ ٢، ص ٤٥ وكانت فى غاية الروعة والجمال لدرجة أن الشعراء تغنوا بجمالها فيقول أحدهم:

انظر إلى بركة الفيل التى اكتفت ... بها المناظر كالأهداب بالبصر

كانما هى الأبصار ترمقها كواكب ... قد أداروها على القمـر

وقد تعود السلاطين الأيوبيون الذهاب "إليها ليلاً بعد أن يقوم أصحاب المناظر المطلة على البركة بإنارة ما لديهم من شموع ومسارح وقناديل لإستقبال السلاطين مما يجعل المكان فى غاية الروعة أنظر: جاستون فيت: القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة مصطفى العبادى، بيروت، نيورك،١٩٦٨م، ص ٦٢

(٤)هو رشيد الدين أبو حليقه أحد أمهر أطباء العصر الأيوبى أنظر: ابن ابى اصيبعه: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص ٥٩٠ . ٥٩٨

(٥)الترياق: جمعها ترياقات، وهو لفظ مشتق من كلمة تيرون اليونانية وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعى، استعمل فى أول الأمر مضاداً لسموم الوحوش البرية، ثم اعتبر مضاداً للسموم عامة، وكذلك دواء لكل مرض عامة بدأه أندروماخوس بحب الغار، ثم اضاف اليه الجنطيانا والمر والقسط، ثم تناوله من جاء من بعده بالاضافات، حتى إن

فى البرنية الفضة الصغيرة، وترى بإذن الله العجب، وخرج إلى الباب"،وكانت المفاجأة وهى شفاء السلطان حيث لم يشعر هذا الطبيب الا " بورقة بخط السلطان قد خرجت إليه، وهو يقول له فيها " يا حكيم، استعملت ما ذكرته، فزال جميع ما بى لوقته، وكان ذلك بحضور الأسعد الطبيب الذى كان يعالجه أولاً فقال له: ونحن ما نصلح لمداواة الملوك ولا يصلح لمداواتهم إلا أنتم، ثم دخل الملك الكامل إلى خزانته وبعث إليه منها خلعاً سنية وذهباً متوفراً"[(١)].

ولعل هذا يشير إلى مدى تمكن هذا الطبيب من مداواة آلام أسنان السلطان الكامل وبسرعة فائقة، ولعل هذا لا شك هو ثمرة إطلاعه على مؤلفات الأطباء المسلمين الذين سبقوه فى مداواة أمراض الأسنان واللثة وطرق علاجها وتسكين آلامها [(٢)]وهكذا تتضح حذاقة ومهارة الاطباء المسلمين وفى إلمامهم بأمراض الأسنان، وطرق الوقاية من الاصابة بها، وطرق علاجها أيضا.

-أمراض الأذن والحنجرة والحلق:

فقد عرفوها العرب وصنفوها لأقسام متعددة،ووضعوا لكل منها العلاج المناسب ومن هذه الأمراض،علاج ورم الأذن وسدادها، وعلاج الطرش والصمم والدوي والطنين، وقروح الأذن ودود الأذن ودخول الماء والاشياء إليها[(٣)]،وأعتمدوا في علاج هذه الأمراض على مهارة الطبيب واستخدامه لأدواته بإتقان،وصنعوا بعض الأدوية المناسبة للأذن من النباتات،وبينوا طريقة استخدام الأدوية بعد تصنيفها للأذن في رسالة طبية بعنوان هدية الأخوان لمعرفة أدوية الآذان.

= ________

بعض الترياقات، وصل فيها عدد المفردات إلى ما يقرب من مائتى مفردة، وتعجن بالشراب أو العسل انظر:موجز تاريخ الصيدلة عند العرب المنظمة العربية الثقافية والعلوم، الجماهيرية العربية الليبية، بدون تاريخ،ص ٣٧٦

(١)ابن ابى اصيبعه المصدر السابق، ص ٥٩٢.

(٢)السويدي: مختصر تذكرة فى الطب، الطبعة الأولى، مصر، ١٣١٥هـ / جـ١، ص ٢٦،٢٧، ابن القف: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٥٦ . ٢٥٨، أبو بكر الخوارزمي: مفيد العلوم ومبيد الهموم، طبعة دمشق، ١٩٠٦م، ص ٣٨٨، ٣٨٩.

(٣) السويدي: مختصر التذكرة،ص٧٥-٨٠.

وفي علاج أمراض الحلق ألفت رسالة اللثق في أدوية الحلق [١] ،وركب الطبيب رشيد الدين داود ابن أبي المنى (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) ترياق سماه، المختصر الذي يذيب البلغم ويفيد الحلق [٢]ولكن لم تشير المصادر التاريخية الى أصابت عند الصليبين.

– أمراض متفرقة:

عرف الأطباء العرب والمسلمون معظم الأمراض السائدة التي انتشرت بين المسلمين والصليبين وهذا ولم تشر المصادر التاريخية إلا لبعض الحالات التى اصيبت بهذه الأمراض خلال تلك الفترة فقد اهتم العرب بها كثيراً ووضعوا لها طرق العلاج المناسبة، ومنها الربو الذي يحدث بسبب الحساسية عند الإنسان، وقد يكون للوراثة عاملا فيه،ويتميز المرض بنوبات متكررة تصيب المريض بسبب صعوبة التنفس والسعال والإحساس بضيق الصدر[٣].

ولعلاج الربو ألفت رسالة طبية بعنوان الكمال في أدوية الصدر والسعال وقد انتشر مرض السعال في العصر المملوكي كثيراً، وجاء في وصفة طبية لمن به سعال أن يأكل محاح البيض مع الثوم والسمن،أو أن يأكل التين بالزيت لأنه ينقي الصدر وينضج الرطوبات ويجلى البلغم ويسخن الكلى[٤].

كما عرف العرب داء الفيل وهو ورم الساقين حتى يكون شبه ساق الفيل كما عالجوا سدد الدماغ، أو الجلطة التى تحدث لسبب أو آخر بحيث يتجمد جزء من الدم ويكون مادة هلامية في نهايات الأوعية الدموية مما يؤدي لتجلط الدم،وعالجوها بالنباتات الطبية المختلفة مثل النرجس الذي يفتح سدد الدماغ عندما يستنشقه المريض، ونبات اللاذن إذا غلى وشرب،والزنجبيل وبذر الحناء إذا شرب منه مثقال بعسل قوى الدماغ[٥]، وممن عرف بذلك الطبيب محمد بن شرف الدين جماعة الكناني (ت٨١٩هـ/١٤١٦م) [٦] .

---

(١)الصالحية:الطب والاطباء في فلسطين،الموسوعة الفلسطينية،مج٣،ص٣٩٨.

(٢)الصالحية:الطب والاطباء في فلسطين،الموسوعة الفلسطينية،مج٣،ص٣٩٣.

(٣)بيرم: الموسوعة الطبية،ص١٥٩-١٦٠.

(٤)الصالحية:الطب والاطباء في فلسطين،الموسوعة الفلسطينية،مج٣،ص٣٩٨.

(٥)السويدي: مختصر التذكرة، ص١٧٢-٣٧-٣٨.

(٦)الصالحية:الطب والاطباء في فلسطين،الموسوعة الفلسطينية،مج٣،ص٣٩٦.

وعالج الأطباء كذلك مرض تعقد المفاصل وصلابتها، وهو المعروف حالياً بمرض تصلب المفاصل والركبة وآلامها [١] .

أما مرض الناعور، فهو من الأمراض التي أوجدت قلقاً للكثير من الاطباء في العصور الوسطى، وهو مرض يتصف بصعوبة توقف الدم عند نزفه، واستخدموا لعلاجه بعض النباتات التي تلزم، وعالج الأطباء أمراض تساقط الشعر، وداء الثعلبة، والجرب الذي يصيب الراس بأنواعه المختلفة [٢].

ومن الأمراض التي كانت تصيب الناس في العصرين الأيوبي والمملوكي، مرض الفالج وهو أن يبطل جميع بدن الإنسان أو بعضه عن الحركة وسببه زيادة برد الإنسان [٣]، ويحتاج هذا المرض في علاجه لحسن التدبير، ووضع الأطباء شراباً كدواء له سمي شراب الملك،ويصنع من النبات وينفع لأوجاع الكبد والمعدة والطحال والمثانة، وقسم آخر من الأطباء عالج الفالج بالفصد، ومنهم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي (ت٦٢٨هـ/١٢٣٠م)، رئيس الأطباء في مصر والشام، وكانت له معرفة جيدة بالنبات المستخدم في علاج الفالج بعد غليه بالماء[٤].

لقد كانت هذا الأمراض تحدياً كبيراً للأيوبيين والمماليك خلال العصرين لكنهم تمكنوا من التعامل معه أو على الأقل التخفيف من الآثار الناجمة عنه وذلك من خلال طرق الوقاية المشار إليها سابقاً.

---

(١)السويدي: مختصر التذكرة، ص١٧٠.

(٢)ابن القف الكركي:جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض،تحقيق سامي خلف حمارنة، عمان، الاردن،١٤٠٩هـ/١٩٨٩م،ص٥٠٨.

(٣)السويدي: مختصر التذكرة، ص٢٨.

(٤)ابن أبي اصيبعه: عيون الانباء،ص٧٣١-٧٣٢.

تصدي الأيوبيين والمماليك للأوبئة والأمراض في بلاد الشام ومصر:

أنشأت الدولة والسلطة الحاكمة البيمارستانات في جميع أنحاء بلاد الشام ومصر، والتي كانت تقدم خدمات طبية متنوعة، ومن الطبعي أن يكون لها دور كبير في تقديم العلاج لمرضى الطاعون وغيره من الأمراض[١].

أشهر هذه البيمارستانات في بلاد الشام:

البيمارستان النوري بمدينة دمشق[٢] والذي أنشأه الأمير نور الدين محمود بن زنكي[٣]، وكذلك البيمارستان النوري بمدينة حلب[٤]،والبيمارستان الصلاحي في مدينة القدس والذي أنشأه السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد تحرير القدس من يد الصليبيين سنة(٥٨٣هـ/١١٨٧م) [٥]، وكذلك البيمارستان الصلاحي في مدينة عكا والذي أنشأه صلاح الدين أيضاً بعد تحرير القدس [٦]،و البيمارستان القيمري بالصالحية، والذي أنشاه الأمير سيف الدين أبو الحسن علي بن يوسف القيمري الكندي (ت ٦٥٣هـ/١٢٥٥م)[٧]، والبيمارستان المنصوري في مدينة الخليل، والذي أنشأه السلطان المنصور قلاوون سنة (٦٨٠هـ=١٢٨١م)[٨] ،وبيمارستان الأمير

---

(١)البابا:البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية،رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠٠٩م،ص٣١.

(٢)البابا:البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية،رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠٠٩ م،ص٨٠-٨٢؛ حمد،السياسة الداخلية لنور الدين محمود زنكي، رسالة ماجستير غير منشورة،٢٠٠٩م،ص ١٦٦-١٦٧.

(٣)أبو شامة،الروضتين،ج١،ص١٠٥-١٠٦.

(٤)البابا:البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠٠٩م،ص٧٩-٨٠؛ حمد،السياسة الداخلية لنور الدين محمود زنكي،رسالة ماجستير غير منشورة،٢٠٠٩م،ص١٦٧-١٧٠، القلقشندي،صبح،ج٤،ص١٢٠..

(٥)ابن شداد،النوادر،ص٣٥٤ ؛ العليمي،الأنس،ج١،ص٣٩١.

(٦)العليمي،الأنس،ج١،ص٣٥٠.

(٧)ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان،ج ١،ص ١٩٢؛ البابا،البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية،رسالة ماجستير غير منشورة،٢٠٠٩ م،ص٣٩.

(٨)العليمي:الأنس،ج٢،ص٧٩.

سيف الدين تنكز الحسامي (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م) في مدينة صفد[١]، وبيمارستان الأمير سيف الدين أرغون الكاملي (ت٧٥٨هـ/١٣٥٦م)[٢].

في حلب[٣]، وبيمارستان الكرك وغزة و الذي أنشأهما الأمير علم الدين سنجر الجاولي (ت٧٤٥هـ=١٣٤٤م) [٤]، وبيمارستان نابلس والرملة اللذين أنشأهما ناظر الجيش الأمير فخر الدين محمد بن فضل الله القبطي(ت ٧٦٠هـ=١٣٥٨م)[٥].

أشهر البيمارستانات في مصر فهي:

البيمارستان الناصري في القاهرة [٦] وبيمارستان الإسكندرية الذين أنشأهما السلطان صلاح الدين سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م)[٧]، والبيمارستان المنصوري الذي أنشأه السلطان المنصور قلاوون في مدينة القاهرة سنة(٦٨٢هـ /١٢٨٣م)[٨]، والبيمارستان المؤيدي الذي أنشأه السلطان المؤيد شيخ المحمودي سنة (٨٢١هـ /١٤١٨م)[٩].

وقامت الدولة باستقدام الأطباء المهرة لمعالجة مرضى الوباء، ومثال ذلك عندما حدث وباء سنة (٦١١هـ/١٢١٤م) في مصر[١٠]، ومن أشهر هؤلاء الأطباء الذين استقدموا الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الملقب بالدخوار[١١].

---

(١)ابن حجر:الدرر، ج١،ص٣٠٩.

(٢)ابن حجر:الدرر، ج١،ص٢٠٥-٢٠٦.

(٣)ابن كثير:البداية١٤،ص٢٩٥.

(٤)المقريزي:السلوك، ج٣، ص٤٢٢.

(٥)ابن حجر:الدرر، ج٤،ص٨٦.

(٦)البابا:البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية،رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠٠٩م،ص٧٨-٧٩.

(٧) ابن جبير:الرحلة، ج١،ص٤؛أبو شامة،الروضتين، ج٢،ص٢٩٤؛القلقشندي،صبح، ج٣،ص٤١٧؛المقريزي،السلوك، ج١،ص ١٧٣وص١٨٧.

(٨)القلقشندي:صبح، ج٣،ص٤٨١؛ المقريزي،السلوك، ج٢،ص١٧٥.

(٩)المقريزي:السلوك، ج٦،ص٤٧٠.

(١٠ابن أبي أصيبعة:عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج١،ص ص ٤٧٥.

(١١)ولد بدمشق حوالي سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م: عمل في البيمارستان النوري بدمشق لسنوات عدة،ثم التحق بخدمة الملك العادل الأيوبي سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م، وأصبح طبياً خاصاً له، وعينه رئيساً للأطباء في مصر وبلاد الشام، وبعد وفاة العادل، انتقل إلى دمشق حيث انصرف لتدريس الطب،إلى أن توفي بها في سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م ابن أبي أصيبعة،عيون، ج١،ص٤٧٣-٤٧٩.

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،لقد عشت في بحثي هذا بين أروقة العصرين الأيوبي والمملوكي،أستنشق عبير الماضي بجزالته، وأرتب أحداثه بقوتها، وأستنبط معاني،وأحدد علامات، أربط بينها، بعبارات علمية جزلة، وجمل بيانية حسنة،حتى توصلت إلى بحثي هذا والذي خلصت منه مجموعة من النتائج أعرضها على سبيل الإجمال.

١. وصلت الدراسة إلى أن الأوبئة والأمراض في القرون الوسطى وخاصة في العصرين الأيوبي والمملوكي مثيرة للاهتمام وقد تبين من خلال المصادر المتوفرة أن الطاعون أهم تلك الأوبئة.
٢. تبين أن قصر الدراسة على مصر والشام في العصر الأيوبي والمملوكي فذلك يرجع إلى عدة أسباب منها: أن مصر والشام خلال هذا العصرين كانتا محط أنظار الجميع لأن أرضهما كانت المسرح الذي وقعت عليه الحروب الصليبية وغيرها من الحروب بين أفراد البيت الأيوبي والمملوكي وبعضهم البعض وما كان ينجم عن ذلك من كثرة المصابين والقتلى،والتخريب والتدمير الأمر الذي كان يؤدي إلى ظهور الأوبئة والطواعين.إضافة إلى ما حفل به هذا العصران من كوارث طبيعية كل ذلك أدى إلى انتشار الأمراض بصورة غير مسبوقة وهو ما جعل البيت الأيوبي والمملوكي يولون الجانب الصحي والطبي عناية فائقة، فشجعوا تدريس وتعليم الطب.
٣. إن العامل البشري من أهم العوامل التي أدت إلى انتشار الأوبئة والأمراض خلال العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام.
٤. يمكن القول إن الحروب هي أحد أهم الأسباب البشرية المسببة للأمراض والأوبئة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام.
٥. لقد لعبت العوامل الطبيعية في مصر والشام دوراً مهماً في التأثير على الحالة الصحية العامة، ويرجع ذلك إلى طبيعة المناخ في مصر والشام.
٦. توصلت الدراسة إلى أن العصرين الأيوبي والمملوكي شهدا العديد من الأمراض والأوبئة التي أثرت بصورة سلبية على حياة البشر منها الكوليرا 'الحميات 'السل 'الأمراض الجلدية،الجذام،البرص،الجدري والحصبة،والأمراض الباطنية والطرق العلاجية التي استخدمت آن ذاك.

التوصيات:

تبين للباحثة من خلال نتائج هذه الدراسة، أن هناك موضوعات جديرة بالبحث، ما تزال تخلو منها المكتبة العربية، وهي بحاجة إلى اهتمام وجهود الباحثين، ومن هذه الموضوعات:

١. إجراء دراسات مشابهة في موضوع يخدم موضوع هذا البحث ويؤكد الحاجة لمزيد من الدارسة.

٢. دراسة الأوبئة والأمراض في البلدان التي لم تدخل ضمن مجال البحث وإطاره الزمني.

٣. تحقيق المخطوطات التي تعنى بدراسة الأوبئة والأمراض.

٤. إجراء بحوث معمقة حول تأثر الحياة الاقتصادية في الأوبئة والأمراض.

٥. إجراء بحوث معمقة حول تأثر الحياة الاجتماعية في الأوبئة والأمراض.

قائمة المصادر والمراجع

■ القرآن الكريم.

■ المخطوطات

o**السيوطي**:ما رواه الواعون، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، موقع مخطوطات مكتبة الأزهر:

.http://www.alazharonline.org

o**على ابن رضوان**: دفع مضار الآبدان بأرض مصر مخطوط نشرت في موقع المصطفى

.*http://www.al-mostafa.com*

o**مجهول**: **رسالة في علم الفصد**: مخطوط نشرت في موقع المصطفى:

.*http://www.al-mostafa.com*

المصادر العربية:

■ **ابن الأثير**: أبو الحسن على بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ ١٢٣٢م)،**الكامل في التاريخ**،طبعة بيروت، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٨م.

■ **ابن ابي اصيبعة**: موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يؤنس السعدي الخزرجى المتوفي سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، **عيون الانباء في طبقات الأطباء**،مجلد واحد شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

■ **اسامه بن منقذ**:**الاعتبار**، تحقيق فيليب حتى، طبعة الولايات المتحدة، ١٩٣٠ م.

■ **ابن إياس**: محمد بن احمد بن إياس الحنفي المتوفي سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٣م **بدائع الزهور فى وقائع الدهور**، مكتبة مدبولى، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٥ م.

■ **البغدادي**:صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، **مراصد الإطلاع على الاسماء الامكنة والبقاع**:**وهو مختصر المعجم البلدان ياقوت الحموي**،تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي،دار الجيل، بيروت،طبعه الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

■ **ابن ايبك**:أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدوداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**،٩ أجزاء، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة،صدر في الفترة من ١٩٦١-١٩٩٢م استخدمه الباحثة ٦-٩.

○الجزء السادس، **الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية**، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م.

○الجزء السابع، **الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب**، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، ١٣٩١هـ = ١٩٧٢م.

○الجزء الثامن، **الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية**، تحقيق: أو لرخ هارمان، ١٣٩١هـ= ١٩٧٢م.

○-الجزء التاسع، **الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر**، تحقيق: هانس روبرت رويمر، د. ت.

■ **ابن البيطار**: ضياء الدين عبد الله بن احمد الأندلس المالقى المعروف بابن البيطار المتوفي سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**،٤أجزاء في مجلدين، المطبعة الاميرية، إشراف حسين بك حسنى، القاهرة ١٢٩١هـ.

■ **البصروي**:علي بن يوسف بن أحمد،**تاريخ البصروي**،تحقيق أكرم حسن العلبي،دار المأمون للتراث،دمشق،١٤٠٨هـ.

■ **ابن تغري بردي**: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى، الاتابكى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م، **النجوم الزاهره فى ملوك مصر والقاهرة**، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٩٣م.

■ **ثابت بن قرة**:ثابت بن قره بن مروان بن ثابت بن كرايا بن إبراهيم المتوفي سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م **الذخيرة في علم الطب**، طبعة القاهرة، ١٩٨٢م.

■ **ابن جبير**:**رسالة اعتبار الناسك**، المعروف بالرحلة منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،١٩٨٦.

■ **جالينوس**: الحكيم اليوناني المعروف "مولدة بعد زمن المسيح بتسع وخمسين سنة وكانت مدة حياته سبعا وثمانين سنه،**كتاب جالينوس الى اغلوقن في التأتي لشفاء الأمراض**، شرح وتلخيص حنين ابن اسحق، تحقيق محمد سليم سالم،القاهرة ١٩٨٢م.

■ **جمال الدين ابي بكر الخوارزمي**:**مفيد العلوم ومبيد الهموم**، دمشق،١٣٢٣هـ/ ١٩٠٦م.

■ **ابن حجر العسقلانى**: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي (٧٧٣-٨٥٢هـ) **فتح البارى بشرح صحيح البخارى**، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

■ **إنباء الغمر بأبناء العمر**، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان،ط٢، دار الكتب العلمية - بيروت،١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

■ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**،ج٢،ضبطه وصححه:عبد الوارث محمد علي،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

■ **ابن خلدون**: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) **مقدمة ابن خلدون**، طبعة القاهرة، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م.

■ **ابن خلكان**:أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر المتوفي ٦٨١هـ/١٢٨٢م، **وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، طبعة بيروت، ١٩٦٨م - ١٩٧٢م.

■ **خوارزمي**: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف،المتوفي سنة ٣٨٧هـ/١٩٩٧م، **مفاتيح العلوم**، تقديم عبد اللطيف العبد، القاهرة، بدون تاريخ.

■ **خير الدين الزركلي**:**الاعلام دعوة الأطباء، وتقويم الصحة**، دار العلم للملايين،بيروت،ط١٩٨٠،٥م.

■ **ابن خاتمة**:تحصيل غرض القاصد في تفصيل مرض الوافد:نشر ضمن كتاب عبد الكريم الخطابي،الطب والأطباء في الأندلس الاسلامية،ط١،بيروت،دار الغرب الإسلامي،١٩٨٨م.

■ **ابن حوقل**: أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي، المتوفي ٣٦٧هـ/٩٨٧م،**صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت لبنان،١٩٩٢م.

■ **ابن الحمصي**:شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (٨٤١-٩٣٤هـ) **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**،تحقيق:د. عمر عبد السلام تدمري،ج١،ط ١، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت،١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

■ **ابن حنبل**:شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الناضل بن أبي على الطى الحنبلى،المتوفي ٧٠٦هـ/١٣٠٩م **شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب**، تحقيق ناظم رشيد العراقي طبعة بغداد ١٤٠١هـ/١٩٧٨م.

■ **ابن دقماق**:إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي المتوفي سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٧م **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**، تحقيق محمد كمال الدين، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٧م.

■ **الذهبي**: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، المتوفي سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م.

■ **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام**، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، بيروت ١٩٨٨م،بغداد ١٩٧٧م.

■ **دول الاسلام**:تحقيق فهيم محمد شلتوت،محمد مصطف إبراهيم، القاهرة ١٩٧٤م.

■ **الطب النبوي**:القاهرة،١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

■ **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد**: تحقيق فهيم شلتوت، مراجعة محمد مصطفى زيادة، طبعة القاهرة ١٩٦٧ م.

■ **اليافعي**: ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م) **مرآة الجنان وعبر اليقطان في ما يعتبر من حوادث الزمان**،منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت،لبنان ط٢.

■ **المقسدي**:شمس الدين أبو عبيد الله محمد الشافعى المتوفي سنة ٣٨٧هـ/١٩٩٧م **أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم**، ط٢،لندن ١٩٠٦م.

■ **سبط بن الجوزى**:شمس الدين أبو المظفر قزواغلي(ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م) **مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان**،تحقيق مسفر بن سالم الغامدي، مطبعة جامعة أم القرى،مكة المكرمة ١٤٠٧هـ، ١٣٧١ هـ / ١٩٥١م.

■ **ابن الراهب**: أبو شاكر بطرس بن أبي الكرم بن المهذب، **تاريخ ابن الراهب، نشر لويس شيخو**، طبعة بيروت، ١٩٠٣م.

■ **ابن زهر**:أبو مروان بن أبي العلاء بن عبد الملك ت٥٢٥هـ/١١٣٠م التيسير في المداواة والتدبير،تحقيق ميشيل الخوري،دمشق،منشورات،المنظمة العربية اللتربية والثقافية والعلوم،دار الفكر،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

■ **كتاب الأغذائية**:تحقيق اكييراتيون غاريتا،مدريد،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية،معهد التعاون مع العالم العربي ١٩٩٢م.

■ **ابن العديم**: كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن وهبة الله بن العديم (ت٦٦٠هـ، **زبدة الحلب في تاريخ حلب**،وضع حواشيه: خليل المنصور،ط١،دار الكتب

العلمية،١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

■ **ابن العماد الحنبلي**:أبي الفلاح عبد الحى بن العماد المتوفي١٠٨٩هـ/١٦٧٨م،**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،طبعة القاهرة،مكتبة القدس،١٣٥٠-١٣٥١هـ.

■ **ابن الفرات**: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، **تاريخ ابن الفرات**، تحقيق حسن محمد الشماع، طبعة البصرة، ١٩٦٧م.

■ **ابن القلانسي**: أبو يعلى حمزة ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق مطبعة الآباء اليسوعيين**،بيروت،١٩٠٨م

■ **ابن القف الكركي**:أبو الفرج موفق الدين يعقوب بن اسحاق،(٦٣٠-٦٨٥هـ/١٢٣٣-١٢٨٦م)،**جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض**،تحقيق سامي خلف حمارنة، عمان، الاردن،١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

■ **ابن الوردي**:سراج الدين أبى حفص عمر بن الوردي،المتوفي ٧٤٩هـ/١٣٤٩م،**خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، القاهرة،١٩٣٩م.

■ **ابن الوطواط**:رشيد الدين محمد العامري المتوفي ٥٧٣هـ/١١٧٧م **غرر النقائض الفاضحة وغرز الخصائص الواضحة**، طبعة بولاق، بدون تاريخ.

■ **ابن سعيد:النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة**، تحقيق حسين نصار طبعة القاهرة، ١٩٧٠ م.

■ **ابن سينا**:أبي علي الحسين بن الشهير بابن سيناء المتوفي سنة ٤٦٨هـ/١٠٣٦ **القانون في الطب**، طبعة بيروت، بدون تاريخ.

■ **ابن شاكر الكتبى**:محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن بن شاكر الدمشقي الكتبي المتوفي سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م

■ **فوات الوفيات**، طبعة بولاق، ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م.

■ **عيون التواريخ عنى** بتحقيق حسام الدين القدسى، نسق مقدمته الشيخ أبو منصور الحافظ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٨٠م.

■ **ابن شاهنشاه الأيوبي**:محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب،المتوفى سنة ٦٠٧هـ/١٢٢٠م،**مضمار الحقائق وسر الخلائق**،تحقيق حسن حبشي،دار الهنا للطباعة،عالم الكتب القاهرة،١٩٦٨م.

■ **ابن شاهين:** زين الدين عبد الباسط بن خليل ابن شاهين الظاهري الحنفي (٨٤٤-٩٢٠هـ)، **نيل الأمل في ذيل الدول**، تحقيق الأستاذ الدكتور: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

■ **الشيرزي:** عبد الرحمن بن الشيرزي،(ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م)،**نهاية الرتبة في طلب الحسبة**،تحقيق السيد الباز العاريني،بيروت،لبنان، دار الثقافة، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

■ **ابن شداد النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه:**بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المتوفي سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٩م، تحقيق جمال الدين الشيال الطبعة الاولى، القاهرة، ١٩٦٤ م.

■ **ابن صصرى:** الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، عنى بتحقيقه ونشره د: وليم م. بريد، مطابع جامعة كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٦٣م.

■ **ابن طولون:** شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي (المتوفى: ٩٥٣هـ)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، د.ت.

■ **ابن طولون الصالحى:** القلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية، تحقيق محمد احمد دهمان، دمشق، ١٩٤٩م.

■ **ابن ظهيرة:** الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق كامل المهندس، مصطفى السقا، طبعة القاهرة، ١٩٦٩ م.

■ **ابن عبد ربه:** العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، طبعة القاهرة، ١٩٥٣م.

■ **ابن قاضي شهبة:** تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش،ط١،منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، ١٩٧٧م.

■ **ابن قيم الجوزية:**شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي،المتوفي سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م.

■ الطب النبوى،د. حامد احمد الطاهر، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٤م.

■ -زاد المعاد فى هدى خير العباد، تحقيق محمد علي صبيح،ط١،القاهرة،١٣٥٣هـ/١٩٣٥م.

■ ابن كثير:عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي ٧٧٤هـ/١٣٤٣م، البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث القاهرة، الطبعة

الخامسة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

■ **ابن مماتى:** قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريل عطيه، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩١ م.

■ **ابن منظور:**ابن منظور:محمد بن مكرم الايفريقي ت ٧١١هـ/١٣١١م، لسن العرب، دار صادر بيروت،١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

■ **ابن واصل:**جمال الدين محمد بن سالم بن واصل المتوفي سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٨م مفرج الكروب في أخبار بني أيوب،الجزء الاول والثاني والثالث تحقيق جمال الدين الشيال، طبعة القاهرة ١٩٥٣-١٩٦٠م.

■ جـ٤:جـ٥،تحقيق حسنين محمد ربيع،مراجعة سعيد عاشور،طبعة القاهرة أعوام ١٩٧٢م:١٩٧٥م.

■ **الأصفهاني:** عماد الدين بن عبد الله محمد بن صفى الدين ابو الفرج محمد بن هبة الله القرشي الاصفهاني،المتوفي سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمود صبيح، طبعة القاهرة، ١٩٦٠م.

■ **الأنصاري:**شمس الدين ابى عبد الله محمد ابى طالب الانصاري المتوفي ٧١٧هـ/١٣٢١م، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق وتصحيح أغسطس بن يحيى، طبعة ١٨٦٥م.

■ **السخاوي:** شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الذيل التام على دول الإسلام، حققه وعلق عليه:حسن إسماعيل مروة، ط١، مكتبة دار العروبة،الكويت ودار ابن العماد،بيروت،١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

■ **السيوطي:** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد المتوفي ٩١١هـ/١٥٠٥م

■ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، طبعة دار الوطن،١٢٩٩هـ.

■ إتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق احمد رمضان احمد، طبعة القاهرة، ١٩٨٢م.

■ تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة بيروت، ١٩٨٨م

■ مقامات السيوطي المقامة الطاعونية، إدارة الجو ائب، مطبعة القسطنطينية، ط١، ١٢٩٨هـ.

■ **الصريفي:**الخطيب الجوهري علي بن داود،نزهة النفوس والأبدان في التواريخ الزمان، تحقيق: الدكتور حسن حبشي، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة،مركز تحقيق التراث،مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م.

■ **الصفدي:**رزق الله بن سنقريوس الصفدي المتوفي ٢٤٩هـ/تاريخ دول الإسلام،طبعة

مصر،١٣٢٥هـ /١٩٠٧ م.

■ **الطبري**: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف، ١٩٦٣م.

■ **لعيلمي الحنبلي**: مجير الدين الحنبلي،الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباته، مكتبة دنديس - عمان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

■ **العينى**:بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفى، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧-١٩٨٨م.

■ **القز ويني**: آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة بيروت، بدون تاريخ.

■ **القلقشندي**:الشيخ أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) صبحي الأعشى في صناعة الأنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٤م.

■ **القوصوني المصري**: مدين عبد الرحمن . قاموس الأطباء وناموس الألباء . مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧١م.

■ **المسعودي**: أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي،المتوفى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبدا لحميد، طبعة بيروت، ١٩٨٧م.

■ **المقريزي**: تقى الدين احمد بن على بن القادر الشافعي المتوفي سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م.

■ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار:المعروف بالخطط،جزان،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة

■ السلوك لمعرفة دول الملوك:تحقيق محمد مصطفى زيادة، طبعة القاهرة ١٩٥٧م.

■ اغاثة الامة بكشف الغمة:قام عنى بنشرة،محمد مصطفى زيادة،جمال الدين الشيال،دار الكتب والوثائق القومية، ط ٣،القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

■ **المعجم الوجيز**: مجمع اللغة العربية، طبعه خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

■ **مصطفى وآخرون، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر**: محمد النجار، المعجم الوسيط،تحقيق: مجمع اللغة العربية، د.ت

■ **النويرى**: هو شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، وكانت وفاة النويرى فى سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م نهاية الارب فى فنون الادب، تحقيق محمد محمد أمين، محمد حلمى محمد، طبعة القاهرة ١٩٩٢ م.

■ **النويري الاسكندراني:** محمد بن قاسم بن محمد،الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية، تحقيق:عزيز سوريال عطية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن،١٣٩٠هـ-١٩٧١م.

■ **الانطاكي:**داود عمر ت١٠٠٨هـ/١٥٩٩م بغية المحتاج في الجرب من العلاج،بيروت،دار الفكر،١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

■ **اليونيني:**قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (المتوفي ٧٦٢هـ/) ذيل المرأة الزمان،ج١،د.ت.

■ **أبو الفداء:** عماد الدين إسماعيل بن علي،المتوفى: ٧٣٢هـ، المختصر في أخبار البشر،علق عليه ووضع حواشيه:محمود ديوب، ط١، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،١٤١٧هـ-١٩٩٧م، جـ٣، ١٧٩.

■ **أبو شامه:**شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وضع حواشيه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين،ط١،دار الكتب العلمية،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

■ الذيل على الروضتين،وضع حواشيه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين،ط١،دار الكتب

■ **عبد القادر الرازى:** مختار الصحاح، المركز العربى للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان،بدون تاريخ.

■ **عبد اللطيف البغدادي:**موفق الدين الشهير بابن اللباد،الافادة والاعتبار في أمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، مطبعة وادي النيل،ط١، ٢٨٦١هـ.

■ **مالك ابن انس:** ابو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الاصبحى المتوفي ١٧٩هـ/ ٧٩٥م الموطأ،تصحيح فؤاد عبد الباقي القاهرة ١٩٥١م.

■ **محمد كرد علي:** خطط الشام، مطبعة دمشق ١٢٤٦هـ/١٩٢٧م.

■ **ياقوت الحموي:** شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ولد سنة ٥٧٤ هـ/١١٧٨م معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي،ط١، دار الكتب العلمية،د.ت.

المراجع الاجنبية المعربة:

■ **أشتور:** التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عبلة، طبعة دمشق، ١٩٨٥م.

■ **أرسنت باركر:** الحروب الصليبية، ترجمة:السيد الباز العريني، ط٢، دار النهضة العربية،

بيروت، لبنان.

■ **إدوارد بروي:** بالتعاون مع جان أو بوايه،كلود كاهين، جورج دوبي، ميشال مولات، موسوعة تاريخ الحضارات العام- القرون الوسطى-، نقله إلى العربية: يوسف أسعد داغر، و فريد م داغر،، عويدات للنشر والطباعة، بيروت،لبنان،٢٠٠٣م.

■ **بير نجيه وأخرو بير نجيه وآخرون:** جان بيرنجيه، فيليب كونتامين، ايف دوران، فرنسيس راب، موسوعة تاريخ أوربا العام، ترجمة: وجيه البعيني، مراجعة: انطوان أ الهاشم، ج٢،ط١، منشورات عويدات،بيروت، باريس، ١٩٩٥م

■ **بول غليونجى:**طب وسحر، ط٥،المكتبة الثقافية،١٩٩٩م.

■ **ر يموند جيل:**تاريخ الفرنجة غزاه بيت القدس،ترجمة جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، ٢٠٠٧م.مكة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع.ط١٩٨٠،٥م.

■ **زيغريد هونكة:**شمس العرب تسطع على الغرب،ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي،مراجعة فاروق عيسي،بيروت، لبنان،المكتب التجاري،ط٢، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م

■ **فوشية الشارتري:**الاستيطان الصليبي في فلسطين-تاريخ الحملة الى بيت القدس ١٠٩٥ - ١١٢٧ م ترجمة قاسم عبده قاسم،دار الشروق، القاهرة ١٤٢٢هـ.

■ **ول ديوارنت:** قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، طبعة بيروت، بدون تاريخ / جـ ١٧، ص ١٨٧.

■ **وليم الصوري:**

○الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، ١٩٩١م.

○تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة١٩٩١م.

المراجع العربية والمعربة

■ **احمد عيسي بك:**معجم الاطباء،القاهرة،مصر ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.

■ البيمارستانات في الاسلام، بيروت،لبنان، دار الرائد العرابي،ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م،

■ **ابن النفيس:** الموجز في الطب، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، طبعة القاهرة، ١٩٨٦.

■ **أحمد فؤاد باشا:** التراث العلمى للحضارة الاسلامية، طبعة القاهرة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م**سيد على الحريرى:** الاخبار السنيه، طبعة القاهرة، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.

■ **الحريري:** الاعلام والتبين فى خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق سهيل زكار، طبعة دمشق، ١٩٨١م

■ **علي السيد على:** العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦.

■ **سيد احمد الصاوي:** مجاعات مصر الفاطمية، أسباب ونتائج، دار التضامن للطباعة.

■ **محمد مؤنس عوض:** الرحالة الأوروبيين في مملكة بيت المقدس الصليبية، طبعة القاهرة، ١٩٩٢م.

■ **حمود الحاج قاسم:** الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات، طبعة السعودية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

■ **حنيفة الخطيب**،الطب عند العرب،بيروت،لبنان،دار الأهلية،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

■ **جاستون فيت:** القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة مصطفى العبادى، بيروت، نيورك،١٩٦٨م.

■ **احمد عبد الفتاح علي:** الأمراض الجلدية وطرق علاجها في ضوء السنة النبوية، مكتبة المنصورة الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

■ **أبو العباس:** كامل الصناعة الطبية، طبعة القاهرة، ١٨٧٧م.

■ **أحمد شوقي الفجري:** الطب الوقائي في الإسلام، طبعة القاهرة، ١٩٨٠م العلمية،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

■ **حسن حبشي:** أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس،القاهرة ١٩٥٨م

■ **حمد احمد عبد الله:** بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية، الطبعة الأولى، القدس، ١٤٠٢ هـ

■ **حياة ناصر الحجي:** أحوال العامة في حكم المماليك ٦٧٨-٧٨٤هـ/ ١٢٧٩-١٣٨٢م،دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية،ط١، الكويت ١٩٨٤م.

■ **ستيفن رنسيمان:** تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، طبعة بيروت، ١٩٨١م.

■ **سعيد احمد برجاوى:** الحروب الصليبية في الشرق، طبعة بيروت، ١٩٨٤م.

■ **سعيد عاشور عبد الفتاح**:مصر والشام في عهد المماليك التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، بيروت، ١٩٧٢م،ص٢٣.

■ الحركة الصليبية،ط٤، القاهرة ١٩٨٢م.

■ **عبد الرحمن الرافعى وسعيد عاشور**: مصر في العصور الوسطى،القاهرة،١٩٩٧م.

■ **علي إبراهيم حسن**:تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، ط٣- ١٩٦٧م.

■ **علي علي المرسى**: محمد محمد الشاذلي: أساسيات علم الحشرات، ط١، دار الفكر العربي،القاهرة،١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

■ **عمر تدمرى**: الحياه الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى، طبعة بيروت **١٩٧٣م.**

■ **عثمان على محمد عطا**:الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م.

■ **قاسم عبده قاسم:**

○دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك،كلية الآداب جامعة – الزقازيق ١٩٧٩م، دار المعرف.

○عصر سلاطين المماليك ط١٤١٥،١هـ١٩٩٤م، دار الشروق.

○تاريخ الحملة الى بيت المقدس: ترجمة قاسم عبده قاسم، طبعة الكويت، ١٩٩٣ م

■ **فدوى حافظ طوقان**: العلوم عند العرب، طبعة القاهرة، ١٩٥٦ م.

■ **محمد بركات البيلى**: الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى مصر الاسلامية، طبعة القاهرة، ١٩٨٦م.

■ **محمد صبري محسوب و محمد إبراهيم أرباب**: الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة معالجة جغرافية،الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م،دار الفكر العربى القاهرة.

■ **محمد عبد الغني الأشقر**:الملحمة المصرية،مكتبة مدبولى القاهرة ٢٠٠٢م

■ **محمود سعيد عمران**: تاريخ الحروب الصليبية١٠٩٥=١١٩١م، دار المعرفة الجامعية،القاهرة،٢٠٠٠م.

■ **مصطفى الديواني**: حديث في الطب، طبعة القاهرة، ١٩٨٠ م.

■ **عبد الحسين بيرم**:الموسوعة الطبية العربية،بغداد،العراق،دار القادسية،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

■ **حنيفة الخطيب**:الطب عند العرب،بيروت،لبنان،دار الأهلية،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

■ **السويدي**: مختصر تذكرة فى الطب، الطبعة الأولى، مصر، ١٣١٥هـ

■ **الرسائل غير المنشورة:**

■ **منال أحمد إبراهيم أبو زيتون**: المجاعات في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير مشورة،إشراف،د محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك ١٩٩٨م.

■ **ناصر محمد على الحازمي**: الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف،أ.د مريزين سعيد العسيري، جامعة أم القرى١٤٢٦-١٤٢٧هـ

■ **نواف محمد الحازمي**:أثر الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية على الحياة العلمية في عهد المماليك الجراكسة في مصر (٧٨٤-٩٢٢هـ-١٣٨٢م/١٥١٧م)،بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي غير منشور،إشراف،أ.د مريزين سعيد العسيري، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م،جامعة أم القري مكة.

■ **محمد نجيب عبد الوهاب محمدحمد**: السياسة الداخلية لنور الدين محمود زنكي(٥٤١-٥٦٩هـ = ١١٤٦-١١٧٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الأستاذ الدكتور: رياض مصطفى شاهين، الجامعة الإسلامية،غزة،فلسطين،١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

■ **مؤمن أنيسالبابا**: البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية(١-٦٥٦هـ = ٦٢٢-١٢٥٨م)،رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أ.د. رياض مصطفى شاهين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين،١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م.

الدوريات العلمية.

■ **أحمد عبد الحميد خفاجى**: جوانب من الحياة الاجتماعية فى مصر فى العصر الأيوبي، مجلة كلية الآداب،جامعة الاسكندرية،١٩٨١/١٩٨٢م، عدد ١٩.

■ **إبراهيم خميس إبراهيم**: الأوبئة والأمراض التي تفشت بين الصليبين في الشرق الأدنى الإسلامي وأثرها بحث منشور بمجلة كلية الآداب،جامعة الإسكندرية،العدد ٢٤، ١٩٩٦م.

■ **حمد، فيصل عبد الله**: أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي(٦٤٨هـ / ١٢٥٠م- ٩٢٢هـ / ١٥١٦م)، مجلة حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الرسالة ٢٧٢، حولية ٢٨، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

■ **جورج قنواتى**: طب البغدادى، بحث بكتاب موفق الدين عبد اللطيف البغدادى فى الذكرى المئوية الثامنة لميلاده، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦٤م

■ . **عطية فليب**: أمراض الفقر في دول العالم الثالث،سلسلة عالم المعرفة،الكويت،العدد ١٦١،أيار ١٨١،١٩٩٢-١٨٤.

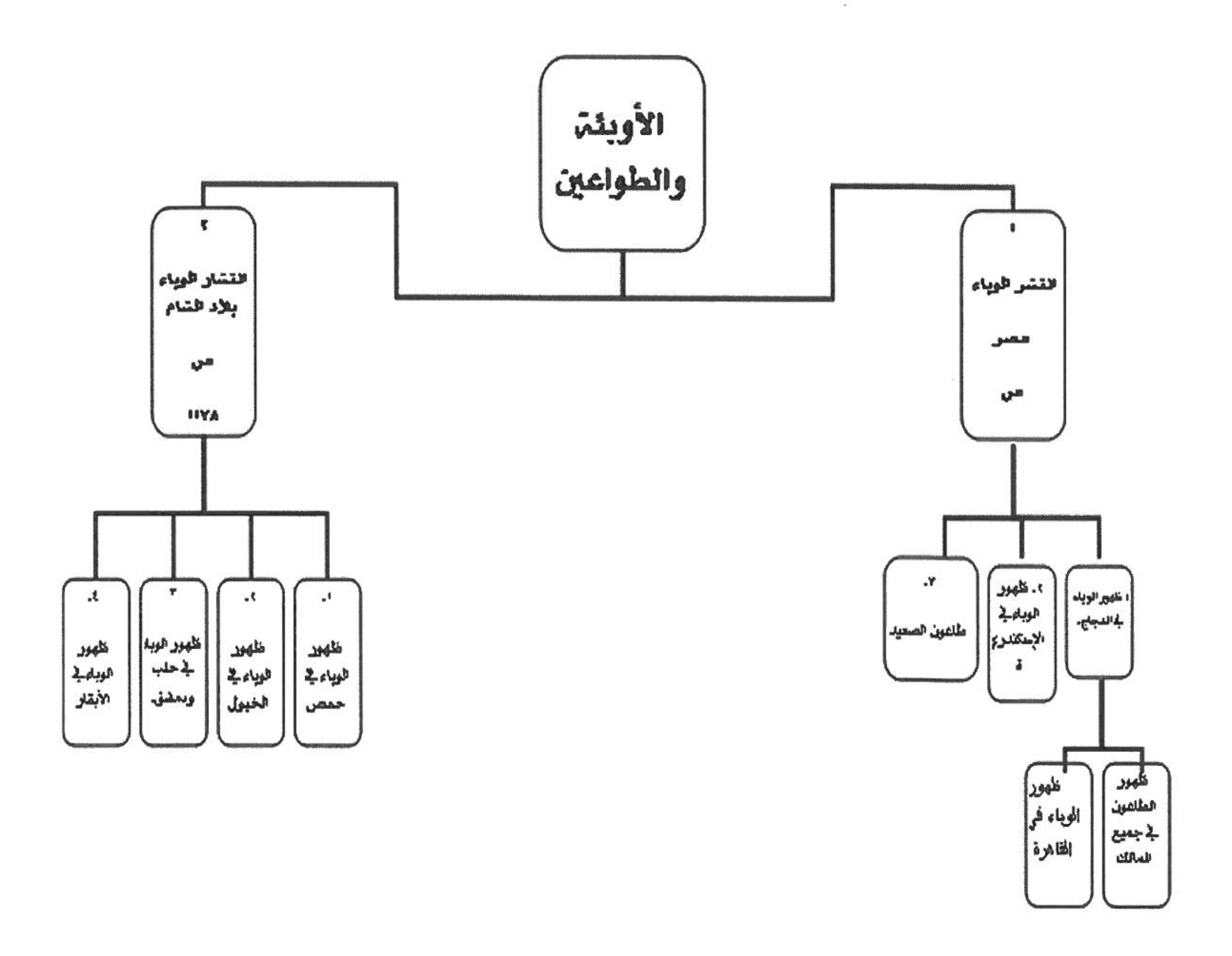
■ **عصام فكرى**: الحضارة والمرض، مجلة عالم الفكر، طبعة الكويت، ١٩٧١م عدد ٣، مجلد ٢.

■ محمد عيسي الصالحية:الطب والأطباء في فلسطين،الموسوعة الفلسطينية،بيروت،لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

المصادر والمراجع الأجنبية

- **Joinvill**: hist de sant louis، paris 18.
- **Horald lamb**: the crusades، newyork،1930.
- **G.Robinson**: village life in Palestine،Newyork، 1905
- **Of،vol،3George sorton**: introduction to the Baltimore، 1947.

الخريطة المفاهيمية للأوبئة والطواعين



الملاحـــــــق

ملحق (١)

الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر وبلاد الشام

- الحميات
- السل
- الأمراض الجلدية
- الجذام
- كوليرا
- أمراض متفرقة

الملحق رقم (٢)

التسلسل التاريخي

للأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام

م	السنة	الإنسان
1	575هـ/ 1179م	اجتاح مصر الوباء وأدى إلى تغير رائحة الهواء، وكثرة الوفيات، حتى قيل إنه " مات بالقاهرة ومصر فى خمسة أيام يسيرة، سبعة عشر ألف انسان.
2	597 / 598هـ / 1201 /1202م	انتشر بمصر الوباء والطاعون، وقد أشار المقريزي إلى النتائج التى ترتبت عليه من كثرة الفناء، لدرجة أن القرية التى كان فيها خمسمائة نفس لم يتأخر فيها سوى اثنين أو ثلاثة
3	632هـ/ 1243م	حيث اجتاح البلاد وباء عظيم وكثرت الوفيات، حتى قيل : " أنه مات فى شهر نيف وثلاثون ألف إنسان"
4	633هـ/ 1235م	تعرضت مصر لطاعون استمر لمدة ثلاثة أشهر، نتج عنه فناء وخراب لا حدود له.
5	574هـ/ 1178م	تعرضت بلاد الشام الى الاوبئة والامراض مدنها وقراها "الوباء شديد،وعم البلاد مرض آخر وهو السرسام فما ارتفع إلا فى سنة 576هـ / 1180م، فمات بسبب ذلك خلق كثير وأمم لا يعلم عددهم إلا الله.
6	589هـ/ 1192م	فقد ظهر الطاعون بمنطقة حمص إحدى مدن الشام وأصاب كثيرا من أهلها، وكان سببا فى هلاكهم.
7	656 هـ/1258م	منطقة حلب ودمشق اللتين عانتا من وباء عظيم ويقال إنه من كثرة الموتى لم يجد الناس مغسلاً في الجامع لاستيعاب غسل واحد وثلاثين ميتا، وكان ذلك وقت الظهر، واغتنم العطارون الفرصة بسبب كثرة الطلب على موارد العطارة وقل الاطباء الموجودين آن ذاك.
8	672هـ /1273م	انتشر مرض وبائي كان أكثر ضحاياه من النساء والأطفال،ويبدو أنه لم يكن ذا تأثير خطير.
9	691هـ/1291م	كثر موت الجمال في جيش السلطان الأشرف خليل بن قلاوون بعد فتحه قلعة الروم.
10	694-695هـ/ 1294-1295م	بلغ من يموت فيها كل يوم ألوفا، فيذكر المقريزي أنه :"يبقي الميت مطروحا في الأزقة والشوارع ملقى في الممرات والقوارع.

م	السنة	الإنسان
11	703هـ/ 1303م	وقع موت في الخيول ببلاد الشام ومصر مما أدى إلى موت نحو الثمانين ألف فرس في حلب ودمشق.
12	749/748هـ 1348/1347م	انتشر في مصر وباء الطاعون الذي عم جميع الممالك في أيام السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد الذي أزهق الأرواح حتى بلغ عدد الموتى في شهرين تسعمائة ألف، وقلت المزروعات لموت الفلاحين، فانتشر القحط والجوع في البلاد من جديد، وفتك الطاعون بالحيوانات ولكثرة الموتى لم تكفهم النعوش،بل كانوا يحملون على أقفاص أو ألواح من الخشب، ويحمل الواحد عدة أشخاص،وصارت مهنة القراءة على الموتى وحملهم ودفنهم من المهن الرابحة، وامتلات المقابر بالناس، فكان الموتى يلقون في الطرقات على التراب، وكان الأمام يصلى على اعداد كبير من الموتى دفعة واحده.
13	754هـ/1353م	فشت الأمراض في مصر خاصة في مدينتي الإسكندرية والقاهرة،ومكثت هذه الأمراض مدة شهرين، وقد بلغ عدد الموتى ما بين خمسين وستين شخصا يوميا
14	761هـ/1359م	تفشى الوباء في مصر، واستمر إلى سنة 762هـ/ 1360م، ويذكر المؤرخون أن انتشار هذا الوباء كان بسبب كثرة المستنقعات الناشئة عن فيضان النيل في تلك السنة، وقدر عدد ضحايا هذا الوباء يوميا بحوالي ألفي نسمة.
15	769هـ/1367م	حدث وباء شديد الوطأة في عهد السلطان الأشرف شعبان واستمر يحصد الأرواح على مدي أربعه أشهر ،وبلغ عدد ضحاياه في القاهرة والفسطاط حوالي مائة نفس يوميا ممن سجلهم ديوان المواريث، واستمرأت الطواعين في سنة 774هـ/ 1372م ببلاد الشام لمدة ستة أشهر
16	782/782هـ 1381/1380م	وبدأ الوباء في مدينة الاسكندرية، ثم أخذ ينتشر تدريجيا حتى عم بلاد الوجه البحري والعاصمة، ويذكر المؤرخون أن عدد ضحايا هذا الوباء في مدينة القاهرة قد بلغ حوالي ثلاثمائة نسمة في اليوم الواحد،عدا

م	السنة	الإنسان
		الضحايا المجهولين الذين كان يعثر على جثثهم ملقاة في كل مكان.
17	787هـ/1385م	وقع بحلب وباء، بلغ عدد من مات بسببه كل يوم ألف إنسان وزيادة
18	790 هـ/1388م	حدث طاعون في بلاد الشام وكان أشده في دمشق والقدس وغزة والأماكن الساحلية، وكانت دمشق اكثر المناطق تأثرا بذلك حيث أدى المرض إلى موت خمسة ألاف شخص.
19	795هـ/1393م	تفشى طاعون في بلاد الشام، وكان أشده في مدينة غزة والرملة وحوران ودمشق وبعلبك وحماة، وكان أشده ما حدث بحلب التي بلغ عدد موتها 500 نفس كل يوم.
20	808هـ/1405م	وقع طاعون شامل في بلاد الصعيد، ويبدو أن أثره كان من العنف بحيث شمل الخراب غالب بلاد الصعيد، وخلت عدة بلاد، وأحصى من مات من أسيوط فكانوا عشرة آلاف، سوى من لم يفطن له، وتزايد المرض حتى فشا في الناس وكثر الموت الوحي" وبلغ عدد من يرد اسمه في الديوان إلى مائتين وخمسين في كل يوم"
21	812هـ/1409م	ووصل هذا الطاعون إلى حمص وحماه وطرابلس وفلسطين وحوران ونابلس فمات خلق كثير جدا، وأخليت القرى وبقيت الزروع قائمة لا تجد من يحصدها.
22	819هـ/1416م	ظهر الوباء بدمشق ووصل إلى القدس وصفد وهذا كله تسبب في كثيرة الموت بالإسكندرية ودمياط وما حولها،حتى أنه بلغ عدد من يموت بالقاهرة نحو الأربعين في اليوم الواحد من الأطفال والجواري والمماليك والعبيد.
23	822هـ/1419م	تفشى الطاعون في مصر، وابتدأ ظهوره في مدن الوجه البحري، ثم تفشى بعدها في مدينة القاهرة وبلغ عدد الموتى يوميا ما بين 20إلى30 شخص.
24	825هـ/1422م	ازدادت حدة الوباء في مدينة حلب، حتى قيل إن جملة من مات فيها حوالي سبعين ألفا، "وخلت البلد من أكثر أهلها"
25	826هـ/1433م	تفشى الوباء في دمشق وغزة ومصر ومات بسببه أناس كثيرون، وأخليت الدور والقرى، و ذكر المقريزي أن" عدة من مات بصالحية دمشق زيادة على خمسة عشر ألف إنسان، وأحصي من ورد ديوان

م	السنة	الإنسان
		دمشق من الموتى فكانوا نحو الثمانين ألفا، وكان يموت من غزة في كل يوم مائة إنسان وأزيد، وكان معظم من مات الصغار والخدم والنساء، فخلت الدور منهم إلا قليلا"
26	827هـ/1424م	حدوث الوباء في دمياط فمات بسببه أعداد كثيرة من الناس.
27	842هـ/1438م 852-853هـــ/1448-1449م	فشي الطاعون في مصر والقاهرة، وفني فيه العديد من الناس، وتجاوز عدد الموتي في كل يوما ألف إنسان وحدثت في البلاد أزمة اقتصادية عنيفة نتيجة عدم وفاء النيل، تبعها موت كثير من الأبقار لعدم توافر العلف، فارتفعت الأسعار وتكالب الناس على حوانيت الغلال، فقد تأثرت البيئة بالطواعين المتكررة، فانتشار الجثث وكثرة وجودها في الشوارع لعدة ايام يؤدي إلى حدوث العفونات فيها، بالإضافة الى انتشار الروائح الكريهة وانتشار الذباب، وفي هذه السنة كانت أعداد الموتي كثيرة.
28	862هـ/ 1457م	فشت الأمراض الحادة في مصر، ومات بها عدد كبير من الناس، معظمهم من الأطفال.
29	863 هـ/1459م	تفشى الطاعون في مدينة حلب والمناطق المجاورة لها، و ازدادت حدة الوباء في القرى التابعة لمدينة حلب، وقد قدر عدد من مات في هذا الطاعون بمائتي ألف نسمة.
30	864هـ/1459م	تفشى الطاعون في مصر والشام وكان أشده في بلاد الشام ما حدث في غزة والقدس، ثم تفشى في مدينة القاهرة ووصل عدد الموتى في مدينة القاهرة إلى حوالي ستين نفسا، وبقي في القاهرة ما يقارب الستة أشهر، وكان عاما قاسيا على الجميع، أصبح الناس يحسبون حساب الموت، واجتمع على الناس فيه ثلاثة أمور هي الطاعون والظلم والغلاء.
31	873هـ/1468م	تفشى الطاعون في مصر والقاهرة والا سكندرية ودمشق تزايد موت الناس وأصبحوا يموتون في الطرقات،مات معظم أهل الاسكندرية، وعملت المغاسل العامة التي حمل إليها الموتي، وخاف الناس من أنباء الموت فجأة خوفا شديدا، وأصبح الرجل والمرأة يكتبون أوراقا تحمل أسماءهم وكنياتهم وأسماء حاراتهم وسكنهم حتي إذا ماتوا يعرف بهم، أما في دمشق فقد قدر عدد ضحايا الطاعون فيها بسبعة ألاف نسمة، وماتت بسببه ابنة السلطان قايتباي وحفيدته

881هـ/1476م	الأكابر، وأخليت الدور من أهلها وساكنها، واستمر هذا الطاعون إلى سنة 882هـ /1477 م أما في دمشق فقد وصل عدد الموتى يومياً فيها إلى 1500 نسمة.
897هـ /1492م	تفشى الطاعون في بلاد الشام ومصر وغيرها من البلدان، أول ظهوره في مدينة بلبيس وسرياقوس، وقد بلغ عدد الموتى فيهما مائة نفس يومياً.
919هـ/1513م	وصل الوباء في انتشاره الى العاصمة، حيث بدأ يقضي على العبيد والجواري، ومع حلول الخماسين اشتدت وطأته،ثم أخذ يفتك بالناس عموما، فقام أعيان الأمراء والموظفين بإرسال أطفالهم وزوجاتهم وخدمهم إلى منطقة جبل الطور وبلغ عدد الموتى حوالي ثلاثمائة وستين نفسا يومياً.

الملحق رقم (٣)
التسلسل التاريخي
للأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام

م	السنة	الحيوان
1	581هـ/ 1185م	ظهر الوباء فى الدجاج الأمر الذى أثر على صحة الناس خلال تلك الفترة.
2	597 / 598هـ / 1200 /1201م	تأثرت بلاد الشام بالأوبئة والطواعين التى شهدتها مصر وذلك عن طريق الفارين من الوباء بمصر، فمنهم من مات وهو فى طريقه إلى الشام وغيرها من البلاد
3	699هـ/1299م	تفشى الموت في الأبقار، وأدى إلى نفوق أعداد كبيرة جدا منها، وخاصة في دمياط والصعيد وقد استمر هذا الوباء فيها إلى بداية سنة (700هـ / 1300م).
4	765هـ/1363م	تفشى الموت في الأبقار في مصر، وقد نفق عدد كبير منها.
5	792هـ/1392م	تفشى الموت العظيم في الأبقار، حيث نفق عدد كبير منها، وأدى ذلك إلى ترك الناس أكل لحمها استقذارا لها.
6	829هـ/1425م	انتشر الموت في الجواميس و الأبقار في مصر، ونفق الكثير منها،
7	914هـ/1508م	تفشى الموت بالدجاج في مصر، مما أدى إلى نفوق عدد كبير منها.
8	917هـ/1511م	حدث الموت في الأبقار في بلاد الشام وخاصة في دمشق وحلب وحماة وحمص وصفد، وقدر عدد الأبقار النافقة بألفي بقرة.

ملحق (٥)

الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي
والمملوكي في بلاد الشام

الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي
والمملوكي في مصر

Epidemics and Diseases in the Ayyubid & Mamluke Eras in Egypt and the Levant

Prepared by

Hayyfa Saleh Salah Al-Sa'edi

Supervised by

Prof. Ahmad Al-Bader Sheni

Abstract

Praise be to Allah, Prayer and Peace upon the Messenger of Allah and to His Family, Companions and those who followed him..

This research is a study on the epidemics and diseases in the Ayyubid & Mamluke Eras in Egypt and the Levant. The situations in those eras have resulted in the emergence of the epidemics and diseases. This research falls in an introduction and four chapters:

The Introduction: The researcher presents the epidemics and diseases in the Ayyubid & Mamluke Eras in Egypt and the Levant.

First Chapter: It tackles the human factors that caused the emergence of the epidemics and diseases in the Ayyubid & Mamluke Eras in Egypt and the Levant. These factors are represented in:

- Lack of care to hygiene and contamination of food and drink.
- Lack of health experience.
- Poverty and its role in transmitting diseases.
- Moral deviation.
- Wars.

Second Chapter: It sheds light on the natural factors that caused the emergence of the epidemics and diseases in the Ayyubid & Mamluke Eras in Egypt and the Levant. These factors are the following:

- The nature of the climate in Egypt and the Levant.

- Famines.
- Earthquakes.
- Insects and agricultural pests.

Third Chapter: It focuses on the epidemics and plagues that spread in the Ayyubid & Mamluke Eras in Egypt and the Levant

- Plagues in in Egypt and the Levant.

Fourth Chapter: It is on the most well-known diseases that spread in the Ayyubid & Mamluke Eras in Egypt and the Levant, and the ways of its treatments.

- Cholera.
- Fevers.
- Tuberculosis.
- Skin diseases.
- Leprosy.
- Smallpox and measles.
- Internal diseases.
- Sprue
- Colic & abolition.
- Ophthalmology.
- Oral and dental diseases.
- Ear, Nose and Throat Diseases.
- Sporadic diseases.
- Resisting the diseases by Ayyubid & Mamluke Eras in Egypt and the Levant.
- The most famous hospitals in the Levant.
- The most famous hospitals in Egypt.

Conclusion: It includes the most important findings and recommendations that the study reached to. The following are some of the most important findings:

1- The human factor is one of the most important factors that caused the spread of epidemics and diseases in the Ayyubid & Mamluke Eras in Egypt and the Levant.
2- We can say that the wars are the main human causes that lead to the spread of epidemics and diseases in the Ayyubid & Mamluke Eras in Egypt and the Levant.
3- The natural factors in Egypt and Levant have a main role in effecting on the Public Health Status; this is due to the nature of climate in Egypt and the Levant.
4- This study has concluded that the Ayyubid & Mamluke Eras have witnessed many epidemics and diseases that affect negatively on the living of people. Some of these diseases are: Cholera, fevers, tuberculosis, Skin diseases, Leprosy, Smallpox and measles, Internal diseases and the methods of treatment that used at that time.

Kingdom of Saudi Arabia

Ministry of Higher Education

TAIBAH UNIVERSITY

College of Arts and Humanities

Department of Social Sciences (History)



Epidemics and Diseases in the Ayyubid & Mamluke Eras in Egypt and the Levant

Research Plan in completion of the requirements for obtaining the Master's Degree in Islamic History

Prepared by

Hayyfa Saleh Salah Al-Sa'edi

Supervised by

Prof. Ahmad Al-Bader Sheni

Prof. of Islamic Histroy at the College of Arts and Humanities،

Taibah University

(1433 AH/ 2012 AD)